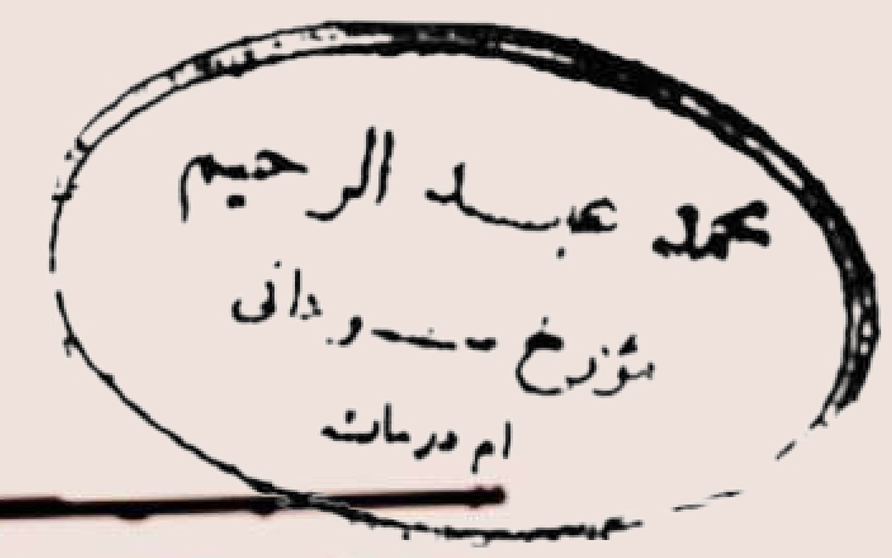
الصراع المسلح على الوحدة في السودان
أو
الحقيقة عن حوادث ١٩٢٤

لمؤلفه

الاستاذ محمد عبد الرحيم
مؤرخ السودان

١٩٤٨ م



مطبعة كلوت بك - محطة البولاق ٦٠١ شارع كلوت بك

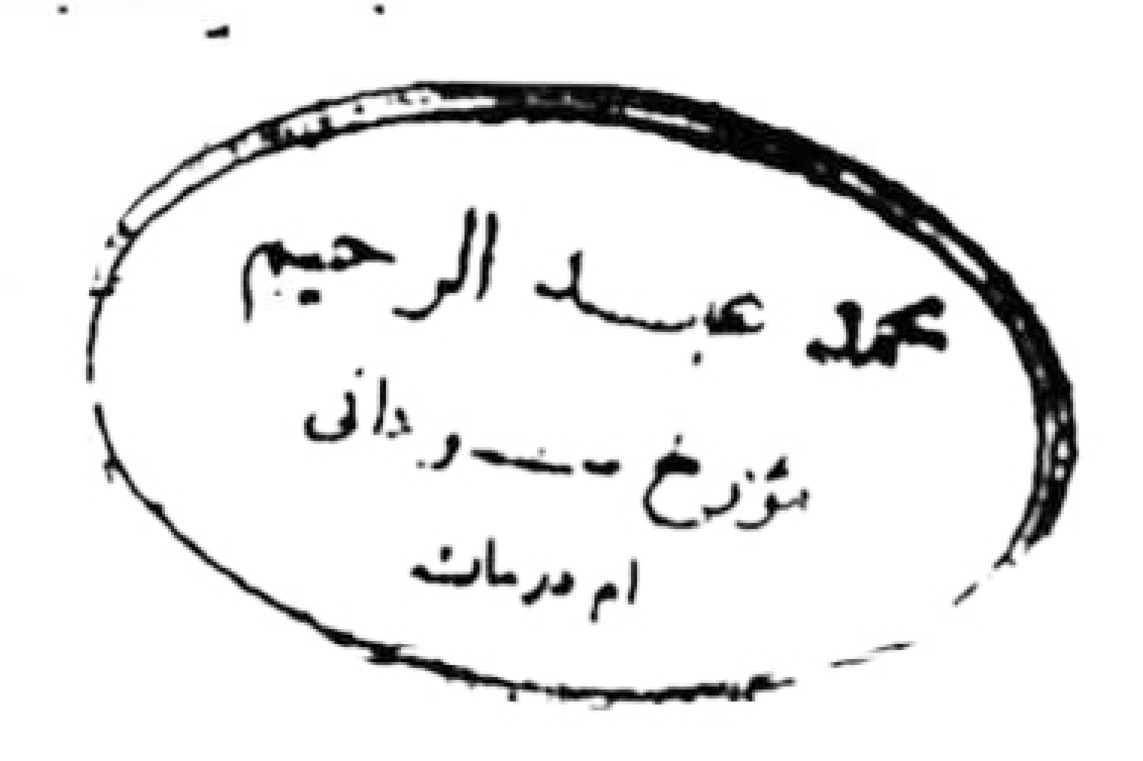
الصراع المسلح على الوحدة فى السودان

أو

الحقيقة عن حوادث ١٩٢٤

لمؤلفه

محمد عبد الرحيم



مطبعة كلوت بك

١٩٤٨م



المؤلف

تنبيـــــه

لا غرو أن اهمال التدوين فى السودان جعل الحوادث تمر من آن إلى آخر تلوكها الأفواه ويتناقلها الناس هذا عن ذاك حتى إذا ما مضى عليها حين من الدهر تطرق عليها الخلط وعمها الزيف وعبث بهـا الوضاعون وذهبت بهـا الغايات مذاهب شتى وتفرقت إلى طرائق قددى فيتبخر منها الكثير ويتبدد .

ولا غرابة كما قيل فى المثل السودانى « علم الرأس نكاس » او « كل شيء ليس فى القرطاس ضاع وكل سر جاوز الاثنين شاع » وليس أدل على ذلك من ثورة الرزيقات على السلطان موسى فى بلدة شوبا فى جنوب كبكابيه وكذا ثورة المسبعات عليه وفرار محمد جنقل إلى كردفان ونادى بنفسه سلطانا عليها وثورة كره أبو الشيخ على محمد الفضل سلطان دارفور وثورة الداجو على السلطان كسفروا . وثورة أم بده زعيم دار حامد على مدير كردفان فى أوائل الحكم المصرى التركى . وثورة ناصر أبو بيض فى عهد سمو اسماعيل باشا . وكذا ثورة الهند ندوة على مديرية التاكا وهزيمتهم القوة المصرية فى بلدة أورما .

إذا أرسلت المديرية قوة عسكرية لتأديب أولئك الثائرين الذين تجمعوا لمقاومة من يأتى إليهم ولمـا بلغت الحملة إلى بلدة المسكناب الواقعة جنوب شرق أورما استحكمت فى زريبة متينة من الشوك إلا أنها ما لبثت بضعة أيام حتى هاجمها الهندويون الذين انقضوا عليها انقضاض النسور ففتكوا بالقوة ولم ينج منها إلا النادر فكان من الناجين بسيونى المصرى الذى هجاه أحدهم بقوله :

المسكنـــاب شورتك عجيبة ومن طهرا كبيرا كسروا الزريبة
بسيونى قطع السـبيبة وقال ما بموت هنا كسلا قريبة

لا سيما وتمرد دورتنجي الاى الذى أخضعه اللواء آدم العريفى باشا. والذى قال عنه محمد سعيد بك ابن جعفر مظهر باشا حكمدار السودان ضمن قصيدة ضافية الذيول :

بأس الخديوى أباد الزنج بالتاكا ولم تزل مصر للأعداء فتاكه

سيما وحاكمها اسماعيل سيدها بهمة لعرى الطغيان فكاكه

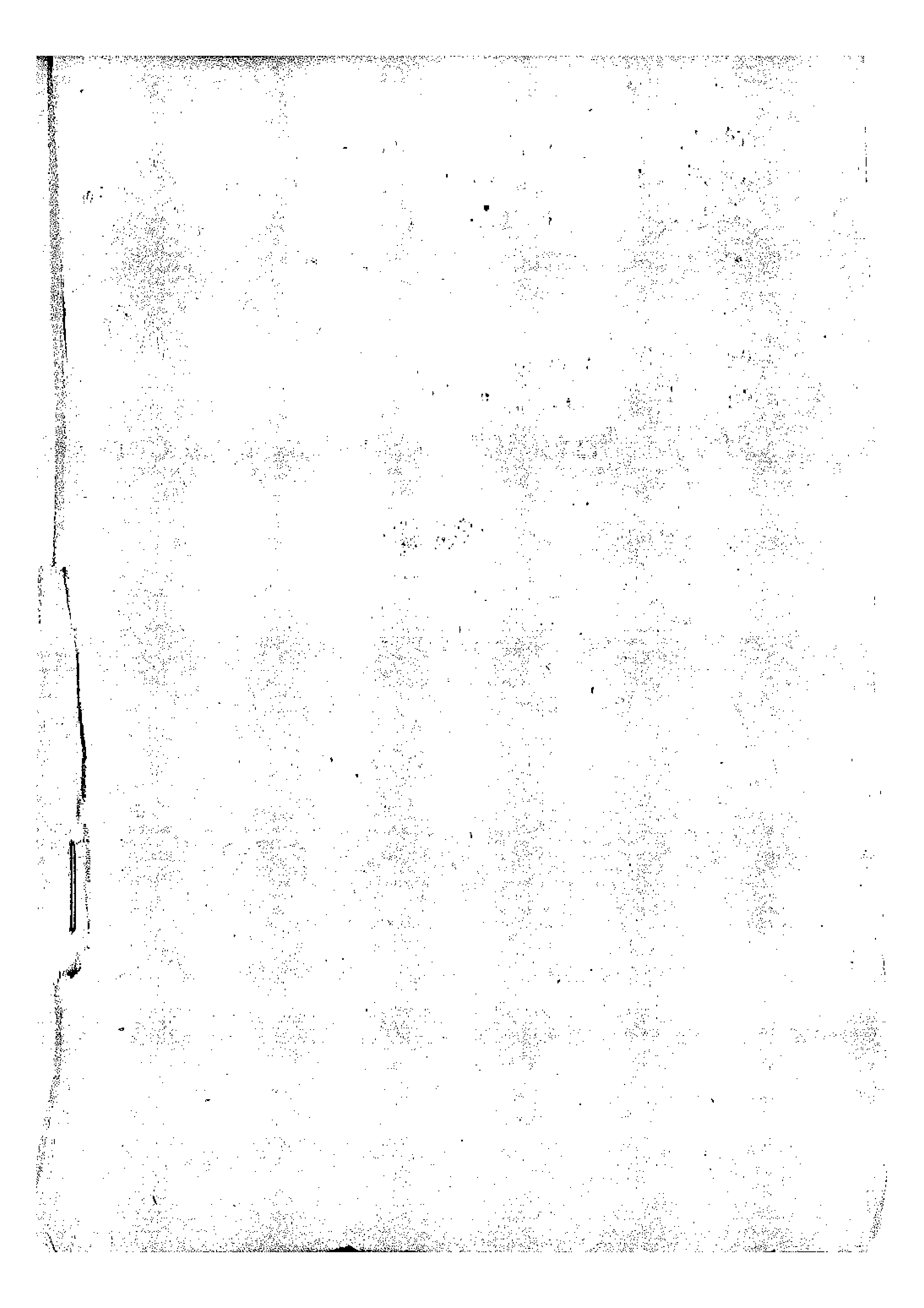
وثورة الرقيق فى عهد أحمد أبو ادان باشا حكمدار السودان. وثورة السودان فى سنة ١٢٩٨ هـ — وتمرد الجهدية على الشريف محمود حاكم كردفان فى سنة ١٣٠٢ هـ — وكذا تمرد الجهدية على الأمير محمود أحمد بالنهود. وثورة الأشراف على خليفة المهدى بأم درمان سنة ١٣٠٩ هـ. وتمرد ١١ جى أورطة سودانية بأم درمان بشأن الجبخانة. وثورة ١٣ و ١٤ جى أورطة بسبب زيارة الفكى بر بأم درمان حتى أطلقتا الرصاص فى شوارع أمدرمان.

وغير ذلك مما لا يحصى ولا يحيط به علم مخلوق بوجه من وجوه الاستحصى هذا ولا شك أنها حلقة مفقودة من تاريخ وادى النيل الذى أهمل إهمالا مشيناً فأصبح التاريخ كدر منثور فى قاع البحار يفتقر إلى غواص ماهر يلتقطه من تلك اللجج والظلمات المتراكمة بعضها فوق بعض وهيهات ان يوجد بين المؤرخين الذين يتلمسون الحقائق فى مؤلفات الأفرنج التى لا تخلوا سطورها من المغامز السامية مع أنهم قلبوا أوضاع التاريخ لعجمتهم وصوغهم اسماء الأعلام محرفة فضلوا وأضلوا غيرهم من مؤرخى الوادى الذين ضنوا بجهودهم على تلك البحوث التى قد تحتاج إلى رحلات شاقة بين غابات كثيفة فى بلاد لا يلائمهم هواؤها ولا يصلح لهم غذاؤها ولقد قرأت كثيرا من مؤلفاتهم فوجدتها غاصة بالأغلاط الفاحشة الأمر الذى اطرنى إلى إنشاء مجلة أم درمان فى يوم الثلاثاء ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٦ التى زيفت بها مؤلفات ابراهيم باشا فوزى والاستاذ عبد الله حسين المحرر بالاهرام وغيرهما ولولا إنى أوقفت المجلة لأسباب مادية لما تركت عبارة تمر بدون تعليق عليها وإقامة الدليل على فسادها ولابد لى فى هذه القصة من حصة لو كانت فى العمر بقية وكل آت قريب :

وثورة عبد القادر ود حبوبة وواقعة الكتيفة التي قتل فيها البكباشي لوجان الانكليزي و صاغ عبد العزيز مجدي واليوزباشية ياقوت وضفوت والمستر منكريف واليوزباشي محمد شريف ومن الجرحي المستر بنهام كارتر السكرتير القضائي والمستر مورجن القاضي المدني واللواء ديكسون باشا وغير ذلك من سائر الجنود في مايو سنة ١٩٠٨ .

ثورة عبد الله السحيني الذي أغار على نيالا في سنة ١٩٢١ واحتل الطابية بعد قتل المفتش الانكليزي والبكباشي شو الحكيم البيطري . وردت تلك الجائحة بعد مصارعة عنيفة كما ذكرناه مسهبا في كتابنا « الدر المنشور في تاريخ العرب والغور »





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبة وسلم

(١) ليس من الحكمة الأغضاء عن أمهات الحوادث تمر مرور السحاب دون تدوينها والنظر إلى مناشئ العلة فى أسبابها وتطوراتها وما تمخضت به من خير وشر لان لنا فى كل كبوة عظة وفى كل ما حطه قلم القدرة ذكرى تتحلى بنضائلها وتتخلى عن رذائلها ولا نهملها ولكنا أهملناها كما اهملنا مثيلاتها من ثورات السودان قديما التى لم تزل تدور بين ألسنة العالم مع أنها مملوءة بالغرائب والاحن واذا ماذكرها مدعو التاريخ قلبوها رأسا على عقب وثارت بينهم ثائرة الجدل فكل يدعى انه اصدق قائل وهيهات مالم يكن هناك مرجع كفيل يحفظ الحقائق

(سوء المعاملة)

سيطر الانكليز على ربوع السودان وقسموا البلاد إلى مناطق حكموها حكما دكتاتوريا بحتا فصار كل مفتش أو مدير حرا فى تصرفاته يعبث كما يشاء ويعبث كما تهوى نفسه وهى اشتراكية سنة ١٨٩٩ التى مضاها بطرس غالى باشا وكانت سببا فى اغتياله ودخول مصر فى هرج ومرج وانقسم الشعب إلى طائفتين أقليه قبطيه وأكثريه مسلمة الأولى بزعامة أخنوخ فانوس والثانية بزعامة محمد رياض باشا واللورد كرومر جاثم على البلاد ومدافع جيش الاحتلال فاغرة وفهاتها على ذرة الملقة ولا يكاد يسمع اذذاك الا حرارة الصحف وكيل الكلام جزافا

يمازجه شيء من المضحكات كرد عنوانه « خشوا ويای باط يا أيها الأقباط . شغلت مصر بداخليتها عن حكم السودان والنظام المصرى فيه حتى أصبحت تتجاذبه عوامل اليأس والرجاء . وقد أفرط الانكليز وتغالوا فى الغـــطرسة فعلاوة على مضاعفة الضرائب ونزع ملكية الأراضى وغيرهما وتأليف الحملات العسكرية لإبادة القبائل ونهب أموالها لأسباب تافهة لا سيما مطالبة الأهالى بالنزول عن ركائبهم عند مرور أى انكليزى فاضلا كان أو مفضولا حتى أن الميرالاى روفنز كروفت قومندان ٩ جى سودانية أوقف الأستاذ محمد البدوى رئيس المشيخة العلمية بأم درمان وطلب منه النزول عن أتانه ولما رفض الاذعان لأمره جاء به إلى الميرالاى رمزى طاهر بك مأمور أم درمان وقال له انزل هذا الرجل من أتانه وأضعه بالسجن فقال له رمزى بك ليس هذا ممن يوضعوا بالسجن وأفهمه بأنه رئيس المشيخة الدينية الإسلامية فقال الشيخ إلى رمزى بك أخبر الحاكم العام بأنى كنت قادما إليه بناء على طلبه فأخرنى هذا الرجل فلا أستطيع الحضور إليه وقد غضب ونجت باشا وأمر روفنز كرفت بالتوجه إلى الشيخ وأن يقدم له اعتذاره « بردون »

وقد حدث مثل ذلك للسيد إسماعيل الأزهرى قاضى دارفور إذ ضربه مفتش الفاشر وأنزله من أتانه وقدم له بردونها . وحاولت مسز مور زوجة مستر مور انزال الشيخ محمد الجزولى وضربه غير أنه هددها بعصاته وكان الذى لا يعظم الانكليزى عند مروره يعذب بالوقوف متجهاً إلى الشمس بضع ساعات وغير ذلك من المصائب حتى كانت حادثة مستر منرو التى ذهبت بها بدرات المال ومهج الرجال

الصراع المسلح على الوحدة في السودان

أو

الحقيقة عن حوادث ١٩٢٤

لمؤلـــفه

محمد عبد الرحيم

الملازم أول على افندى عبداللطيف

ولواؤه الابيض

هذا ضابط كبير الهمة أبى النفس دنكاوى الأصل أى « زنجى » درس علومه الابتدائية فى كلية غردون بالخرطوم ثم انتخب تلميذا بالمدرسة الحربية بالخرطوم وعين برتبة الملازم الثانى ثم رقى إلى رتبة الملازم الأول وهو من ١٤ جى اورطة سودانية . كان هذا الضابط يسير سيراً حسناً لم يخرج عن ظل الاعتدال . وكانت تقدره الرؤساء ولكن أراد الله ان يخرج ذات يوم للفسحة مع صديق له من ضباط الأورطة السودانية يدعى محمد افندى عمر اغا وبينما هما سائران فى شاطىء النيل الأزرق بمدنى واذ قابلهما المستر منرو نائب مدير النيل الأزرق يرتدى بنطلونا أبيض على قميص ولما لم يعظماه دعاهما إليه وسألهما عن السبب فى عدم تعظيمه فاعتذرا بحجة أنهما لم يعرفاه . ولو كان بملابسه الرسمية لعظماه ولو أن القانون العسكرى لا يفرض عليهما غير تعظيم الضباط فامتعض نائب المدير وقال لهما « أنا رئس القومندان بتاعكم » وبعد أن أوقفهما طويلا أمرهما بالانصراف . وقد أبلغ قومندان ١٤ جى أورطه فى مساء ذلك اليوم وهذا دعاهما إلى مكتبه . وألزمهما ذنبا وأسمعهما عتباً وأمرهما بالذهاب إلى مكتب نائب المدير الذى ما كاد يراهما حتى بالغ فى تهديدهما وتأنيبهما ولكنهما سيطرا على شعورهما ولم يلبث أحدهما يبلت شفة تحاشياً لما عساه يحدث من التطور المحفوف بالأخطار مع أن الذنب كان تافهاً لا يستحق تلك الشدة التى تمخضت بمآسى لا زال صداؤها يتجاوب بين سكان وادى النيل !! وما أشبه هذه بحادثة عبدالكريم الريفى « ١ » خرج على افندى عبداللطيف وصديقه من عند نائب المدير وصدره يغلى كالمرجل وقبل أن يمضى زمن رفد من الجيش بالاستغناء عن خدماته !! وحفظ له حقه فى المعاش فاستحق ستة جنيهات وقد مثل دوراً كبد الحكومة أكبر المشاق ولم تكبح جماحه إلا بعد أن أذهبت بدرات المال ومهج الرجال !!

« ١ » عبد الكريم الريفى كان ضابطا عربيا فى الجيوش الفرنسية فى المغرب . قابله ضابط فرنسى أعلى رتبة ولم يعظمه فكان فتنة



الزعيم على عبد اللطيف المتوفى فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٤٨

« بالقاهرة » وكان قوى الإرادة شجاعاً لا يبالى بالمكاره .

« جمعية اللواء الابيض »

عندما فطمت مطامع هذا الشاب فى الحياة المادية والأدبية أخذ يفكر فى قلب معالم الحكومة أو على الأقل التشويش على الانكليز الذين أساءوا إليه كما أسلفنا. فرحم الله القائل

إذا جزاك بسوء من أســـأت له — فذاك عدل وما فى العدل من زلل
جـــزاء سيئة بالنص سيئة — لا حيف فى ذاك فى قول وفى عمل

قام على افندى عبد اللطيف بتأسيس هذه الجمعية فى مدنى فانضم إليه هناك فريق من الشبان الذين أخذوا يتغنون بأغان من السجع الوطنى فى هجاء الانكليز ونشر الدعاية ضدهم وها نحن نأتى بمثال من تلك الأغانى ليعلم القارىء إلى أى حد بلغت حرارة الدعوة السياسية إذ ذاك. قال شاب يدعى المساح من سكان مدنى.

أنا بدأت أقول الهجى — يا أمـــة كيف لا ترهجى
ألى بلاده كان عربجى — لك حـــاكم عام يجى

ثم أردف ذلك بقوله:

هاكم قولا مشـــين — واعيوبكم نحن مفتشين
يا نصـــارى يا مبرطشين — من نوم حبل تجونا مفتشين

نقل الجواسيس تلك الأغانى إلى الانكليز الذين قبضوا على المساح ووضعوه بالسجن إلا أن مستر هدلستون لم ير محاكمته بل أفرج عنه فى الحال. وكانت سياسته فى ذلك حكيمة ولو كان حوكم أمثال ذلك لاشتد ساعد الفتنة وقام آخرون بدورهم غادر مؤسس الجمعية . . . مدنى وأقام بالخرطوم التى كانت أخصب منبتاً وأسرع قبولا لنبات تلك الحركة السياسية إلا أن على عبد اللطيف ما كان يحذر الملتفين حوله بل كان يدأب فى تكوين تلك الجهة وتضخيم عددها وكان أشهر أعضائها:

١ — عبيد افندى حاج الأمين
٢ — السيد محمد المهدى نجل خليفة المهدى
٣ — صالح افندى عبد القادر
٤ — حسن افندى شريف
٥ — حسن افندى صالح

أما الجمع فكان عظيما جداً إلا أنه كان يتألف من الشبان فقط أما الكهول فإنهم نظروا بعين البصيرة إلى ما يعقب ذلك الاضطراب من النكال وسوء الحال . فلذا أضرب الكهول عن الاشتراك فى تلك الحركة الغير موفقة ولسان حالهم يردد قول الشاعر :

ترى الدنيا وزينتها فتصبو ... وما يخلو من الشهوات قلب
فضول أكثرها هموم ... وأكثر ما يضرك ما تحب
فلا يغررك زخرف ما تراه ... وعيش لين الأعطاف رطب
إذا ما بلغة أتتك عفواً ... فخذها فالغنى مرعى وشرب
إذا اتفق القليل وفيه سلم ... فلا ترد الكثير وفيه حرب

فانضم فى جمعية اللواء الأبيض رجل يدعى على حاجى محسى الأصل كان جندياً ورفد ثم خدم مراسلة بالمحاكم الشرعية ورفد أيضاً بعد أن حكم عليه بالسجن . وقد وجد هذا الفرصة سانحة بأن يبنى له مجداً على حساب تلك الجمعية السياسية فصار يرفع لمصلحة المخابرات أخبارها ويسلمها صورة من النشرات التى تذيعها بين الوطنيين وهذه كانت له الوعود ومنته بالمكافأة وأصبح يتقاضى راتباً كبيراً فنشط نشاطاً مدهشاً وأصبح ذا شأن عظيم فى نظر الانكليز ! ! حدث ذلك كله ولا يعلم رئيس واعضاء الجمعية شيئاً من نسيج ذلك الصديق العاشق .

وصاحب خلته خليلا ... وما جرى غدره ببالى
لا يحصى إلا القبيح منى ... كأنه كاتب الشمال



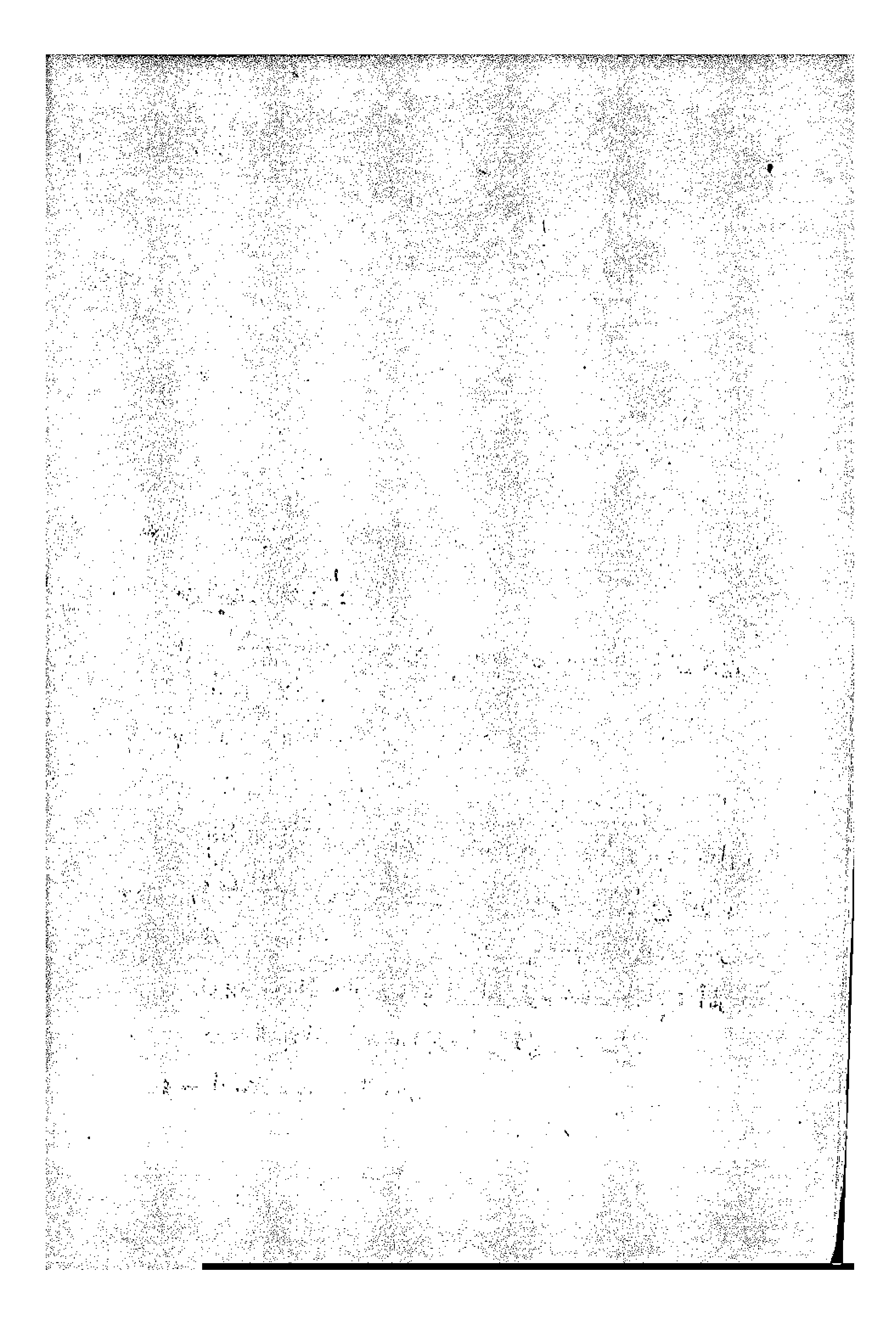
من اليمين إلى الشمال :

١ ــ الأستاذ حسن محمد شريف مصرى من أسوان (مفتش تموين أسوان الآن)

٢ ــ الملازم الزعيم على عبد اللطيف

٣ ــ الأستاذ صالح عبد القادر والده جعلى وأمه مصرية كان يميل بفطرته على الجهاد هرب من المدرسة مع صابر طه وحسن كامل وعبد الماجد لى الطيب لكى يتطوعوا فى حرب إيطاليا مع العرب فى طرابلس ولكنهم أرجعوا وعوقبوا ثم خدم بالتغلراف وظاهر فى بور سودان ولما جىء به إلى الخرطوم خطب فى أتبرة أثار أورطة السكة الحديد ضربوا بالرصاص قتل منهم خمسة .

٤ ــ الأستاذ عبيد حاج الأمين .



(القبض على رئس الجمعية)

وبعد ١٥ يوما من وفاة عبد الخالق افندى وما تلاها من المظاهرة الأولى قبض على على افندى عبد اللطيف وضبطت أوراق الجمعية وكبل بالاغلال وشكلت له محكمة كبرى تحت رئاسة المستر إزرن وكان المحامى عن المتهم الاستاذ أمين الشاهد المصرى الذى أظهر مقدرة وجراءة جديرتين بالإعجاب . وكان شهود الاثبات الشيخ على المرضى عمدة الخرطوم وآخرين . وفى نفس اليوم أفهم العمدة المحامى وقال له انى مكره من مستر بيلى نائب مدير الخرطوم على اداء تلك الشهادة ورجاه أن يطلب من هيئة المحكمة سماع شهادته مرة ثانية ولما طلب المحامى وأجيب إلى طلبه تقدم العمدة و نقض ما قاله بالأمس . فبالرغم من ذلك حكمة المحكمة على رئس الجمعية بثلاث سنين سجناً ونقل إلى السجن العموى بالخرطوم بحرى .

(القبض على العمدة)

ماكادت تمضى على محاكمة على افندى عبداللطيف ٤٨ ساعة حتى قبض على الشيخ على المرضى الذى لم يرضى تبكيت الضمير وأدى شهادته كالواقع وقد ظل ردحاً من الزمن فى السجن . واكتفى برفده من عمرديته واخيراً فعل فائدة فى حياة تفقد الدين والمرؤه ويخطو صاحبها على هام الأهل والعشرة للوصول على قوته

ثورة سنة ١٣٤٢ هـ : ١٩٢٤م

سبب الثورة

بمدنى

بينما كان المستر منرو نائب مدير النيل الأزرق يسير مع زوجته بالشارع بملابسه الملكية التى هى قميص وبنطلون حاسر الرأس وبيده مضرب للتنس فقابلهما ضابطان الملازم أول محمد افندى عمر أغا الجعفرى من سكان الدويم والملازم ثانى عبد اللطيف الدنكاوى فاستوقفهما المستر منرو وسألهما قائلا لم لا تعظمانى فأجاباه

بقولها إننا غير مسؤلين بتعظيم غير العسكريين ومع ذلك لو كنت بملابسك الرسمية على سبيل المجاملة فامتعض المستر منرو ورأى هذا الرد حطاً من كرامته فقال لهما بغطرسة إنكليزية : أنا رئيس القومندان بتاعكم فقال له على افندى عبد اللطيف فليكن وانصرفا . فأصبح النائب ثائراً لأنه لم ير إباءاً سافراً إلى هذا الحد من ضابط سودانى من ذوى الرتب الصغيرة الذين كانوا يتضاءلون أمام تلك العظمة السكسونية فرأى جنابه أن يلزمهما ذنباً ويوسعهما عتباً مادام مسلحاً بسلطة تخول له الهدم والبناء كيف ماشاء . فقابل قومندان ١٤ جى اورطة وأوحى إليه ما أوحى وربك أعلم بمناجاتهما وفى اليوم التالى استدعاهما قومندان الهجانة وأنبهما تأنيباً مراً على ماحدث وأمرهما بأن يذهبا إلى نائب المدير ليريهما من عظمته ما لم يعرفاه فأذعنا لذلك الأمر المفروض وما كاد المستر منرو يراهما حتى شنجر ونخر وتعاظم وتجبر وكل ما حاول أحدهما الرد عليه انتهره بقولة اسكت وبعد أن أشبعهما سباً وسخرية أذن لهما فى الانصراف فانصرفا ثائرين ساخطين كل منهما يجيل الفكر ويمعن الروية فى طرق النكاية ووسائل الانتقام وبينما هما دائبين فى التفكير إذ صدرت الغازية الاستغناء عن خدامات على افندى عبداللطيف فزادت الطين بله وكان الوقت مناسباً لأحداث الهرج لأن الثورة فى مصر كما ذكرناه فى سنة ١٣٣٦هـ : ١٩١٩م غضه ودعاتها يجولون لأثارة الخواطر فى السودان كما تراه عند الكلام على الشيخ عمر الخواض داعية الحزب الوطنى والقبض عليه فى شندى كما ذكرناه.

« ١ » قال لى المستر ملفيل فى كفا كنجى لما كنت مفتشاً لمركز شندى بمديرية بربر كتبت تقريراً ضد خمسة موظفين مصريين رفدارىعة منهم ولم يبق غير واحد . وقال لى ابراهيم افندى سرور من أرباب المعاشات بأم درمان ان المستر قرزمان مفتش رشاد رفد خمسة موظفين ولما حادثته فى شأنهم قال عندى منشور من الحاكم العام يقضى بأن لأقل موظف انكليزى الحق بان يرفد اى موظف مصرى أو سودانى ويحرمه حتى فى المعاش وكان الانكليز يتباهون بضرر غيرهم ولا يخشونا لومة لائم فى ذلك هذا هو الباحث لكراهه الناس لهم

تضخم الجمعيـــة

لقد وجدت جمعية اللواء الأبيض رواجاً غريباً وكثر أعضاؤها في العاصمة المثلثة أم درمان والخرطوم والخرطوم بحري وظهر دعاتها في كل عواصم السودان بلا فرق ولا تمييز وقد شجعها الضباط والموظفون المصريون تشجيعا مدهشـــا وانضوى أكثر الموظفون السودانيين تحت ذلك اللواء حتى كان عمال البوسطة يسرقون المكاتبات التي ترد من الجواسيس بإسم مدير المخـــابرات بالخرطوم ويحرقونها ويذيعون ما حوته من الأسرار الخبيثة والمقاوحات السلبية لقتل روح الوطنية في الشعب فاتخذت المخابرات نظاماً جديداً وهي ضمت إلى صفوفها بعض التجار الأثرياء بالمدن الثلاث وأوحت إلى جواسيسها بأن يخابروها بواسطتهم فكان لكل تاجر صندوق بوسطة ترد مكاتبات المخابرات بعنوانه فيظنها عمال البوسطة خاصة بأعمالهم التجارية وعند ما يفتضونها ويجدون امضاء المراسل رقما ١ أو ٢ أو ٣ يدركون أنه بلاغ للمخابرات فيتأبطه التاجر ويأتي لديوان المخابرات ويكتفي من تلك الجهود أن تكون له شخصية محترمة وتخفف عليه الضريبة التجارية وإذا مابالغ في الخدمة خلعوا عليه كسوة شرف فالويل له من عاقبة ذلك في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

مقاومة اللواء الابيض

ما فتىء أعضاء جمعية اللواء يعملون لوحدة وادي النيل ولما ظهر سفر الولاء الذى تبرأ فيه أعيان السودان من تركيا ويجدوا فيه الحـــكم الثنائي أو بعبارة أصح الانكليزي كثر القيـــل والقال واشـــتد ساعد الدساسين وأصبح المأجورون يكيدون لإخوانهم الوطنيين ويرفعون عنهم بلاغات كاذبة وكان للمخابرات مدير يدعى مستر وليس ذا سياسة خرقاء فانه يأمر باعتقال الموظفين والأعيان قبل أن يتحقق ما قيل عنهم أصحيح أم لا فاكتظت السجون لأسباب تافة وأقوال ملفقة

ولم يفرج عن شخص إلا بعدأن تفرج أجفان أبنائهم بالبكاء والعويل . وكان ضمن من ينتمون لتلك الجمعية رجل يدعى على حاجى كان جنديا فى الهجانة بكردفان فأصيب بجرح فى بعض غزوات الانكليز على جبال النوبه فرفد من الهجانه وخدم حاجباً بالمحكمة الشرعية فأخذ فى التدليس والغش لأخذ بعض الرشاوى من ربات القضايا فحكم عليه بالسجن واقيل من خدمة المحكمة فلم يتنبه على عبداللطيف لطرد على حاجى من حوله بل كان يحضر جلسات الجمعية ويشهد قراراتها ويرفعها الى المستر وليس الذى أجزل له العطاء ومناه بمقاعد الجوزاء فكان يرفع له صور مما يكتبه رئيس الجمعية الى الصحف المصرية وغيرها . ولقد باغت البوليس عرين الجمعية وضبط أوراقها وهناك سلح على حاجى بمسدس مما يحمله الضباط العسكريون واعطيت التعليمات اللازمة لرجل البوليس تقضى بالقاء القبض على كل باروفاجر يأمر به على حاجى فيؤ خذ الى السجن فتراه يصول ويجول بين الأزقة والشوارع يحيط به رهط من البوليس فروع الناس لأنه يقبض ويطلق ولا يجرأ احتمالى نقده أو شكواه الى سلطة أعلى عنه ولقد حكم على الملازم على افندى عبد اللطيف بطرده وسجن لمدة سنة فى يونيو سنة١٩٢٤ ولقد طلب ذات يوم عن اندراوس افندى باشكاتب ورشة الترام خمسة جنيهات فاعتذر اندراوس وليته ان افندى نفسه بذلك المبلغ فانه قبض عليه واستصدر أمراً بطرده لمصر مع ان اندراوس افندى سودانى الوطن والمولد فلم ينج من تلك الورطة الا بعد جهد جهيد اما على افندى عبد اللطيف وكل أعضاء الجمعية فأودعوا بأعماق السجون ونكلو به أشد تنكيل .

استمرار الحركة السياسية

اجتمع خمسة من أعضاء اللواء الأبيض الذين هم على افندى عبداللطيف وعبيدافندى حاج الأمين وصالح افندى عبد القادر وحسن افندى شريف وحسن افندى صالح وبعثوا تلغرافاً الى حاكم السودان باركويت يحتجون فيه على مظالم الانكليز بالسودان وأخذوا يراسلون الجرائد المصرية عما هو جار بالسودان من الظلم والتعسف وكم الأفواه وهناك قامت قيامة المخابرات وأخذت الحكومة فى القاء القبض على بعض الموظفين والصناع والتجار وتلامذة المدارس .

دعاة الثورة

بينما كان مرجل الغضب يغلى فى صدور سكان الوادى من أثر الضربة القاسية التى منيت بها مصر من جراء ثورة سنة ١٩١٩ إذ بدأ السودانيون يراسلون الصحف المصرية بمقالات ضافية وكانت المخابرات تحاسبهم حسابا عسيراً على ماعزوه لولاتهم الذين يحكمون البلاد حكماً انكليزياً سافراً تحت العلمين المصرى والانكليزى . فقام الصوفانى بك رئيس الحزب الوطنى بتمثيل رواية على مرسح السياسة إذ بعث بشابين سودانيين كانا طالبين فى رواق السنارية بالأزهر الشريف يدعى أحدهما (محمد نور) الذى صار أستاذاً فى إحدى كليات الأزهر الأول والثانى يدعى (عمر الخواص) بعد ان دفع لهما مصاريف السفر وكتب إلى أحد أعضاء الحزب الوطنى بالصعيد كلفه بأن يحضر لهما ركائبا تقلهم الى دنقلا من طريق الصحراء لكى لا يمرا على رقابة الجارك بحلفا ولسوء الحظ جبن العضو ورفض مساعدتهما خوفا من بطش الانكليز وكان ذلك من بواعث تثبيط همة أحد الطلبة الذى هو الأستاذ محمد نور الخوجلابى الذى أخذ من تردد العضو أن المأمورية فوق طاقة الطلبة فعاد ادراجه الى الأزهر تخلصا من خطار المسئولية واستأنف الدراسة .

أما الثانى الذى هو عمر الخواص فانه بقى متنكرا وأرسل الى الصوفانى يخبره بعود رفيقه للقاهرة لمواصلة دروسه فورد له الرد بعودته الى القاهرة للتفكير فى ماعساه يتخذ نحو رحلته السياسية فى السودان . قال لى عمر لما قابلت الصوفانى بك أخذنى بيده وقدمنى الى معالى سعد زغلول باشا الذى قال لى أنه من الأوفق قيامك منفرداً متنكرا بحسب مايبدو لك حتى لا تعرف فى طريقك الى السودان ودفع لى مبلغ ستين جنيها مصريا وكلفنى بالاجتماع بيوزباشى مصرى

الضابط بالطوبجية بالخرطوم يحرى الذى هو مندوب هناك . لكى تتفقا أنت فى دعاية الزعماء من الوطنين وهو يقوم بتحريض طائفة الضباط السودانيين حتى متى

استطعتها نشر الدعوة بين الطائفتين تقوما . بحركة ثورية ضد الانجليز حيث الضباط واه كانو مصريين أوسودانيين من جهة والأهالى من جهة أخرى .

فتوكلت على الله . وسرت بلا تردد الى الشلال ثم قطعت تذكرة من الشلال الى ميناء حلفا ولكن أخذت تساورنى عوامل الخوف من الوقوع فى أشراك الانجليز فنزلت فى الطريق قريباً من مركز الحدود لكى أسير راجلا واذا ماشاهدت علائم مدينة حلفا أعرج الى ناحية الصحراء حتى اذا ماجاوزت خور موسى باشا أنزل الى شمال النيل . وتنكرت اذ ذاك بأن ارتديت قميصا من الصوف الأسود وطاقية لبده من الصوف كالمعتاد لدى فلاحى مصر وكان هذا ملفتا للانظار .

فسرت براً الا أنى لم استطيع الاستمرار سعيا على الأقدام لماهنالك من الرمال وتضاريس الأحجار فشهدت مركبا شراعيا لجاعة من المحسن فطلبت منهم أخذى بها إلى قريب من خلفا ولسوء الحظ وصلت الى بلدة دبيره بدون أن اعلم مظهرها من بعد فوجدت هناك رهطا من البوليس مع صف ضابط برتبة جاويش . الذى استدعى الريس وسأله عنى قائلا منذا الذى معك بالمركب فأجابه بأنه رجل قابلنا قريبا من هنا وطلب منا حمله الى حلفا فاستدعانى الجاويش وسألنى عن الجهة التى جئت منها والى أين أريد فقلت له انى طالب بالأزهر جئت لزيارة أهلى فاخذنى فى الحال وذهب بى الى عسى عبده (عمدة دبيرة) الذى قادنى بدوره الى مكتب المستر ةبتس، مدير حلفا الذى سألنى عما أريد من حضورى الى السودان فقلت أنا ذاهب الى بلدة طيبه بكبوشيه لأنى من أهالى تلك الجهة ولى زوجة هناك . فأبرق بذلك الى المخابرات بالخرطوم وهذه ابرقت أيضاً الى وكيل حكومة السودان بالقاهرة تسأله عنى وهو الذى استدعى الشيخ بشير رشيح رواق السنارية وسأله عنى فأجابه قائلا كان هذا طالباً برواق السنارية ولكنه كان مشغولا بضياع وقته مع الصوفانى بك رئيس الحزب الوطنى فبذلك تحققت التهمة السياسية ضدى فلما علمت المخابرات بذلك امرت بنقلى الى مديرية الدامر وكلفت المدير بمراقبتى وما كدت اصل بالقطار الى الدامر حتى قابلنى محمود ابو مرسى من تجارها فانزلنى فى ضيافته وقدمنى غداً لمدير بربر بالدامر وهذا كشر وزجر وهددنى بضربى بالرصاص قائلا ألم تر اننا كسرنا

رؤوس المصريين فى سنة ١٩١٩ بالمحاكم فهكذا يكون نصيبك ومن يقوم أو يرفع رأسه بتحريضك ثم أمر محمود أبو مرسى بأن يرسل معى مندوباً إلى بلدة طيبة لكى يخبر العمدة عبد الرحمن البدوى بأنى إذا غبت عن منزلى ١٥ دقيقة يخبر مفتش شندى فبقيت زهاء الشهر بدون أن أرى مراقباً . فقلت فى نفسى مادام الأمر كذلك فماذا يضرنى لو قمت إلى الخرطوم لإتمام مهمتى على ضوء هذه الغفلة واهمال الرقيب . فسرت سراً إلى الخرطوم وذهبت لمجرد وصولى الى استحكام الطبجية المصرية بالخرطوم بحرى فأخبرت بمرض اليوزباشى ووجوده بالمستشفى فزرته به ولكنه أوحى إلى بأن أرجىء الحادثة إلى مابعد خروجه غدا إلى ثكنات الطوبجية بالخرطوم بحرى ولما خرج زرته فاجتمع علينا آخرون من أصدقائه الضباط المصريين فتحدثنا هنيهة فى نظام الدعاية وارفض المجلس على أن كل منا يقوم بما عهد اليه . فسرت أنا إلى شخصية دينيه ذات مكانة شهيرة ولكنى أخفقت بل قوبلت بسخط واشمئزاز اضطرنى إلى الفرار خوفاً من تقديمى إلى المخابرات التى كانت إذ ذاك أظلم من الليل إذا عسعس . فلذلك لم اجره إلى محادثة شخص من تلك الشخصيات الدينية ذات الصفة السياسية المحترمة لدى الانكليز أو ساعدهم الأيمن فى كبت الضغائن وكم أفواه الأمة كل مانادت العدل بالطرق السلمية المعتادة . فسرت إلى قرية « أم ضبان » فى ضاحية الخرطوم فقابلت الفقيه حسب الرسول محمد بدر وأخبرته بأنى مندوب من قبل هيئة سياسية مصرية لاخطرها لادعو الزعماء لثورة ضد الاستعمار الانكليزى فقال لى ثلجت صدرى بارك الله فيك (إذا اشتركت معنا العساكر المصرية والسودانية لاقضى على الخرطوم فى ثلاث ساعات) وهاك بياناً بخلفائى بالجهات فاذهب اليهم واخبرهم عن لسانى بالاستعداد لمباغتة الانكليز فى الوقت الذى نتكتل فيه مع المصريين فأخذت أسماءهم وكانوا فوق المائة خليفة ثم غادرت أم ضبان سائرا إلى جهات الجزيرة وشواطىء النيلين الأبيض والأزرق فما مررت بأحد إلا قال لى فهم شيخنا حسب الرسول بأن يخبرنا باليوم والساعة ففيها نذبح كل انكليزى على فراشه حتى نشل الحركة الانكليزية فى بضع ساعات . قال الشيخ عمر الخواص عدت إلى الفقيه حسب الرسول وأنا فى غاية الغبطة والسرور وأخبرته بقبول خلفائه لتلك الدعوة إلى الجهاد . فقال لى اذهب إلى اليوزباشى المندوب الطوبجى واسأله أفهل حصل على وفاق الضباط السودانيين وإذا كان فمتى يكون تنفيذ الهجوم على البغاة حتى نعلم أتباعنا هنا وبالجهات . وهناك سرت إلى اليوزباشى مندوب الوفد فما كاد

يرنى حتى أخذ يقول لى أين كنت فالمخابرات تبحث عنك منذ بضعة أسابيع فان الخبر بلغ الحاكم العام واستدعانا وهددنا . فسر حالا للقاهرة فأزعجنى ذلك النبأ ولكنى رايت ضرورة المرور على طيبه لأودع أهلى واستأنف السفر إلى القاهرة إلا إنى ما كدت أصل أهلى حتى أبلغ العمدة عبد الرحمن البدوى مفتش شندى الذى بعث أربعة خفراء مع شيخ الخفر لالقاء القبض على وعلى زوجتى وإحضارنا اليه تحت الحراسة ولما أدخلنا الى مكتبه . قلت له اذا كنت أنافى نظركم مجرما فما الذى جنته زوجتى قال لى لأطردكما معا لمصر حتى لاتأتى مرة أخرى بسبب زوجتك . فقلت أما الزوجة فيمكن طلاقها وتركها مع والدها فاذا أفعل فى الأرض والنخيل فقال هذ مش مهم وبعد قليل من الزمن طلبتنى المخابرات بالخرطوم وهناك خيرتنى فى أحد أمرين أما النفى إلى واو عاصمة بحر الغزال وأما تعيني مدرسا تحت المراقبة . ففضلت الأخيرة فعينت مدرسا بمدرسة أم درمان ومن سوء حظى وجدت مرمى افندى فهمى المصرى ناظرا لتلك المدرسة فانه رفض قبولى بمدرسته لكى لايتهم بالسياسة من أجلى فنقلت الى مدرسة شندى فوجدت ضابطا مصريا حاذقا يدعى محمد افندى عوض كان مأمورا لشندى وكانت لديه كمية عظيمة من المنشورات الثورية اشتركت معه فى توزيعها فى المقاهى ومحطات سكة الحديد وحوانيت التجار وغيرها فتسممت أفكار الأهالى وصاروا لايبالون بشىء من الخطر الذى يترتب على تلك الدعاية التى تغلغلت فى نفوسهم

الشيخ حسب الرسول محمد بدر

كان مربوع القامة أصفر اللون كث اللحية وسيما ولد بقرية أم ضبان فى يمين النيل الأزرق تجاه العيلفون . كان والده الولى المشهور محمد بدر صاحب الكرامات العظيمة . وكان حسب الرسول خليفة أبيه ووارث مقامه . فالشيخ حسب الرسول يعتبر من أكرم أهل جيله فعلاوة على نفقات خلاوى القرآن التى تبلغ عشرة أرادب بالكيل المصرى يومياً . فان له هبات للفضلاء والعلماء والفقراء يقف القلم عجزاً عن حصرها وكان يدفع راتباً شهرياً لرجل بصير ليكون دليلا للعميان الذين يسيرون إليه من الخرطوم والخرطوم بحرى وأم درمان فيعطيهم نفقاتهم لزمن معين ، وبعد

انقضائه يعودون إليه مرة أخرى . وإذا حفظ طالب القرآن كساه ووهبه الركوبة التي توصله لوطنه . وإن اراد البقاء فى حماه زوجه من ماله الخاص وواساه فى السراء والضراء . ولم يزل حسب الرسول يبذل قصارى جهده فى خدمة الدين والانسانية بدون رياء ولاسمعة إلى أن توفاه مولاه إلى رحمته فى سنة ١٣٤٨ هـ — ١٩٣٠ م

أول مظاهرة فى المقابر

وفاة الصاغول أغاسى عبد الخالق افندى حسن حسين مأمور أم درمان

كان هذا من أكرم الضباط المصريين أخلاقاً وهو حسن السيرة محبوباً فى كل الجهات التى خدم بها . وقد توفى إلى رحمـــة مولاه فى يونيو سنة ١٩٢٤ فاحتفل السودانيون بتشييع جنازته احتفالا سار فيه العلماء والقضاة . ولقد قدر الجمع يومئذ بنحو ٢٠,٠٠٠ رجل فأعجب المصريون لهذا الشعور الغريب وبعد الفراغ من دفن الجنازة وقف محمدافندى توفيق وهبى المصرى قاضى محكمة أم درمان الجزئية وارتجل خطاباً بليغاً أبن فيه المتوفى ثم شكر أولئك المشيعين وتطرق إلى الكلام عن الرابطة بين القطرين بعبارات مؤثرة جداً وبعد فراغه . فاه حاج الشيخ عمر الجعلى بخطاب تكلم فيه عن الروابط الحسية والمعنوية وأردف ذلك بعبارة سياسية تتلخص فى الرد على القائلين بفصل القطرين الشقيقين وختم عبارته بان هتف بحياة مصر وسقوط انكلترا وهتف الجمهور هتافاً حاداً فحاول عبد الرحيم افندى مصطفى صراف ضبطية أم درمان اسكات أولئك الهاتفين ولكنهم قابلوه بالضرب والإهانة حتى اضطروه إلى الالتجاء فى احد المنازل القريبة . وكانت المظاهرة فى الساعة الخامسة مساء . وفى الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم ألقى القبض على حاج الشيخ عمر وأودع فى السجن . فكانت هذه أول مظاهرة بالسودان وحاج الشيخ عمر أول مقبوض عليه فى تلك الحركة المشؤمة .

وبعد بضعة أيام حكم على حاج الشيخ عمر بثـــلاث أشهر سجناً وخمسة جنيهات غرامة . أما الاستاذ محمد توفيق وهبى فكان قائما الاجازة فصدر الأمر بتأخيره لأنهم

كانوا يبحثون عن طرق سرية بقصد محاكمته إذا كان محرضاً إلى المتظاهرين . قال لى حاج الشيخ عمر . قد حضر لى فى السجن مستر ولس مدير المخابرات وقال لى نحن نعرف انك محرض من المصريين . وحاول أن يأخذ منى إقراراً ولكنى أفهمته بأنى قمت بدافع وجدانى ولست مدفوعاً بإرادة غيرى .

وكأنى بقائل يقول من هو حاج الشيخ عمر الذى بدأ بالمظاهرات السلمية فى السودان . فأقول هوزين العابدين عمر الجعلى الفاضلابى ولد فى سنة ١٣٠٣ هـ : ١٨٨٦ م ثم تعلم القرآن على الشيخ الصاوى محمد عبد الماجد وتلقى مبادىء العلوم الدينية على الفقيه محمد عبدالماجد واشتغل بالتجارة فاثرى وكان كبير الهمة طاهر الذيل ديناً .

وفى يوم الخميس ١٥ صفر سنة ١٣٥٨ : ٦ ابريل سنة ١٨٣٩ م زرته فى محل تجارته وسألته عن سبب تلك المظاهرات وسبب قيامه فى الرعيل الأول من دعاتها فأملى على بأسباب نذكرها والعهدة عليه .

« ١ » وفى يوم السبت ١٣ مايو سنة ١٩٣٩ الموافق ٢٣ ربيع الأول سنة ١٣٥٨ اجتمعت بالخليفه أحمد الامام . فقال لى انى دعيت إلى اجتماع فى دار السيد عبدالرحمن المهدى حوالى ١٧ مايو سنة ١٩٢٤ ولما دخلت الدار وجدت لفيفاً من الأعيان وهناك قام السيد حسين شريف والقى خطاباً يتلخص فى العبارة الآتية « انه بالنظر للظروف الحاضرة يجب أن نقرر مصيرنا . هل نبقى كما كنا تابعين لمصر . أو نكون أمة قائمة بذاتها ؟ » فتهور جماعة ممن تغذوا بلبان السياسة الاستعمارية . فقالوا انه يجب أن نخرج المصريين من بلادنا ولو بالسيف . وذهب آخرون على أن مصر لازالت تنوء من ثقل الاحتلال . ونحن وهى فى رق الاستعمار . فكيف إذن نطلب فصل السودان عن مصر مع انها بعيدة عن إدارة شؤونه ولم تظلمنا فى شيء . وقد نشرت الصحف نبأ هذا الاجتماع . وعلى أثر ذلك وردت جوابات من الاستاذ محمد ماضى لبعض المجتمعين يقول مامعناه « انى لازلت أفتخر بأخائكم وبأخائكم لمصر . فما بال الصحف

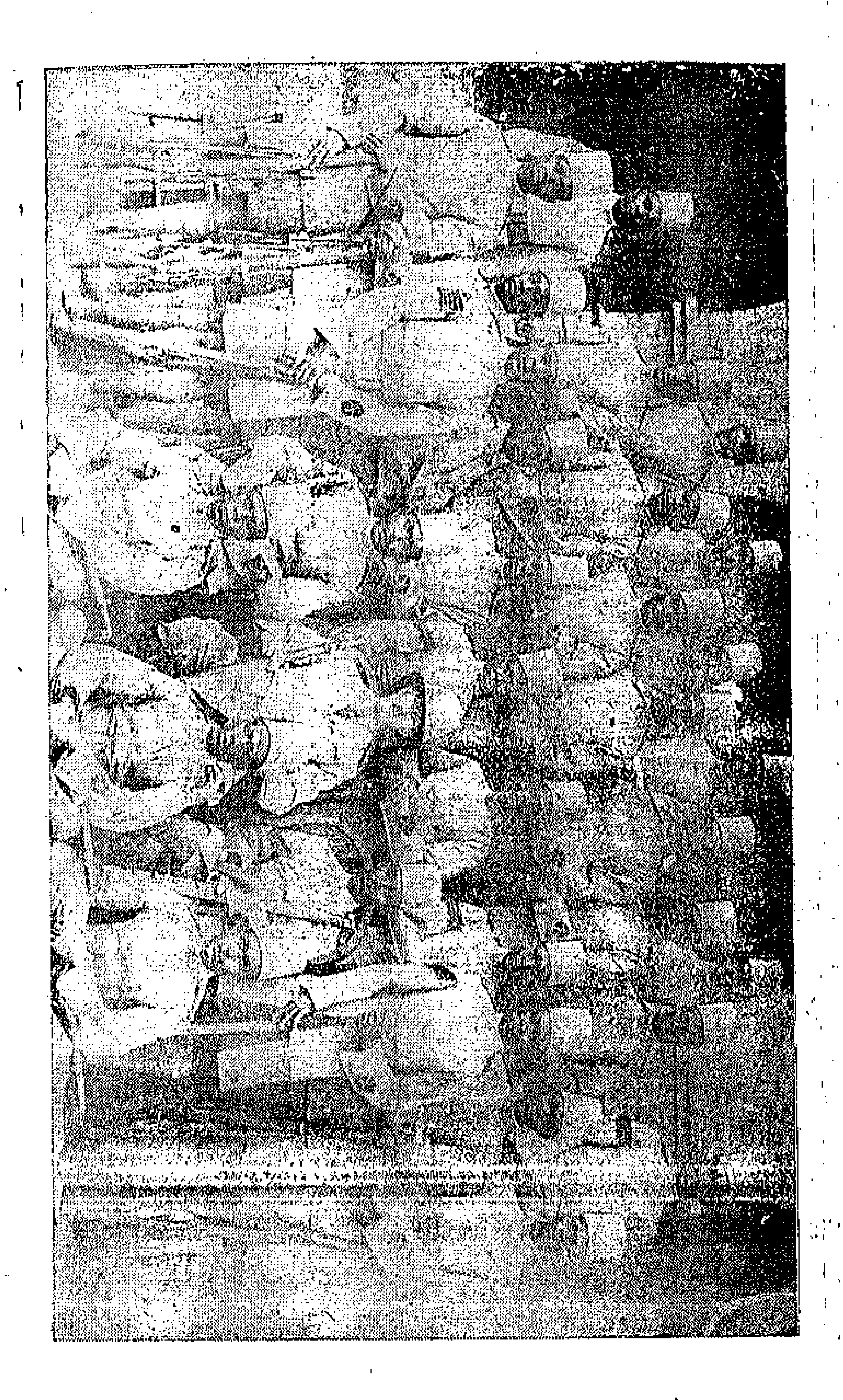
---

(١) قال حدث اجتماع فى دار السير السيد عبد الرحمن المهدى وقرر المجتمعون رفع عرائض بطلب طرد المصريين من السودان وقد جاء السيد جعفر أحمد شرفى يحمل عريضة لامضائها من التجار بالسوق فأغضبنى ذلك العمل الذى لاشك كان يعاز من الانكليز ولولا لك لما تجرأ أحد الى التفكير فى اجرائه ومن اجل ذلك انى اذعت مقالا فى جريدة مصر حضيت فيه الى نبذ تلك الفكرة التى هى ليست من صالح السودانيين فى شيء . واتبعت ذلك بنشرات اذعتها فى مراكز مديرية بربر

نشرت عنكم ما يزعج الخواطر؟ فيؤخذ من ذلك انها دسائس انكليزية كانوا يتلمسون لها الأسباب حتى كان السبب الأقوى اغتيال استاك باشا فنفذت الفكرة بدون الاستعانة بالسودانيين المغلوب على أمرهم .

القبض على موظفين بالقطار وغيرهم

كان الملازم أول زين العابدين افندى عبد التام « قائمقام » نائب مأموراً لمركز « شاد فشيد هذا جامعا على نفقته وما كانت الحكومة ترضى إظهار الشعائر الدينية بين طوائف الزنج فنقل إلى مركز هيبان ومعه الجيش مع عدم الرضا عن سلوكه . فأخذ إجازة لقضائها فى القطر المصرى . ورافقه السيد محمد المهدى متنكراً بصفة تابع للضابط وقد أبرقت المخابرات إلى مدير حلفا الذى قبض عليهما وأعادهما تحت الحراسة إلى الخرطوم وما كاد يصل بهما القطار حتى قوبلوا بمظاهرة هائلة وهتاف يكاد يصم الآذان . وكان (على حاجى) ضمن المتظاهرين فانهال فرسان البوليس على المتظاهرين وضربوهم بالسيوف وكانوا يقولون فى أثناء ضربهم له « ياخائن »وقد جرح فى المظاهرة فى ساعد يده . هذا واستمر القبض على الموظفين والأهالى منهم حامد حسين المغربى واسماعيل افندى ابرهيم ومكى افندى ابرهيم والتهامى محمد عثمان الشايقى وعلى حاجى المحسى وفؤاد على . وكان الأخيران جاسوسين اختلطا بالمعتقلين بداخل السجن وحادثاهم فى شتى الشؤون السياسيه وكانا يعرفان أخبارهم بواسطة مأمور السجن . وبينما هما كذلك إذ صدر الأمر بالإفراج عن الجاسوسين وسلح على حاجى بمسدس يحمله فى جنبه وأعطى سلطه مطلقة يقبض على من شاء . وقد قبض على المرحوم عبيد افندى حاج الأمين الموظف بالمخازن وصالح افندى عبد القادر وعلى افندى ملاسى من بورت سودان والطيب عبدون افندى الموظف بالجمارك . وكذلك على اليوزباشية كبسون افندى الجاك وعبد الله افندى نور ومحمد افندى صالح جبريل « قائمقام » وكذلك على الملازمين محمود افندى أبى النجا ومحمد افندى عبد البخيت وعبد العزيز افندى عبد الحى وأحمد افندى المليجى باشكاتب المحكمة المدنية وأحمد افندى المنباوى المحاسب وحامد افندى سعفان محرر جريدة « رائد السودان »وكامل افندى سودستراليس ومحمد افندى سر الختم المهندس بالرى المصرى .



مظاهرة المدرسة الحربية

كان بالمدرسة الحربية بالخرطوم ٥١ تلميذاً حربياً . وكان قومندان المدرسة إذ ذاك الميجر بيز . ومعه من الضباط المصريين اليوزباشي حسن افندى حسنى الزيدى « باشا » والملازمين عبد الرحمن افندى فهمى وابراهيم افندى محمد حسن وابراهيم افندى شعبان . فعقد التلامذة اجتماعاً سريا قرروا فيه القيام بمظاهرة بالسلاح وتكتموا على الخبر حتى جاء الميعاد المضروب وهناك خرجوا إلى ميدان المدرسة فى الساعة الخامسة صباحاً وكان يحمل كل منهم بندقية وكمية من الجبخانة تكفى الدفاع ثم أبلغوا حسن افندى حسنى الزيدى بما أرادوه فقال لهم رويدكم انتظرونى ريثما أبلغ قومندان القسم « مكاون باشا » وأعود إليكم بأسرع ما يمكن فقالوا لا بأس وبعد قليل من الوقت عاد . وقد اتفق التلامذة على نزع علامات الرتب لكى لا يعرف من بينهم الصف ضباط فيحاكمون دون غيرهم وان يتناوبوا القيادة حتى لا تعزى الجريمة إلى شخص مخصوص وفى الساعة السادسة صباحاً خرج التلامذة من سور المدرسة الحربية بهيئة منتظمة تحمل أمامهم صورة جلالة الملك فؤاد الأول ومن وراءها صورة سعد زغلول باشا وبيرق المدرسة ومن وراء الموكب حسن افندى حسنى الزيدى يمتطى حصانه سارت التلامذة شرقاً ثم عرجوا جنوباً ولما بلغوا إلى قشلاق ٤ جى أورطة مصرية وقفوا وهتفوا ثلاثا « فليحى الملك فؤاد الأول » واستأنفوا سيرهم غرباً حتى بلغوا محطة سكة حديد الخرطوم فى صبيحة يوم السبت ٩ أغسطس سنة ١٩٢٤ وصادف ذلك وجود ثلاثة قطارات مستعدة للقيام إلى جهات كردفان وبورت سودان وحلفا وكانت المحطة غاصة بالمسافرين والمودعين فانضم جزء منهم على المتظاهرين وهتفوا جميعاً لجلالة الملك فؤاد الأول وسار التلامذة بين هالة من الأهالى الذين أخذ عددهم يتضاعف شيئاً فشيئاً حتى قدر الجمع بنحو ٢٠ ألف نسمة . ولحق بهم بقية ضباط المدرسية بمحطة الخرطوم وساروا إلى جانب حسن افندى حسنى الزيدى بملابسهم الرسمية . ولما وصلوا إلى منزل على افندى عبد اللطيف هتفوا بحياته وواصلوا سيرهم إلى أن بلغوا « ميدان عباس » غرب جامع الخرطوم وهناك أدركهم اللواء مكاون باشا فنصح إليهم فى الرجوع إلى المدرسة فلم يلتفتوا إلى كلامه . ومن ثم ساروا إلى عمارة البنك الأهلى . وما كادوا يصلوا

إليها حتى قابلهم مستر بيلى نائب مدير الخرطوم ووراه فصيلة من رجال البوليس وأخرى من عرب التعايشة المسلحين « بالنبابيت » وما كاد يقع نظر التلامذة عليهم حتى صدر نداء قائدهم بحشو البنادق والاستعداد إلى تشكيل قلعة فى الحال أشار مكاون باشا لى نائب المدير ومن معه بالابتعاد عن المتظاهرين فعادوا فى الحال وكانت تسير بالموكب الحاجة فطومه المشلية التى هى سيدة مصرية مولودة بالسودان وقبض على ولديها اسماعيل افندى ابراهيم وأخيه مكى افندى ابراهيم وأودعا بالسجن كما أسلفنا فصارت الحاجة فطومه المشليه تزغرت للتلامذة وتخاطب مكاون باشا قائلة له « اقبضوا على هؤلاء الأسد المدججين بالسلاح كما قبضتم على اخوانهم العزل » ولكنه لم يلتفت إلى حديثها . ولما بلـــغ الموكب أمام سراى الحاكم العام كان هناك قره قول انكليزى فاضطرب أفراده لهول المظهر إلا ان التلميذ المتولى القيادة صاح بالأفراد القره قول بما ترجمته « هذه مظاهرة سلمية » وهتف المتظاهرون ثلاثا وساروا شرقاً فى شمال النيل الأزرق حتى جازوا على الكبرى فقابلهم لفيف من جنود ٣ جى أورطة مصرية يحملون زجاج الليمونادة والشربات فوقف الموكب هنيهة ريثما شربوا واستراحوا بضع دقائق ثم استأنفوا السير إلى معسكر الأورطة الثالثة المصرية التى وجدوها واقفة بهيئة منتظمة وأمامها الضباط شاهرى السيوف وهناك أدت التحية العسكرية وصدحت الموسيقى بالسلام وبعد أن رد تلامذة المدرسة هتفوا جميعاً بحياة جلالة الملك فؤاد . ومن ثم ساروا إلى معسكر الطوبجية فاصطفوا أمام ثكناتهم وبعد التحية العسكرية هتف المتظاهرون وهتف معهم رفعت بك قومندان الطوبجية أما الضباط والجنود فوجموا . وتقدم الموكب نحو عمارة السجن العمومى فقابله به اليوزباشى محمود افندى أبو العينين وبعد أن صافحهم طلبوا إليه إخراج المعتقلين السياسيين فقال لهم بكل سرور أخرجهم لكم ولكن تأكدوا بأنى مقتول بعد هذا العمل فقالوا له اذن خذ منا رسالة سلمها إليهم فقال وشرفى أسلمها لهم بأسرع ما يمكن فكتبوا تلك الرسالة ودفعوها إليه وعادوا إلى ضبطية الخرطوم بحرى ولما بلغوا إليها هاج الناس وماجوا وفر بعض المجرمين من حراسة البوليس . وهتفوا ثلاثا وعادوا إلى المدرسة الحربية بالخرطوم . وفى نفس الوقت أمروا بتسليم السلاح ولكنهم أقسموا بأن لا يسلموه إلا بأمر جلالة الملك فؤاد . وبينما هم كذلك إذ طوقت المدرسة الحربية بفصيلة

من الجنود الانكليزية التى وجهت فوهات المكاسم على المدرسة وهنا حمل التلامذة بنادقهم وحشوها ونشن كل فريق منهم إلى جماعة من طوبجية المكاسم وأفهموهم إذا لم ينسحبوا من مكانهم سوف تذهب حياتهم قبل أن يستطيعوا إطلاق قذيفةواحدة فتراجع الانكليز إلى معسكرهم .

« تسليم السلاح »

وفى الساعة الخامسة من مساء يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٢٤ قدم القائمقام يحى بك قومندان ٤ جى أورطة مصرية يحمل تلغرافاً زعم انه من جلالة الملك فؤاد يأمر فية تلامذة المدرسة الحربية بالخرطوم بتسليم السلاح والجبخانة لأقرب وحدة مصرية . وفى الساعة السادسة سلم سلاح المدرسة وجبخانته إلى ٤ جى أورطة مصرية ولما عرف الانكليز ذلك عادوا وأوحاصروا المدرسة فتسلح التلامذة بمزاريق الفرسان . وشاع بينهم إذ ذاك أن التلغراف الذى جاءهم من جلالة ملك مصر انما هو مزيف فغضبوا وسخطوا على يحى بك وصاروا ينشدون العبارة الآتية :

سعيدة يابك يارئس المحشى　　أمـــور البكش ما تنفعش

وأيضاً صاروا يترنمون بالنشيد الآتى :

يادولة برا أنت الظالومـــة　　عرفنا آحرك يادى الحكومة
يا دولة مالك خـــذى عزالك　　عرفنا آخـــرك يالله لحالك

نصيحة ضابط

لما رفض تلامذة المدرسة الحربية تسليم السلاح واستحكموا بالطابق الأعلى من بناء المدرسة أحاطت بهم المدفعيـة الانكليزية وأنذرتهم بالويل والثبور من عاقبة الأمور إن لم يسلموا السلاح وهم رفضوا رفضاً باتاً بحجة أن السلاح لمصر فلا يسلموه لغيرها قال لى أحمد افندى رحمه الجامعى الموظف بالزراعة وكان أحد التلامذة جاءنا ضابطان منتدبان من السردار وهما اليوزباشى أحمد افندى عقيل باوزه والملازم أول

حسن افندى محمد زين فصعدا على الطابق الأعلى و نصحنا الأول بتسليم السلاح أما الثانى فلم يلبث ببنت شفة ولما تأكدا تصميمنا على المقاومة دون سلاح جلالته ملك مصر بدون أمر منه فقد خرج اليوزباشى و آخر الملازم الذى قال لنا « إنكم



ميتون لا محالة فالأولى أن تختموا حياتكم بشيء مشرف » فوقعت تلك العبارة وقعاً حسناً من نفوسنا » ولا شك لو حاول الانكليز نزع السلاح منهم بالقوة لاشتبكوا فى حرب ربما مثلوا فيها دوراً كان له أثره فى تاريخ تلك الحركة التحريرية ولكن كان بعضنا لبعض عدواً وغير ذلك من الأناشيد المثيرة للعواطف . وفى يوم ١٠ أغسطس استبدل العساكر الانكليز بعساكر مصرية من ٤جى أورطة . ولما أقلق التلامذة راحة

الانكليز المجاورين لعمارة المدرسة الحربية أحضرت لهم ثلاث بواخر وهي «الشيخ» و«والملق» و«الفاتح» أدخل التلامذة في الأولى والثانية والحرس في الثالثة. وسارت البواخر إلى وسط النيل الأزرق وألقت مراسيها. وبقي التلامذه بتلك البواخر ردحاً من الزمن.

مظاهراتهم بالباخرتين

لم يكتف التلامذة عن المظاهرات بل أحدثوا مظاهرات بحرية وأناشيد وطنية وألاعيب صبيانية كانوا يصنعونها على عوامات الباخرتين بأنوار ذات ألوان مختلفة ويطلقونها مع تيار النيل في جنح الظلام. ولما يرها الانكليز يسيرون إلى جانبها بالمنشاتهم ولا يجرأ أحد إلى مسها بيده إلى مسافات بعيدة. وأخيراً رأوا ضرورة نقلهم إلى السجن العمومي فنقلوهم إليه واختلطوا هناك بغيرهم من ذوي الإجرام ومثلوا أدوراً أخرى كان لها أثرها في نفوس الانكليز.

التلامذة في سجن الجاذيب

كان دنبل بك مديراً لسجون السودان العمومية في إبان تلك الثورة وقد أمر بالتلامذة فوضعوا في سجن المجاذيب ومنعهم الأغذية المدرسية بل كانت تصرف لهم أغذية المساجين ولكنهم رفضوا الأكل منها. ولما أراد دنبل بك أن ينصح لهم ثاروا عليه ورجموه بالحجارة إلا أنه فر من أمامهم وأمر بأن توصد أبواب السجن. فبقوا أسبوعاً كاملاً لا ماء ولا غذاء. ولكن من محاسن المصادفة كانت بداخل السجن بئر فصاروا يشربون منها. وعثروا على سبعة أكياس من الذرة أمر المسجونون بتنظيفها قبل تلك الحادثة فأصبح التلامذة وغيرهم من المسجونين يقتاتون منها. ولولا ذلك لمات كل من بالسجن ظمأً وجوعاً من سوء معاملة ذلك الانكليزي رافع لواء العدل بين متوحشي أفريقيا كما يزعمون.

وكان الجاويش بشير مرسال والتلغرافجي محمد افندي أبو زيد يعرفان فن الإشارة فتسلقا الجدران وأبرقا من فوق السطوح بالإشارة إلى ٣جي أورطة من المصريين عرفوها. بما بلغوا إليه من الجوع فردت الأورطة المصرية بما خلاصته «سنرسل لكم الأغذية بأسرع ما يمكن» ولما لم تحضر لهم الأغذية إلى الساعة الرابعة بعد الزوال

صعد الأشارجيان وأعطيا إشارة بالبيرق للأورطة سائلان عن السبب فى تأخير الأغذية فأجابتهما الأورطة المصرية آسفة لأنها بعثت الغذاء ورده السجانون كأمر البكباشى ايدلو مأمور السجن وكان المتولى حراسة السجن بلوك من ٣ جى أورطة مصرية فاستبدل فى الحال ببلوك من الجنود الانكليزية لكى لا يعطف المصريون على المعتقلين فينقلون إليهم الأغذية من الخارج . وأعطيت الأوامر المشددة إلى من بداخل السجن على أن كل من يصعد على سطوح السجن لإعطاء أو أخذ إشارات بالبيرق يكون عرضة لإطلاق الرصاص عليه من الجنود الانكليزية المحيطة بالسجن وهيهات فإنهم صاروا يصعدون على السطوح ويرقدون بها لأخذ الإشارات التى كانت تعطى بالفانوس « هوحوقراف » من سراى الحاكم العام إلى المراكز الانكليزية التى كان منها البلوك المحاصر للسجن . ومن الغريب كانت فى سطوح السجن قره قولات من السجانة السودانيين الذين يشاهدون الأشارجية من المعتقلين ويتسترون عليهم ويعطفون عليهم عطفاً عظيماً غير آبهين لتشديد الانكليز .

نقب السجن وتحطيمه

إن ما بلغ إليه التلامذة من الجهد وسوء الأحوال جعلهم يزهدون فى حياة كهذه فاتفقوا فيما بينهم ووافقهم آخرون من المعتقلين السياسيين وبعض ذوى الإجرام من المسجونين العاديين على نقب حائط السجن حتى إذا ما أحدثوا فيه فرجة خرجوا كتلة واحدة وباغتوا البلوك الانكليزى فيقضوا عليه ويأخذون أسلحته ويهجموا على ثكنات الانكليز بعد أن يجوزوا على كبرى النيل الأزرق ، وكانت فى السجن ورشة للحدادين وجدوا بها بعض أداة الحفر وغيرها . فأخذوا فى نقب حائط السجن من الساعة الواحدة بعد نصف الليل إلا أن الانكليز سمعوا ضرب الآلات فى الحائط فهبوا من سباتهم وأسرعوا فى قطع الأشجار القريبة وأقاموا زريبة من الشوك متينة خارج المكان المراد الخروج منه ووقفوا حول الزريبة حتى إذا وفق المحصورون وخرجوا من محيط السجن تطلق عليهم نيران الانكليز فيقضى عليهم قبل خروجهم من الزريبة الخارجية . ولما علم المجرمون السياسيون وغيرهم بفشل تلك المكيدة وتأهب الانكليز لإطلاق الرصاص عليهم قبل خروجهم من تلك الفرجة المزمع فتحها كفوا عن العمل ولكنهم حطموا السجن وأتلفوا ما به تلفاً يقدر بألوف

الجنيهات . وكانت تتصل بالسجن مخازن حكومة السودان فحطم التلامذة أبوابها وصاروا يقذفون بالملابس والمهمات وغيرها إلى خارج السجن فيختطفها السجانون وغيرهم من المارة . وقد أحدثوا خسارة فادحة .

ذيول حوادث سنة ١٩٢٤

كانت لسكة حديد السودان أورطة مصرية منذ إنشاءها بين حلفا والخرطوم بحرى . ولما قامت مظاهرات سنة ١٩٢٤ م ساهمت أورطة السكة الحديد وتهورت تهورا هائلا وكان القائمقام لورد بك مدير الهندسة هو النائب عن اللواء مدونتر باشا مدير عموم السكة الحديد فاستدعى بلوكا من ٩ جى أورطة سودانية بقيادة أحمد حلمى افندى أبى سن الشكرى . والبلوك الثالث السوارى من شندى بقيادة البكباشى دبل الانكليزى ولقد رافقه الملازمان محمد افندى كامل المصرى ومحمد افندى ابراهيم رحمة الله العبادى السودانى الذى قال لى وصلنا منهوكى القوى من كثرة الاجهاد فى السير فعسكرنا فى طرف المدينة وعندما بدأ المتظاهرون بطوافهم سار بكولنا السوارى وأحاط بهم نصف دائرة وساقهم إلى ثكناتهم وذلك بالرغم من كونهم ينقضون اللبن من المبانى المجاورة ويقذفون بها جنودنا بلا رحمة ولا شفقة . ولقد نصح اليهم ضباطهم المصريون فى الاستكانة وعدم اقلاق راحة الجمهور ولكن لا حياة لمن تنادى . ومع ذلك استطعنا ادخالهم فى ثكناتهم وعدنا بعد أن تركنا لحراستهم كوكبة من الفرسان والملازم الثانى محمد افندى كامل وما كادت تمضى ثلاث ساعات حتى خرج عساكر أورطة السكة الحديد واستأنفوا المظاهرة فامر الضابط أحد الجنود باطلاق بندقيته فى الأفق تهديداً فظن بعض الفرسان أن ذلك أمر بالضرب فاطلقوا النار على المتظاهرين حتى فتكوا بخمسة عساكر منهم ولقد أسرع الضابط فى النداء إلى جنوده للكف عن إطلاق الرصاص وهناك دخلت المظاهرة فى طورها الحاسم ووجم المتظاهرون عن الهرج والمرج وجاء الموظفون الإنكليز والمصريون لاسيما ضباط السكة الذين كان منهم محمد فاضل باشا الذى رق لهول المنظر وسالت عيناه بالدمع أما الفلاح افندى فإنه نقم على جنود أورطة السكة الحديد وشتمهم قائلا ما خلاصته : نصحنا إليكم مراراً فلم تنزجروا حتى رأيتم الموت وفقد بعض إخوانكم اجنحتهم إلى السلام ، ثم سيقوا أربعات إلى معتقل خاص ووقف عليهم الحراس واستدعى بقية الأورطة الموزعة بالجهات . ومن ثم شكل مجلس للتحقيق عن الذى

امر باطلاق النار على المتظاهرين وكانت النتيجة هى سوء فهم جنود السوارى واطلاقهم النار خطأ . وبعد هنيهة من الزمن قامت أورطة السكة بحراسة ٣ جى بلوك سوارى إلى قومندان أسوان بعد مآسى واحن كان لها أثراً عميقاً فى النفوس . وقد استعاضت مصلحة السكة الحديد السودانية بعمال الدريسة قاموا مقام الأورطة المبعدة إلى أسوان.

التلاعب بالأحوال السياسية

ومن مكائد تلك الأيام البائدة إن لم أقل المظلمة أراد جماعة إيهام الحكومة فى شخصى إذ أخذوا يذيعون فى الصحف المصرية على أن فى السودان جمعية تسمى « الاتحاد السودانى » والصحيح أنه لا اتحاد ولا جمعية بهذا الإسم . ومن نشراتهم اجتمع أعضاء الإتحاد السودانى « كانوا ٦٠٠ عضو ثم بعد نقاش قرروا رفض الإذعان للحكم الحالى والإنضمام على مصر . وبديهى هذا شىء لا يرضى الإنكليز فبثت الجواسيس والرقباء لمعرفة الجمعية . وبعد ما ألفتو الإنكليز إلى كبح جماح تلك الحركة الموهومة . أرسلوا ملفاً يحتوى على نشرات سياسية مزينة بصور جمة وكانت باللغتين العربية والإنكليزية وعلى ظهر الغلاف صورة « حضرة الأستاذ محمد عبد الرحيم سكرتير فرع جمعية الإتحاد السودانى بمدنى سودان » وبداخل تلك الأوراق كرت مطبوع عليه اسم عبد المنعم شريف وبظهره العبارة التالية :

حضرة الأخ المحترم . تحية وسلاما . فلنا عظيم الشرف فى أن ندعوكم للانضمام للنادى المصرى للدراسات الدولية حتى تكون لكم يداً فى مساعدتنا لنشر الدعوة عن مصر والسودان فى العالم وهو ما يسمونه بالإنكليزية بروبقنده ولكم الشكر سلفا . المخلص شريف . كتب وكيل البوسطة بالقلم الملون على ظهر الغلاف ينظر بالنادى مع أنه يعرفنى شخصياً وهو (سيد عبد العزيز سليمان المصرى) فأخذه محمد افندى سلامة العاصى المحاسب معى بالمديرية بمدنى وأتى به إلى . ففتحته وقرأت بعض محتوياته ثم كتبت عليه مذكرة لمدير مدنى إليك نصها :

أحيطكم علماً قد جاءنى هذا الملف من القاهرة يحمل بين دفتيه من التخم السياسية ما يصعب هضمه . وهناك شرع المدير فى تحقيق طويل مع وكيل البوسطة قائلا : أفهل تعلم أن فى هذه المديرية جمعية سياسية بهذا الإسم ؟ قال لا ؟ ولم لم تسلمنى هذه الأوراق قبل تسليمها إلى سكرتير الجمعية إذا كانت هناك جمعية على فرض ؟ فقال ذلك من واجب السنسر بحلفا أما أنا فاسلم كل ما يصل إلى ثم دعا سلامه افندى العاصى

وقال له : من أين لك أن محمد عبد الرحيم هو سكرتير جمعية ضد الحكومة حتى أحضرت له هذا الملف ؟ قال جاء ضمن بوسطة النادى ولست أعرف سواه فأحضرته إليه ثم دعانى وأخذ فى تحقيق دام بضعة أيام . وبعد بثت الجواسيس لمراقبتى فلا أمر بطريق ولا أدخل مسجداً إلا وترى الجواسيس وقام المستر هدلستون المدير بطواف على المديرية يبحث عن أعضاء الجمعيا . وبعد سنة من تلك الحادثة دعانى عبد الرحمن نقد الله إلى وليمة أقامها الأستاذ اسماعيل الأزهرى المفتش بالمحاكم الشرعية وبينما أنا أجلس بين المدعوين جاءنى رجل ساذج لا يميز بين الألف والنبوت وقال لى اقتنعت الحكومة بأنك ليس بالسكرتير لجمعية الإتحاد السودانى . ولكنها تقول ابحثوا عن غيره ربما كان هناك شخص اسمه محمد عبد الرحيم غير الذى حققنا معه ووقع الملف فى يده خطأ فلم ألتفت لهذه الرواية لأن صاحبها نكره لا يكاد يعرف وبعد تسعة أيام قابلنى وأنا سائر إلى المسجد لأداء صلاة المغرب وإذا بصوت ينادنى من الخلف فإذا هو محمد على افندى الضلالى المترجم بالمديرية فقال لى : جاء فى بوستة اليوم كتاب من مدير المخابرات يقول فيه قد تأكد لنا بعد البحث الدقيق أن فلان لادخل له فى جمعية ضد الحكومة فابحثوا عن غيره فدهشت لرجل ساذج يعلم ما لا يعلمه المدير منذ تسعة أيام .

وفى صبيحة اليوم قابلنى نائب المدير المستر مترو فكان معه اليوزباشى جعفر افندى صادق مأمور مدنى وحسين الصاغ شيخ السوق وفارسان من جنود البوليس فنادى الى من بعد وجاءنى يركض بجواده وقال أدنى منى فدنوت منه وهمس الى قائلا الحكومة اقتنعت انك مش سكرتير الجمعية أما تعرف رجلا اسمه كأسمك ووقع الملف عندك خطأ ؟ فقلت له أنى نقلت إلى هذه المديرية منذ ستة أشهر فقط فإنى الآن لا أعرف غير طريق الجامع والمكتب فقال لى أنا عاوزك بالمكتب بعد يومين وكان ذلك فى يوم الخميس ففى السبت دخلت إليه بالمكتب فوجدت معه المستر هنفورد القاضى المدنى فصرفه والتفت إلى وشرح مادار بشأنى وان الحكومة قانعة أنى ليس بسكرتير الجمعية سالفة الذكر قال ربما يوجد أحد بهذا الاسم ووقع الملف عندك خطأ فأجبته قائلا أنا ابن السودان واعرف الناس به فأقول لك إنه لا يوجد فى طول البلاد عرضها رجل واحد بهذا الاسم يصلح لأن يكون سكرتيراً لجمعية سياسية غيرى فإذا قبضتم على شخص بهذا الاسم وازعجتموه بالتحقيق وشغلتموه عن عمله فلا شك انكم ظلمتموه . فانا عرفت ان فى مدنى جندى بوليس اسمه محمد عبد الرحيم أفهل يعقل أن

يكون هذا سكرتيراً لجمعية سياسية وكذا جاءني جوال به عرديب أى تمر هندى فسلمني اياه ناظر محطة سكة الحديد فتركته حتى أعلم صاحبه . وبعد بضعة أيام جاءني شاب لم يزل فى الحلقة الثانية من عمره وقال لى جاءنى فى طرد عرديب من محطة الرهد سلم إليك فهلت له نعم أكتب لى وصلا فكتب الوصل بعبارة ركيكة تدل على انه تعلم تعليما بسيطاً أفهل هذا يكون سكرتيراً . فأنا المقصود بهذا الملف ومستعد لما يترتب عليه من المسئولية وان رضيتم نصيحتى فاقول لكم أنها لعبة سياسية من أحد الأعداء يريد تضليل الحكومة فى شخص لغاية فى نفسه .

وأعجب من هذا وذاك ان الشيخ محمد شحاته المصرى الكتبي الآن بشارع الصنادقية توفى لرحمة مولاه فى شمال الأزهر بالقاهرة اشترى أرض زراعية ودفع بعض الثمن أما الباقى فتأجل دفعة إلى ما بعد تسجيل الأرض وقد رفض البائع التسجيل ورد ما دفع اليه فاضطر المشترى إلى مقاضاة البائع بالمحكمة العليا فما كان من البائع إلا التجاء إلى سلاح الوشاية فكتب بلاغا لمدير الخرطوم زعم فيه أن الشيخ محمد عكاشة اعتاد احضار كتب سياسية وجرائد ممنوعة الدخول إلى السودان ليجتمع رهط من العلماء والطلبة لقراءتها فما كان ن المدير إلا أنه أوعز إلى المستر ريد مفتش أم درمان الذى باغت الشيخ عكاشة فى منزله وساقه إلى المكتب ثم بحثت مكتبته فوجدها أنقى من هامة الأصلع ليس بها كتاب ولا جريدة سياسية فهناك استدعاه المدير واعتذر إليه فى تلك التهمة أو البلاغ الكاذب ثم أطلعه المدير على البلاغ وقال له أتعرف صاحب هذا الخط قال له أعرفه جدا وهو الشيخ فلان الذى رفعت عليه قضية أمام المحكمة العليا فاخذ سماعة التليفون وسأل المحكمة فوجد القضية لم تزل ماثلة أمام القضاء . ومن الوشاة على حاجى المحسى الذى هو من ذوى الاجرام ولقد قضى حياته بين جدران السجون وكل جرائمه مابين غش واحتيال وزور وهلم جرا . أعطاه مكتب المخابرات سلطة يقبض ما شاء له أن يقبض وسلحه بمسدس يضعه بداخل البالطو فطلب ذات يوم من اندراوس افندى باشكاتب ورشة الترام بالخرطوم مبلغ خمسة جنيهات ولما لم يجاب طلبه قبض عليه بحجة انه من المصريين المحرضين على الثورة مع ان اندراوس من مواليد السودان منذ عهد محمد على باشا فرأت الحكومة طرده لمصر ولم يترك إلا بعد عناء فحوادث على حاجى أطول من ليلة الملسوع هذا بعد أن أساء الى الألوف من الشعب وكرههم فى حكومة تثق فيه وفى أمثاله طردته وسجنته مراراً وهو اليوم كسقط المتاع بالخرطوم والناس يرددون حوادثه المرة التى طالما أفضت إلى القتل والسجن

المؤبد وغيرها من أنواع العقوبات هذا قليل من كثير . ولما شعرت الحكومة ببغض الناس للمخابرات نقلت المستر ولس مديراً لأعالى النيل بعد أن رحل الاسماء ويتم الأطفال ذلك إذا لم أقل هو سبب شقائى فى الخدمة التى كنت فى غضونها ككرة القدم إذ نقلنى لمنقلا فى أول يناير سنة ١٩٢١ ووضعت فى أدنى درجات الموظفين وذلك لأنى كتبت تقريراً نقد فيه قانون الدرجات وحدثت مشكلة بينى وبين المستر ودلند حتى إنى شكوته للحاكم العام بدون جدوى وفى سنة ١٩٢٤ أرسلت للأهرام سلسلة مقالات بعنوان « فوضى السياسة فى السودان » نقلت بسببها لمديرية بحر الغزال التى سيرتنى إلى كفاكنجى ٤٠٠ ميل قطعتها على الأقدام وكثير غيرى طرد من الخدمة وحرم من المعاش كل ذلك بفعل المخابرات .

سياســـــة خرقاء

كان بعض إخواننا المصريين يحرضون السودانيين على العقوق بالانكليز وإذا ما قبض على السودانى وقف المصرى موقف المتفرج كأنه لا يعرف ولا يعرف وهو خور فى العزيمة وخبث فى الطوية كيف لا وكانت طائفة متنورة تعطف على الأستاذ حسين الأمين الضرير أمام جامع الخرطوم الذى كان صالحاً ورعاً مسموع الكلمة لدينه وعقله ويحرضونه على القول فى وعظه بما يدع المسلمين إلى كره أولئك الولاة الإنكليز واستلفات العقلاء منهم إلى عبث المستر يورد نائب المعارف بالناشئة وما يلاقيه الشعب من سوء المعاملة والنير الذى لم يسبق له نظير فاندفع الأستاذ فى خطبة الجمعة اندفاعاً كان له أعظم الأثر فى نفوس الشعب فأوعز الإنكليز إلى اللواء على على أحمد باشا وكيل مفتش الخرطوم فكان يحضر للصلاة بمسدسه لمراقبة ما يحدث بالجامع فرحم الله ابن مطروح حيث قال :

نا له من عمل صالح يرفعه الله إلى أسفل

نحن نعجب كما يعجب كل عاقل يؤمن بالله وكتبه ورسله لوطنى يحمل أضخم الألقاب المصرية يحيء لكم أفواه المسلمين من تلاوة قوله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه الخ) . ولم يكترث الإمام لتلك المقاومة السلبية إلى أن قبض وسيق سوق المجرمين إلى أعماق السجون ثم أفرج بضمانة أخيه فظل زهاء الإثنين وعشرين عاما مفصولا عن منصب الإمامة ولم يعد إليها إلا برجاء الشيخ حسن المأمون أما الذين كانوا يعطفون عليه ويحرضونه فانفضوا

من حوله ولولا ما أجداه سمو المرحوم عمر طوسون باشا من مواساته لمات أولاده رحم الله طوسون وآل طوسون .

كان فى مدنى اليوزباشى جعفر افندى صادق المصرى الذى أجاد عرقلة السياسة الانكليزية ولكن أساء بعمله على السودانيين أكثر من الانكليز لأنه ضاعف الضرائب على الأهالى وكان معه من الوكلاء الملازم كامل افندى حنا المصرى ومحمد افندى الخواض السودانى فألزم الأخير بتحصيل تلك الضرائب المجحفة فأصبح الناس يلعنون المحصل والانكليز مع أن المحصل ليس من شأنه فرض الضرائب إنما هو رجل منفذ لما قرره المفتش والمأمور .

ترويض الطلبة على الجاسوسية

الجاسوسية أصبحت ديدناً وخلقاً ملازماً لترويج سياسة الاستعمار فالموظف الانكليزى يسكن بعيداً عن الأهالى تألهاً وكبراً وبالرغم عن تلك العزلة يقضى عليه واجبه أن يعرف ما يجرى فى داخل منطقة نفوذه بواسطة المأمير والخدامين والمومسات اللاتى يترددن عليهم فى جنح الظلام.ولم يقف الأمر عند ذلك الحد بل صارت داخلة فى برنامج التعليم فأصبح المستر يودل نائب مدير المعارف يقول للطلبة إنكم تقولون للشخص الذى يرفع الأحوال لرئيسه (خباصاً) ولكن هذا غلط لأنه مخلص فى عمله أمين على واجبه وبعد أن تقرر هذا فى قرائحهم قدم إليهم المصحف وطلب إليهم أداء القسم على أنهم يبلغون رؤساهم بكل ما يقع نظرهم عليه فلم يرو بدأ من الإذعان لطاعته وجاءنى بعضهم مستفتياً فقالوا : أفهل نؤثم إن لم نعمل بهذا القسم ؟ فقلت لا تثريب عليكم لأن هذا الطاغية يدعوكم إلى معصية الله تعالى القائل (ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً الخ) إذن فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وبالرغم عن ذلك النهى فإن الناس تنافسوا فى الجاسوسية لا فرق بين معمم ومطربش وكذا عمد البلاد ومشايخ الطرق لا سيما التجار والفضوليين فانهم يتهافتون على أبواب الانكليز لأداء ذلك الواجب الذى قضت به ضرورة الاستعمار .

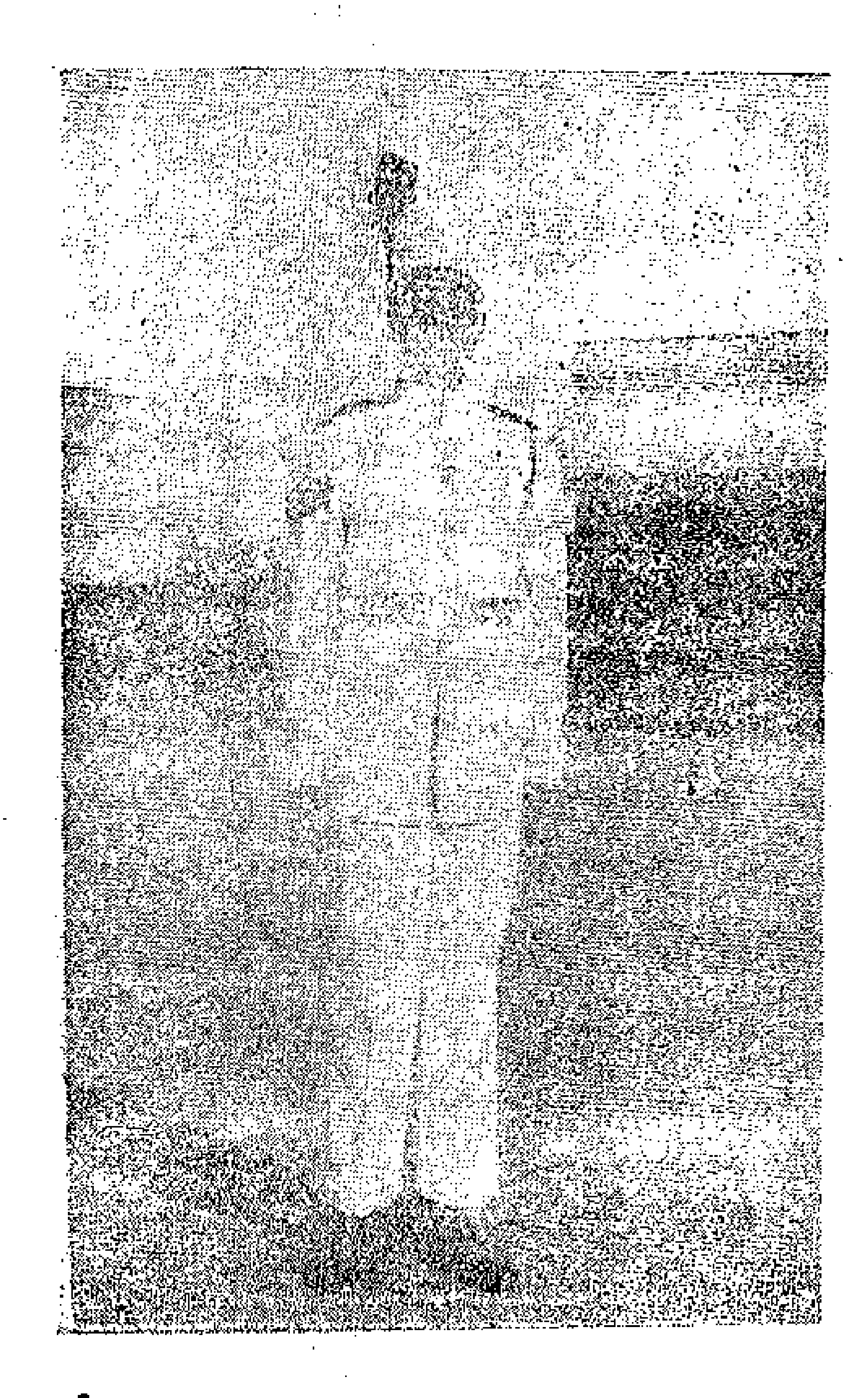
أيادى مصرية بيضاء

دعانى سمو الأمير عمر طوسون باشا إلى زيارته بالاسكندرية وبينما أنا فى ضيافته يوم ٨ أكتوبر سنة ١٩٣٤ م دخل عليه رفعة مصطفى النحاس باشا وبعد هنيهة خرج

فسمعت همساً بين موظفي دائرة سموه يتهامسون فيما بينهم قائلين .خرج دولة الرئيس فسألتهم قائلا : أفهل تعنون بالرئيس مصطفى النحاس باشا قالوا نعم قلت لم لاتخبروني لأراه عند خروجه فقال لي أحمد فهمي العباسي بك باشمعاون الدائره أفهل تريد ترى النحاس باشا ؟ فقلت وكيف لا اريد رؤية رئيس الأمة المصرية؟فأسرع في الدخول إلى سمو الأمير وأخبره بما قلت وخرج من عنده ضاحكا وقال لي « بأت رسمي يا حظ » فان أفندينا أمرني أن أخبر أحمد حمدي سيف النصر (باشا) تليفونياً بأن ينتظرنا بمنزله الساعة أربع مساء لأقدمك له وهو يذهب بك إلى رفعة النحاس باشا ويقول له هذا صديق الأمير طوسون يجب أن تتعرف به . فني الساعة ٤ سرنا لمعالي حمدي باشا وهو سار بي إلى النحاس باشافدخلنا في منظرة الجلوس فقال حمدي باشا هذا مكان العامة أما نحن فندخل لمكان الخاصة فلقينا أستاذاً يرتدي ملابس العلماء وهو في غاية الوقار والحسن في الحلقة الثالثة من سني حياته فقابلنا بغاية السعة وبعد أن اتقدمت لنا القهوة أبلغ الباشا في الدور الأعلى وهناك طلب أحمد حمدي وبعد بضع دقائق استدعاني ورحب بي ترحيباً حاراً فرأيت منه مثالا للكمال الإنساني ثم أخذنا في حديث عن السودان حتى انتهى بنا الكلام إلى ذكر حوادث سـنة ١٩٢٤ م فقال (دولة) النحاس باشا قرأت في الصحف ان فريقاً من الضباط السودانيين بلغوا إلى القاهرة بعد عناء وشقاء لم تصرف لهم مرتباتهم بضعة أشهر فسرت إليهم وطلبت منهم التفويض لي لأطالب الحكومة بحقوقهم فأجابوني إلى ذلك ورفعت قضية طلبت لكل ضابط ١٣٠٠٠ جنيه ولما بلغت الجلسة الأخيرة التي قد ينطق فيها بالحكم لصالحي جاءني كتاب من جلالة الملك فؤاد يأمرني بتشكيل الوزارة فأخذت وزارة الداخلية مع رئاسـة الوزارة فتناولت شنطة الأوراق لأعدها لأوراق وزارة الداخلية فإذا بها أوراق قضية الضباط السودانية فقلت في نفسي من أقاضي وقد أصبحت أنا الحكومة فكتبت أمراً لوكيل وزراة الداخلية بأن يلحق الضباط المذكورين بلوكات الخفر وأن تصرف لهم مرتباتهم وعلاواتهم المتأخرة ويفاد إذا كان منهم من يستحق الترقي لإجراء اللازم نحو ترقيته . فشكرته على مروءته وإخلاصه لوحدة وادي النيل التي كان ولم يزل يعمل لها وليس أدل على ذلك من فتح باب التعليم على مصرعيه لأبناء السودان الذين اندفعوا بقضهم وقضيضهم على مناهل العلم بمصر . . فليحي النحاس في كنف جلالة مليك الوادي فاروق الأول .



القائمقام سرور رستم بك أركان حرب قسم الخرطوم
وقت حدوث الثورة وروى لى بعض أخبارها



محمد فضل الله الشناوى الذى ترقى باشجاويش وقاد المظاهرة بالمدرسة

على افندى البنـا

كان هذا الضابط ضمن المحكوم عليهم بالاعدام . وأزادربك بعد أن وقف للتنفيذ استبدل حكمه بالسجن المؤبد وأقصى إلى واو عاصمة مديرية بحر الغزال . وعفى عنه بعد أن أقام عشر سنين فى بلاد لا يلائمه هواؤها ولا يصلح له غذاؤها . ولما أعيد للخرطوم قام تواً إلى مصر ظاناً انه يؤخذ بالحضن لإخلاصه الذى كتبه بالرصاص على نحور أعداء مصر واسوء حظه جاء لمصر فى وقت لم يزل الكابوس الانكليزى جاثماً على صدرها واسبنكس باشا قابضاً دولاب الحركة العسكرية . لجأ هذا الشاب إلى أميرلاى محمد صالح حرب باشا) مدير السجون إذ ذاك الذى كان يعطف على السودانيين لأنه دنقلاوى المولد فقام هذا بالسعى لاعادة على البنا للجيش وقد أخفق لوجود اسبنكس فصار يطوف البنا على الوزارات لعله يجد منفذا إلى الحياة بين أمة باع حياته فى سبيلها وبينما هو يقيم فى لوكاندة بور سعيد فى أول سبتمبر سنة ١٩٣٤ وقد تصادف أنى نزلت بها وكتبت لسمو الأمير عمر طوسون باشا أخبرته بوصولى القاهرة ووعدته بزيارتى له بالاسكندرية وما لبث أن كلف الأستاذ أحمد ابو ذقن شيخ علماء السودان بأن يدعونى إلى زيارته فجاءنى الأستاذ وقال لى سمو الأمير أمر أن تكتب لك دعوة إلى زيارته ولكنك لم تكتب عنوانك فأمرنى أن أدعوك إلى زيارته وقبل كل شيء أرجوك أن ترجوه لمساعدة على البنا الذى مكث زمناً طويلا يحاول الخدمة بلاجدوى . وكذا يوجد تسعة ضباط سودانية يترددون على المالية يرغبون استبدال معاشاتهم فرفض الوزير إجابة طلبهم فأول شيء طلبته من سمو عمر طوسون عطفه على البنا وبعد مسألة الضباط فقال أنا اكلم حمدى (باشا) يشوف خدمة لعلى البنا. وبعد خروجى من عنده استدعى أحمد حمدى (بك) وبعد بضع دقائق جاء إلى وقال لقد أمرنى سمو مولانا الأمير أن أخدم على البنا فأرجوك تجىء إلى به فى مكتبى بشارع أبى السباع بالقاهرة ولما عدت من الاسكندرية أخذت معى على افندى البنا وقدمته إليه فقال لى اعتبر على افندى البنا فى الخدمة من الان ولكن لا أضمن لك إعادته للعسكرية بل

تخدمه فى أى وظيفة كانت وتنتظر به الظروف وقد ألحقه كاتبا بالأملاك الأميرية ولحسن الحظ فقد تولى رفعة مصطفى النحاس باشا رئاسة الوزارة لمرته الثانية وأحمد حمدى سيف النصر باشا وزيراً للحربية فأخذ البنا بوظيفة يوزباشى وتطور إلى رتبة الميرالاى فرحم الله الأمير طوسون وجزا الله حكومة الوفد خير الجزاء.

اقصاء المؤلف

لقد بعث لى رجل يدعى عبد المنعم شريف رئيس النادى المصرى للمراسلات الدولية ملفاً داخله مجلة سياسية باللغتين العربية والانكليزية مزينة بصور أقطاب الساسة الانكليزى فى الشرق وكانت المقالات المنشورة لى كلها عن فظائع السياسة الانكليزية فى الشرق عموماً وفى مصر خصوصاً . وبداخل الملف كرت مطبوع به « عبد المنعم شريف » وفى ناحيته الأخرى قال بعد الدباجة « نتشرف بأن ندعوكم للانضمام للنادى المصرى للمراسلات الدولية لكى تساعدونا فى رفع الحالة عن السودان ومصر فى العالم وهو ما يسمونه بالانكليزية بروبقندة ونشكركم سلفاً » ورد هذا الملف باسمى فبعثه السيد عبد العزيز سليمان افندى المصرى وكيل بوسطة مدنى إلى النادى وهناك أخذه محمد افندى سلامه العاصى سكرتير النادى وجاء به إلى ديوان المديرية ووضعه أمامى فكان ذلك سبباً لاجراء تحقيق معى ووكيل البوسطة وسكرتير النادى أمام المستر منرو نائب المدير والذى أخاف الانكليز عنوان الملف لأن العنوان « كتب به فلان سكرتير جمعية الاتحاد السودانى » الذى هو اسم على غير مسمى . وذلك مما يدعو إلى سوء الظن بالراسل . وبينما كانت الجواسيس والمستر هدلستون جادون لمعرفة مركز رئاسة تلك الجمعية الوهمية سنة ١٩٢٤ م . إذ سيق أعضاء جمعية اللواء الأبيض إلى مراسح القضاء وأخذ رئيس المحكمة الجنائية يقول لعلى افندى عبد اللطيف ألم تكن أنت عبداً لعمدة الخندق حرر ك الانكليز وجعلوك ضابطاً فغضب كثير من الضباط السودانيين . ومما زاد الطين بله أخذ بعض المأجورين

ينشرون بجريدة حضارت السودان مقـــالات تحت عنوان هانت أمة يقودها على عبد اللطيف بإمضاء « ابن النيلين » فكتبت رداً عليها تحت عنوان « فوضى السياسة بالسودان » إليك هى سلسلة مقالات أرسلت بها لجريدة الاهرام فالمقال الأول منها صورته بعد

« ١ » ليست السياسة علم داخل فى برنامج المدارس حتى يكون للشاب فيه نصيب الكهل كلا ولكنها فى عرف العارفين بها مجموعة أفكار قانونها التجارب وقاعدتها العمل فهى ولاغرو مركب خشن وعقبة كؤد وسبيل قل أن يطهر من شوائب الأذى وعبئ ثقيل لايقوم به إلا أفراد قليلون ميزتهم الخبرة وصقلتهم التجارب علاوة على ماهم من دهاء وذكاء . فهم أشد الناس ثباتاً وأكثرهم تطوراً يتلونون فى خططهم كالحرباء لاتهولهم المزعجات ولا تتصدع نفوسهم لسماع حشرجت الأموات ولا يقلقهم أنين البائسين ولا ترق طباعهم لزفرات المنكوبين . فإنهم يضحكون فى مواطن البكاء وينضون لباس الصيف إذا استهل الشتاء . وانهم لا يرقون قطرة مـــداد على صفحات الطروس مالم يعرفوا نتيجتها ومبلغ تأثيرها . تلك هى حالة السياسيين فى العالم .

فما بالنا إذن نرى طلاب الشهرة ورواد الحظوة يتطفلون على ميادينها وكنانتهم أنقى من هامة الأصلع ليس فيها مما يعده أولئك الأبطال . رفقا أيها المغرورين لاتلعبوا بالنار ما كل مائع جاء ولا كل سقف سماء .

قرأنا مع الأسف مقالا بجريدة حضارة السودان الصادرة فى ٢٥ يونيو سنة ١٩٢٤ م بعنوان « هانت أمة يقودها على عبد اللطيف » بإمضاء ابن النيلين يحى فيها باللائمة على افندى وأفرغ جام غضبه على رأسه واطلق العنان لقلمه إلى أن أخذ يتساءل عنه على بقوله « من هو على عبد اللطيف ومن أى قبيلة فى القبائل ومن أى بدنة من البدنات فى السودان » إلى آخر ماحاكه من الترهات وغرائب الخوزعبلات . وقد فاته إن على افندى من الدنكا التى هى أكثر عدداً وأشد بأساً من جميع قبائل السودان « ١ »

« ١ » ليس هذا القول مبالغ فيه فالدنكاويون ينقسمون على ثمانى فروع وهى الدنكا عالياب والدنكا بور والدنكا مشيش والدنكا أفار والدنكا أتويت والدنكا رق والدنكا ملول والدنكا تنج والدنكا ابرهيم والدنكا ماريق وغيرها

وهم يشغلون أغلب المناطق الاستوائية وجزء منهم فى مركز أبى زيد بمدرسة كردفان

ولو توفرت لديها شروط التعليم لا يفوقها العربى لعربيته ولا المصرى لمصريته ولا الافرنكى لبياض لونه وشحوب بشرته . أنا لا اقصد هنا محض الدفاع عن على أفندى عبد اللطيف ولا اطرائه على نهجه السياسى لأن من يقف موقفه الإيجابى عادة بما يوجه إليه من المطاعن وما يلصق به من المثالب إن كان بحق أو بغيره حتى يخرج من عـــراكه منصوراً أو مقهوراً ولكنى أريد مناقشة ابن النيلين على ما صاغه من الحجج الواهية حتى أساء إلى الألوف من أبناء هـــذا القطر عموماً والضباط السوادنيين خصوصاً الذين هم أقوى دعائم الأمن فى البلاد وطالما سارت كتائبهم كأنها قطع من الليل لا يرى منهـا إلا وميض السنج لحفظ السلام بين ربوعها ولو أنه جاهل أو تجاهل ذلك ولا يعى غير المعائب

وصاحب خلتـه خليـلا وما جرى غدره ببالى
لا يحصى إلا القبيح منى كأنه كاتب الشمال

عجبا لكاتب يأنس من نفسه القـدرة على خوض غمار السياسة والتفكير فى مصير أمته وهو لا يدرى إلى كم قسم تنقسم تلك الأمة وفى أى مكان بذرتها الطبيعيـة . فلعمرى أن ذلك جهل معيب وحمق فاضح يا أيها السياسى القدير أجل الطرف بين سكان وادى النيل ألم يكن منهم الفور وقروزشاوه وبرتى ونوبه وشلك ودنكا ونمنم وكريش وجور وأنواك وبيروبرى وباريه ونوير وأمارى ومكركا وبكا وأبوكيـا ومندو ومورو ونيابره وفجلو وأشولى ولانقو ولاتوكا ولوكيا وبويا وتبوسا ومقندا وأزبارى وكافرنده وأكم وأنكولى وتميزى ومساى وحكورى ولوقبرى وألورو وكرنقو وغير ذلك مما لا يمكن حصره هنا :—

لعلك تظن أن أولئك ليس من فصيلة البشر أو أنهم ما خلقوا إلا للاسـترقاق ونير العبودية «١» كما يتوهم الجاهلون بنواميس الدين . فاذا كان أقول لك أن الرق عجز قام بالانسان سببه الكفر اى مطلق انسان لا يختص بفريق دون آخر فسيان فى ذلك الأبيض والأسود . وأما ان كانوا مسلمين فلهم ما لنا وعليهم ما علينا لقوله صلى الله عليه وسلم « الناس كلهم سواسية كأسنان المشط » أى لا فضل لعربى على غيره إلا بالتقوى .

«١» العبودية فى اللغـة هى الطاعة فان كانت قديماً بالقطاعى فالآن صارت بالجملة فجمعنا أصبحنا عبيد للانجليز وهم لا يعترفون بعتق بل عبودية دائمة .

أما نداؤك فى صدر المقال بقولك هانت أمة يقودها على عبد اللطيف . فهذا ما لا يصح صدوره من كاتب يقف فى مصاف الأدباء ولا يعلم قول نبيه عليه الصلاة السلام « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم والمرء كثير بأخيه »

لو سلمنا جدلا وكان على افندى عبد اللطيف مولى عمدة الخندق كما جاء بعدد الحضارة الصادر فى ٥ يوليو وان الرضاء بقيادته هوان ووصمة عار على أمة أنجبت أمثالك فلماذا لم تدفعك عوامل الصراحة الى نقد حكومة تفرست فيه فعرفت منه علائم الذكاء واعترفت بصلاحيته للقيادة بين أمهر الضباط الانكليز أم كنت تتحين هذه الفرصة لتنادى من وراء حجاب

« أمور تضحك الصبيان منها ويبكى من عواقبها اللبيب »

يا هذا لقد قضى نظام الاجتماع ونواميس المدنية الصحيحة على تلك الفروق التافه والأنانية الكاذبة والرجوع الى الأصول الغانية والفخر بالرفات البالية فأصل المرء ما قد حصل من مواهبه فلا يذرى به نقص أبيه فالمرء بأصغريه قلبه ولسانه

ممفخر المرء بأفعاله ٭ لا بالذى مات من أهله
وقد يسود الشخص أباءه ٭ ويشرف الفرع على أصله
ووقد ترى فرعين من دوحة ٭ تخالفا فى الحكم مع شكله
فالخل والخمر عصير وقد ٭ باين هذا ذاك فى فعله

يا هذا تنبه من سلتك وارجع البصر الى تاريخ الاسلام تجد أن اول من بدأ بتقديم الموالى على العرب نبى هذه الأمة عليه أفضل الصلاة وأتم السلام لأنه أنقذ جيشاً من الصحابه وعقد لواءه لمولاه زيد ابن حارثه . وقال الأمير زيد فان قتل فجعفر بن أبى طالب فان قتل فعبد الله بن رواحة . فانظر بربك كيف قدم زيد مع وجود جعفر ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم «١» وكانت الصحابة تسمى زيداً هذا

«١» هذا مظهر من مظاهر الدمقراطية الحقة التى جعلت دين الاسلام خير أديان البرية لولا أن طغت عليه سيول المحسوبية وغمرته بحار الحزبية . ولى سيدنا عثمان الأمويين فألب الفتن عليه وقرب محمد توفيق باشا الأتراك والجراكسة فثار الشعب عليه وولى خليفة المهدى أقاربه التعايشى فانعكست الآية وكانت النهايه بدايةوها هم الانكليز يرون أنفسهم فوق كل الكائنات حتى بجهم الناس وأقلقوا مضاجعهم بالثورات والمظاهرات

حب رسول الله . وبعد وفاة زيدعقدالنبي لواء الامارةالصحابةلابنهأسامةبن زيد على سرية كان بها أبو بكر وعمر بن الخطاب وجل الصحابه . وقد خيمت تلك السرية خارج المدينة تنتظر وداع النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنه توفى قبل ذلك فودعها أبو بكر فى خلافته فسار راجلا قابضاً بركاب أسامة وحوله أشراف العرب وكبار الصحابة الذين يلقبون أسامة بالحب وابن الحب ومن الموالى سلمان الفارسي الذى اقترح على النبى عمل الخندق فأنفذ رأيه بلا تردد . ومنهم طريف موسى بن نصير حاكم القيروان ، وهو أول من قاد جيش الأمويين واحتل جزيرة طريف بالأندلس فسميت باسمه . ومنهم مولاه الثانى طارق بن زياد الذى جاز البحر إلى الأندلس وأحرق أسطوله وقال لرجاله العدو أمامكم والبحر من ورائكم وأخذ فى تحريضهم حتى تمكن من فتح الأندلس فساد العرب بها من سنة ٩٢ إلى سنة ٨٩٦ ﻫ ومنهم غالب الناصرى مولى الحاكم المنتصر وهو أشهر قواد الأمويين بالأندلس . وقد جاء لمولاه بالملك أردن طائعاً حين قال عبد الملك بن سعيد المرادى فى قصيدة ضافية الذيول :

لا يوم أعظم للولاة مسرة ... وأشده غيظاً على الأقيال
من يوم أردن الذى إقباله ... أمل المدى ونهاية الاقبال

إلى أن قال يصف جيش الحاكم :

أضحى الفضاء مخيما بجيوشه ... والأفق أقتم أغبر السربال
لا يهتدى السارى لليل قتامه ... إلا بضوء صوارم وعوال

ومنهم أبو المسك كافور الاخشيدى حاكم مصر الذى مدحه أبو الطيب بقصيدة جاء بها :

أبا كل طيب لا أبا المسك وحده ... وكل سحاب لا أخص الفواديا

ومنهم جوهر القائد مولى المعز لدين الله فهو قائد جيش الفاطميين للقاهرة وبانى الأزهر الشريف وناسج برور الجامعة الاسلامية التى تمتد أشعتها إلى جميع أقطار العالم . وقبل أن نذهب بالقارىء بعيداً فلنذكر جلائل الأعمال التى قام بها ضباط الجيش المصرى . منهم اللواء فرج الزينى باشا رئيس أركان حرب الجيش بالخرطوم قبل سقوطها فانه أدار رحى تلك الملاحم المتواصلة ببسالة نادرة المثال حتى سلم النفس الأخير . ومنهم اللواء فرج صديق باشا (فرج أم درمان) قائد طابية أم درمان

الذى دافع دفاعا مجيداً حتى فقد الميرة والذخيرة . فأمره الجنرال غردون بالتسليم حفظاً لكرامته . وقام للمهدية بخدمات خلدت له جميل الذكر بين سكان هذه البلاد لأنه كان ضمن جيوش المهدية التى أدركت الأحباش حال انهزامهم من وقعة القلابات نائمين على ضفة نهر أتبرة وباغتتهم بهجوم كانت مجزرة بشرية غيرت ماء النهر وألبست ضفافه حلة أرجوانية وعاد الأنصار بالسبايا والأطفال . ومنهم اليوزباشى بلال افندى رزق الذى استطاع ببلوك واحد رد بضعة آلاف ولولاه وضابطان آخران لامتد لهيب الفتنة من نيالا إلى جميع أنحاء المديرية سنة ١٩٢١ م هذا إذا لم نقل بما اشتهر منهم بالعلم والحكمة كالحسين أبى الحسن البصرى وابن سيرين وابن سيدى وخلافهم مما لا يدخل فى دائرة الحصر . . . ليت شعرى كيف كانت تنادى تلك الجريدة حتى بح صوتها بضرورة الإتحاد لكى تكون الأمة ذات كينونة محترمة فى نظر العالم رغماً من شعوبها المختلفة وأمشاجها المتباينة . وفى نفس الوقت تزل بها قدم الحكمة فتجرف ما شادته بمعاول التمزيق حيث فتحت ثلمة بين صفوف الوطنيين وتركتهم يتقاذفون بشبهات من نار المطاعن على الأشخاص والتعريض بالجاسيات بدون أن تقيم لشعور القراء وزنا ولا تحسب للعاقبة حساباً مع أنها تحاك تحت سماء حكومة متمدنة لا ترضى بسب القائل فضلا عن المجرم السياسى (١) الذى يدافع عن أنبل المقاصد .

لقد سيق بالأمس الألوف من أبناء مصر السياسيين الى مراسح القضاء . لم نسمع لنائب وخزاً فى الأصول ولا تشهيرا بالجاسيات . هذا ولاشك أن الانكليز لا يعجبهم الطعن فى شعوب أول من نادى بتحريرها فى هذا القطر البرنس ادوارد ولى عهد انكلترا أى جلالة الملك السابق حيث انتدب السير صمويل بيكر بعد موافقة سمو الخديوى اسماعيل باشا لمقاومة النخاسة وقطع أوداج تجارة الرقيق فهبط بيكر فى بلدة كندكرو الواقعة فى الشاطىء الشرقى لبحر الرجاف فى سنة ١٢٨٨ هـ : ١٨٧١ م فأعلن ضم المقاطعة الاستوائية الى الحكومة المصرية وأوقف دولاب تلك التجارة المشئومة .

---

(١) قلنا ذلك دفعاً لشر الهيئة القابضة على ناصية الحكم والذى نعتقده ونتأكد منه صحته ان الذى يطلب الحرية وتصبوا نفسه الى الانصاف . إنما يؤدى واجباً شرعيا يؤثم بتركه . إذا كان عاجزاً فليهاجر كما قيل فى المثل « إن أبتك دار فكم لله ديار وإن أبتك قريش فكم لله أنصار » .

. لاجرم ان تلك النفثات الفاسدة والنزعات الشريره والأقلام الطائشة إذا لم توقف عند حد محدود فستصبح البلاد فى انشقاقات دائمة وبراكين ثائرة بين العرب وغيرهم من مواطنيهم لأنه لا يعقل ان يسمع شخص سب أبيه وأخيه وصديقه ولا يغضب كيف لا وقد قال أحد الحكماء (إذا رأيت الغلام فى المكتب يستمع سب أبيه ولا يتميز غيظاً فبشر الأمة التى سيكون عضواً منها بالانحلال والدمار) فاننا نستلفت نظر الولاة فى حكومتنا السودانية إلى ايقاف تيار تلك المقالات المخالفة لشعائر الوطنية والقوانين المرعية ليمثل كاتبوها غير هذا الدور العقيم وليترك المجرمين السياسيين للحكومة وحدها حتى لا تتشعب القضية إلى قضايا وتتعدى المطاعن إلى ضحايا .

أما الجريدة فالأجدر بها أن تقف موقف المخبر والزاجر والواعظ بالحق والمربى بالحكمة والمشير بالصواب والمنذر بالبرهان والرائد إلى الفلاح ان كان غرضها خدمة البلاد والسير بها إلى الأمام كما تزعم وإلا ربما اضطر الوطنيون إلى مقاطعتها فتصبح كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله . هذا وانى أصرح بقوميتنا المتحدة ورابطتنا المحترمة بجميعنا أمة واحدة كالحلقة المفرغة لا يدرى من أين طرفاها رغماً عن رعاة التفريق وأنصار الملق والله ولى التوفيق ؟ فى ٢ ذى الحجة سنة ١٣٤٢ هـ : ١٩٢٤م

الامضاء

محمد عبد الرحيم

أرسلت هذا المقال لجريدة الأهرام بالقاهرة فكانت النتيجة ان قلم المراقبة فى حلفا حجز عليه ومنعت الأهرام من دخول السودان وورد تلغرافان من المالية بالخرطوم لمدير النيل الأزرق بمدنى بينهما أقل من ثلاث ساعات يانخصان فيما يأتى الأول قيل فيه (نقل محمد عبد الرحيم لبحر الغزال) والثانى (الحاقاً لتغرافنا اليوم لا تقبلوا منه أى معارضة) ثم أرسل كتاباً سرياً لمدير بحر الغزال بأن يعثى إلى كفاكنجى التى تبعد عن واو عاصمة المديرية ٤٠٠ ميل غرباً مع حجز الصحف التى ترد باسمى وكانت هذه رحلة أفادتى غاية إذ مهدت لى بحث تاريخ قبائل بندا وبلندا وكريش وفروق ونقلقلى وشات ويولو وآجا والمنقايات وينق وكارا واندرى ولمبه لاسيا ووقفت على خنادق واستحكامات الحروب التى نشبت بين الزبير باشا وآدم البلالى بك أول مدير عينه سمو اسماعيل باشا خديوى مصر وبين سليمان الزبير وحملة جنى باشا ثم سرت فى طريق فلول جيش سليمان المنهزمة إلى جبال كتواكا جنوب

كفا كنجى . ووجدت بعض الذين اشتركوا فى تلك الحرب وكانت أعمارهم تربو على المائة عام وصفوا لى تلك المعارك بدقة فملأت مذكراتى بأخبارها ومن حسن المصادفات تزوجت الميرم خاطره بنت السلطان ناصر اندل أكبر سلاطين بحر الغزال ورزقت منها بابنى بدر الدين الذى كان طالبا بمدرسة أسيوط الثانوية إلى سنة ١٣٦٦ هـ : ١٩٤٧ م فالحكومة خدمتنى من حيث لا تريد فيا حبذ النفى الإدارى الذى كان كما قيل فى المثل السودانى (قطعوا إيده وصحت للطنبورة)

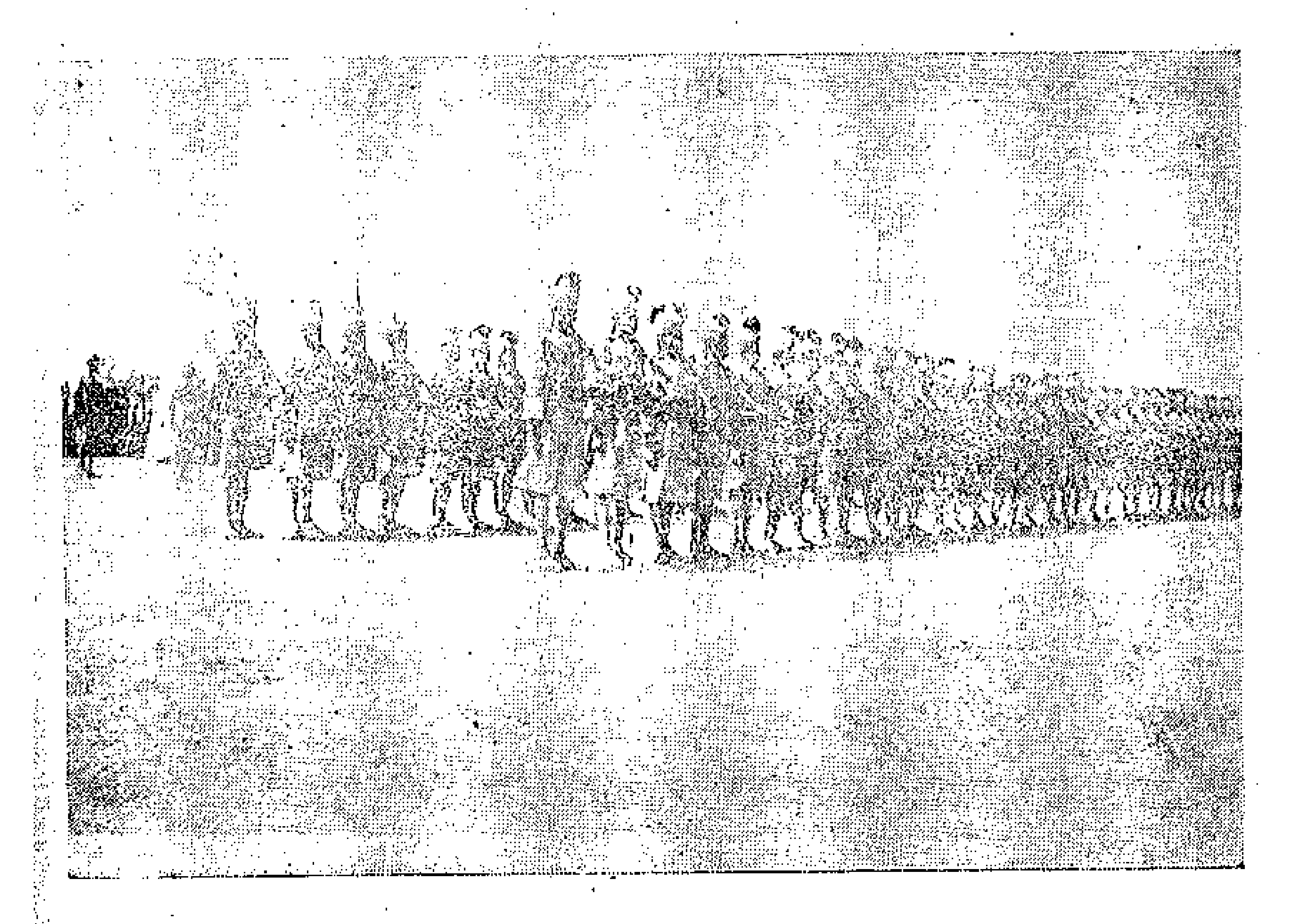
وقد انشد قصيدة لمناسبة مولد النبى فى ١٢ ربيع سنة ١٣٦٦ هـ بين رجال الأورطة المصرية المعسكرة بأسيوط فقوبلت بحماس شديد وإليك نصها

زمان تولى وعهد مضى ... وشمس تغيب وليل بدا
وأنجم تهوى كأن لم تكن ... وصوت يخف ويبقى الصدى
ومجد العروبة أضحى كزرع ... هشيم الفروع خلى الندا
فذكرى النبى ونور الهدى ... ليحى القلوب وها قد بدا
ظلام الجهالة غطى البلاد ... فكان النبى لهم مرشدا
وليل عبوس أحاط الديار ... ونور الرسول بعيد المدى
أتاهم وكان لهم منقذا ... فكم من عنيد له فاهتدى
حليم كريم جميل الصفات ... وكل بنور النبى إقتدى
وكل الصحابة أبناؤه ... ويكفيهمو جالسوا أحمد
فكانوا بحوراً لكل العلوم ... وكانوا دعاة الهدى سجداً
وكانوا حماة لحق الضعيف ... وها ذكرهم لم يزل خالداً
فساسوا القبائل من بعده ... وكم فى الحروب ترى مشهداً
وسادوا البلاد ودكوا القلاع ... وإيوان كسرى بدا شاهدا
ومن بعدهم كل شىء مضى ... وكل جميل طواه الردى

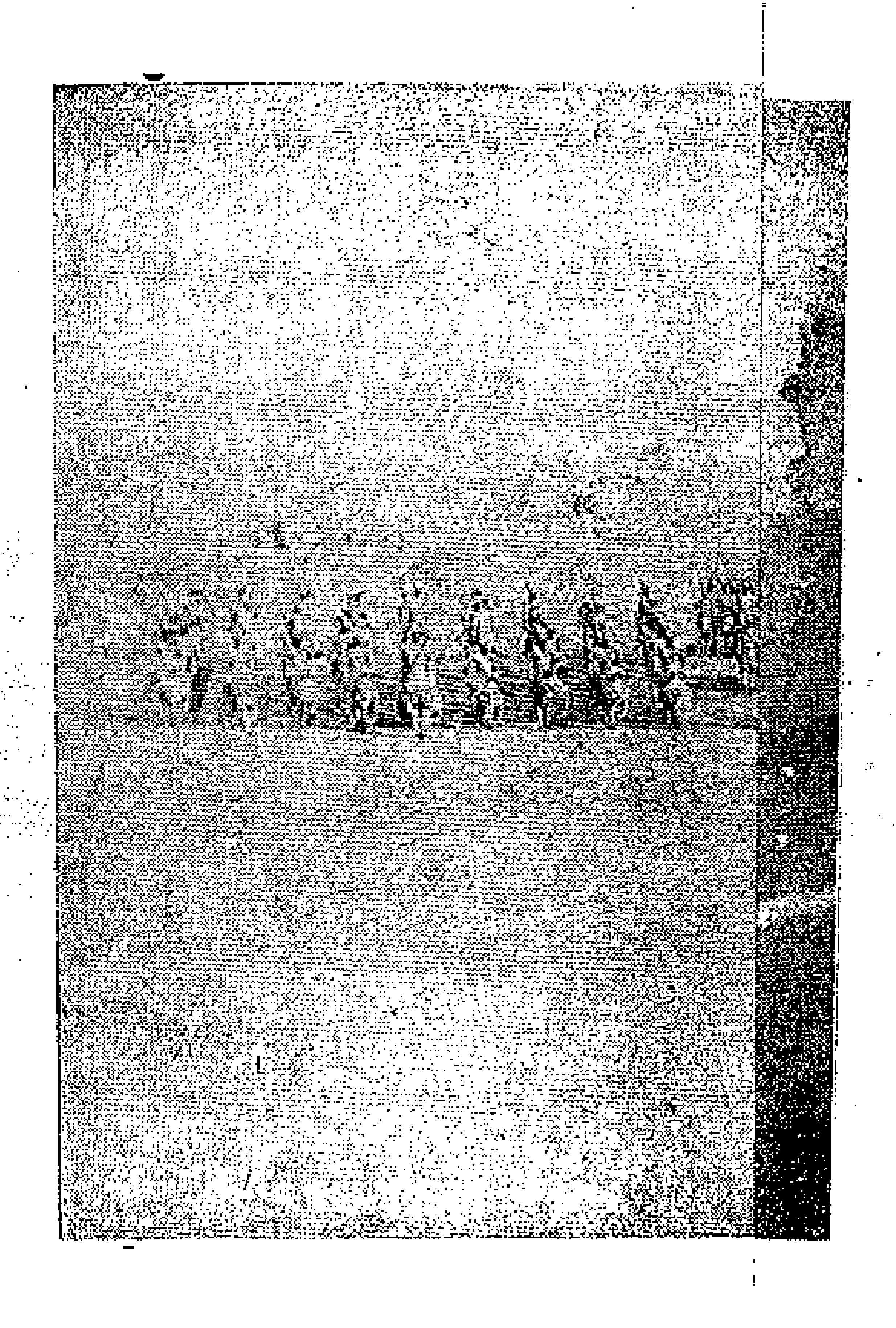
فدان الغرب لهم بالجميل ولكنهم أصبحوا مردا
يسيئون من كان عوناً لهم يقودونهم لطريق الهدى
تضايقهم حاجة للعلوم فكانت دمشق لهم موردا
رجال البلاد جهلنا السبيل فهلا وجدنا فتىً مرشدا
علينا حمول ثقلنا بها ضللنا الطريق ولم نرشدا
فنحن الرجال ونحن الحمى فشلنا لخلف فضموا يدا
تركنا دخيلا مسيئاً لنا وكم قد وعدنا وما حددا
فصرنا العبيد بأوطاننا وكان الدخيل لنا سيدا
شباب البلاد وأسد الوغى همو للبلاد الحمى والفدى
فلا تهدموا ما بناه الأولى فهم أسسوه لنبنى غدا
وكونوا جميعاً كأسد الشرى إذا السهم فى صدورهم سددا
فقوموا وجوبوا بساح الوغى فهيا يومكم فجره قد بدا
حماة البلاد وروح الوطن بنا للجهاد ننل سؤددا
فإنى شقيق لكم مخلص وقفت بكم هاتفاً منشدا
فإما حيينا حياة الرجال وإما اتخذنا الثرى مرقدا

الطالب
بدر الدين محمد عبد الرحيم السودانى

١١ جى أورطة سودانيه



كانت عبارة عن جندرمة لحفظ الأمن فى مصر ولما اجتاح دعاة المهدية الجيوش المصريه والانكليزيه وتقلص ظل النفوذ المصرى بالسودان وجعل مركز الحدود خور موسى باشا جنوب حلفا يبعد عنها ببضعة أميال . هناك جمعت تلك الجندرمه وكونت منها الأورطة الحادية عشر التى كانت تعسكر فى أم بابى وقد حدث أن جنديا منها طلب من أحد تجار أم بابى يفك له جنيه من الذهب فدفع له ٩٧٥ مليما فظن الجند أنه يستحق ١٠٠ قرش فحدثت مشادة بين التاجر والجندى الذى قامت كل جنود الأورطة لنصرته فنهبت أم بابى وضرب التجار ضرباً مؤلماً فعقدت وزارة الجهادية مجلساً قررت فيه الاستغناء عن خدمات ١١ جى إلا أن سمو محمد توفيق باشا رأى أن يكتفى بنزع السلاح منها الى أجل غير مسمى ونقلها الى سواكن فى ابان حصرها بجيوش عثمان دقنه وفى ذات ليلة صدر لها الأمر بالهجوم



كانت ٢١ جى بسودانيه بملـكال جنوب الخرطوم تبعد عنها ٨٣٢ كيلو متراً وكان

[illegible]

على كتيبة من أنصار المهدية وما كان لديها سلاح عدا عصى الفلاحين الغليظة فخرجت من الاستحكام فى هجعة من الليل وباغتت الأنصار بهجوم انتصرت فيه واستولت على مدفع العدو فسر محمد توفيق باشا لبطولة جنود الأورطة وأمر أن يعاد لها السلاح ومنحها ريشة ذات لون بهى جميل المنظر . وانها اشتركت فى واقعة الجميزة وواقعة توشكى واشتركت فى استرجاع السودان من سنة ١٨٩٦ م وثارت على ماثيوس بك بأم درمان بسبب الجبخانة وختمت حياتها بثورة سنة ١٩٢٤ م

١٢ جى أورطه بملكال



البكباشى احمد حسين

كانت ١٢ جى بسودانيه بملكال جنوب الخرطوم تبعد عنها ٨٣٢ كيلو متراً وكان

قومندانها القائمقام ناب بك الانكليزى ومعه لفيف من الضباط المصريين والسودانيين وكان أركان حرب الأورطه الصاغول واغاسى احمد افندى حسين المصرى المولود بالتاكا . وكان الضباط والجنود متأثرين بحوادث مصر سنه ١٩١٩ م وفى سنة ١٩٢١ قدم اللورد ألمبى نائب الملك بمصر ولمجرد وصوله للخرطوم دعا الأعيان الى اجتماع خطب به زعيم دينى بقوله « السودان قطر قائم بذاته يتطلب استقلالا قائماً بذاته » فأذاعت الصحف المصرية تلك العبارة التى يقصد بها فصل السودان عن مصر . فاستاء الناس . وكثر القيل والقال . وأخذ بعض الزعماء يعد عرائض الولاء للحكومة الإنكليزية ووقف الناس حائرين عند مفترق الطرق ففريق تهور ورأى اخراج الإنكليز بالسيف دون أن يلاحظوا ضعفهم فى جانب العدو وذهب آخرون الى التريث ريثما ياتى سعد زغلول باشا من مطالبه السياسية بشىء يخفف تلك الأزمة شيئاً ما .

وفى سنة ١٩٢٣ حدث اجتماع بميس الضباط بملكال حضره موظفوا المديرية ولفيف من التجار كان فى مقدمته الفقيه عوض الله سر تجار ملكال وقد استدعى اليوزباشى فوزى افندى نصر الدين لإلقاء كلمة تتناسب مع ذلك الحفل العظيم وكان فوزى جريئاً الى درجة التهور فقام وقال انى لم أعد خطاباً خاصا لهذا الجمع غير أنى رأيت مناماً كأنى أسير فى طريق تشعب الى ثلاث شعب يميناً وشمالا والى الأمام فسرت فى الأولى وبينما أنا جاد فى سيرى إذ رأيت شخصاً طويل القامة كبير الهامة يتلألأ صدره بالوسامات ذوات الصلبان وحوله رهط من الضباط فقبضوا على وأودعونى فى زنزانة لا تتجاوز متراً طولا فى عرض متر بت بها ليلة تساورنى المخاوف وفى الصباح الباكر جاءنى ذلك الشخص ورهطه وقدم لى عريضة طلب إلى التوقيع عليها فنظرت إليها فرأيت نقطاً من دموع الذين وقعوا قبلى فرفضت التوقيع قائلا السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه ثم انتبهت من المنام وعلى ابن سيرين تفسير الأحلام مشيراً بسبابته الى الفقيه عوض الله الذى قال له انشاء الله سنفسر هذه الرؤية بوطنية أبلغ من وطنيتك. فقام أحد الخبثاء وأبلغ المستر استروفى المدير قائلا ان اليوزباشى فوزى افندى ألقى خطاباً سياسيا حمس الناس به . وماكاد يبدوا حاجب الشمس من صباح الغد حتى أعلن فوزى افندى بالإيقاف ولبس سيفه وسار حوله ضابطان عظيمان هما البكباشى اسماعيل افندى حافظ المصرى فى يمينه والصاغول

أغاسى أحمد افندى حسين فى شماله فدخلا به الى مكتب المستر استروفى المدير الذى كان يجلس حوله أعضاء قومندان الأورطة والمفتشون فقال له المدير أنك ألقيت خطاباً سياسيا فى الاحتفال بالأمس فقال له كلا ولكنها رؤية منامية طلبت تفسيرها ان كانوا للرؤية يعبرون وبعد أخذ ورد أمرنى المدير بالانصراف

وفى عيد الأضحى من تلك السنة حدث احتفال عام فى معسكر الأورطة قام فيه فوزى نصر الدين بإلقاء خطاب ندد فيه بالإستعمار وطلب إخراج الإنكليز من البلاد لكى نحى حياة طيبة فانصرف الإنكليز وأرسلوا فوزى الى المخابرات بالخرطوم وأقصى منها الى مصر

مظاهرة ١٢ جى سودانيه

ان اعتقال فوزى وما تلاه من ضروب الضغط وسوء المعاملة جعلت الأورطة تقوم بمظاهرة مسلحة فقد صرفت الجبخانة وأوقفت قره قول على المخازن وسارت الأورطة فى هيئة طابور تعزف أمامه الموسيقى وترفع أمام الموسيقى صورة جلالة الملك فؤاد الأول وكان الهتاف بحياته وحياة مصر والسودان وسقوط انجلترا وكان المنظر رهيباً والجو السياسى قاتماً والإنكليز يحسبون ألف حساب لتلك الحركة التى لم يجرأ بمجابهتهم بها أحد

ثم قبض على سليمان داود وزج به فى السجن وعلى أثر ذلك ظهر انذار من مجهول يقول فيه ان لم يفرج عن سليمان داود سيقتل جميع الإنكليز بملكال . فعز الجواسيس ذلك الى جماعة من الضباط فعليه أمر جماعة منهم بالقيام الى الخرطوم واليك أسماءهم :

١ الملازم ثانى عبد العزيز افندى حيدر مصرى
١ « « محمد افندى شريف «
١ « « على افندى البنا جعلى
١ « ابراهيم شريف افندى
١ « عزيز شريف افندى

وحكم على صف ضباط الأورطة بالسجن لمدد مختلفة

وذلك بعد أن شكلت محكمة عسكرية لمحاكمة الملازم أول ابراهيم افندى علام فبرأته المحكمة لعدم وجود الاثبات . هذا وقد استطاع البكباشى أحمد افندى حسين أن يهدىء خواطر الضباط وأفهمهم ان ماقاموا به ماهى إلا فتنة لاتجدى بفائدة .

وبالرغم من ذلك أبرق المدير للسردار طالبا انجاده بقوة انكليزية فأجيب طلبه وقامت فرقة انكليزية على باخرة لإنجاده ولكنها فى يوم سفرها اصطدم السودانيون بالإنكليز فأرسل تلغراف لقمندان الباخرة بأن يعود إدراجه لأن الجنود الإنكليزية فى حاجة ملحة لإنجادهم ولما بلغت الباخرة الدويم قابلها مدير النيل الأبيض وسلمها التلغراف قال لى موظف جاء بالباخرة مع الانكليز لقضاء أجازته بأم درمان انه لما جازت الباخرة جبل أولياء شمالا شاهدت جنديا من ١١ جى أورطة سودانية يقف بشاطىء النيل بين غابة كثيفة من العشر فتقدم جندى انكليزى وأطلق عليه عيارا ناريا جندل به ذلك الجندى فخرج الجنود لإصابة ذلك العدو وعرجت الباخرة إلى يمين النيل ثم أنزلت ثمانية جنود على فلوكة لاحضار سلب القتيل وبندقيته وما كادت الفلوكة تصل الشاطىء إلا وسمع صوت عيار من داخل العشر صرع أحد الجنود الثمانية الذين أخذ القاتل يصرعهم واحدا بعد واحد حتى قضى عليهم وأخذ بندقية المقتول وذهب الى حيث أراد أما الباخرة وجنودها فانهم انسحبوا إلى داخل النيل واستأنفوا السفر إلى الخرطوم وأبرقوا منها لمفتشين جبل أولياء بشأن الجنود المقتولين فى الفلوكة .

مقتل السير لى ستاك

إن السياسة التى انتهجها السير لى ستاك كما تلقها من الوزارة الانكليزية فى لندنا غيرت الأوضاع وأوغرت الصدور عليه لأنه المنفذ لها فأضمر له شراً بمصر وسودانها غير أن المصريين أسرعوا فى اغتياله ولو تريثوا ربما تناولته أيد أخرى .

وبينما كان خارجاً من وزارة الحربية المصرية بالقاهرة فى يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٩٤٢ يرافقه ياوره البكباشى كامبل إذ قابلة رهط من الشبان الإرهابيين يرتدون الملابس الأفرنكية وبيد كل منهم مسدساً فأطلقوا عليه الرصاص بطريقة خاطفة وفروا بسيارتهم إلى جهة غير معلومة وتركوه يتضرج فى دمه فأخذ السير لى إلى الأسعاف وأخذ الأطباء يحاولون عبثاً تخفيف ويلاته وإنعاش نفثاته وهيهات فإن الإصابة كانت فى الصميم وقد أذاعت شركة روتر نبأ الحادث فكنت يومئذ على رصيف محطة مدنى

لأوصل أولادى لأم درمان وأقوم لبحر الغزال وما كاد القطار يصل بنا محطة الحصيحصة حتى قابلنى اليوزباشى أحمد افندى عطية المأمور « لواء وزير الحربية الآن » تلوح على سماته علامة الغضب فقال لى ماذا الخبر ؟ فقلت أوغتيل السيرستاك بالقاهرة فقال فى حسرة وتوجع هذه مصيبة على مصر ولم يستطع الكلام أكثر من ذلك فاستلفتنى إلى مراقبة النتائج .

وفى يوم السبت ٢٣ ربيع الثانى سنة ١٣٤٣ ﻫ : ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤ أذاعت جريدة حضارة السودان بعدد ٣١٨ النبأ الآتى :—

« انتقل السير لى ستاك إلى رحمة الله تعالى الساعة ١١ والدقيقة ٤٥ مساء » هذا ومما يؤسف له كانت تلك الطلقات المشؤومة باعثاً إلى سلسلة مصائب على مصر إذ فرض الانكليز عليها دية لم تفرض على اليهود عندما صلبوا المسيح ، وهاجت الصحف الأوربية والأمريكية وعملت من الحبة قبة على أنه اغتيل اللورد موين من يد الإرهابيين اليهود فلم تسمع لنبائه أكثر مما تتمناة عن الجرائم العادية أما مقتل لى ستاك فإنه دثر القضية المصرية وانفرط به عقد طالما بذلت الجهود لتنظيمه ألا وهو السعى المتواصل لجلاء الانكليز فبعد أن كانت مصر طالبة أصبحت مطلوبة إذ عزا الانكليز تدبير الجريمة إلى مجلسى النواب والشيوخ وبنوع خاص ألى المرحوم سعد زغلول باشا وأخذوا فى البحث بمصر والسودان لعلهم يجدون قصاصة ورق يأخذونها حجة ولكن ذهبت تلك الجهود كادراج الرياح ، ومع ذلك فإنهم سلكوا سبيل الإستبداد والتعسف شأن الغالب مع المغلوب .

السير لى ستاك

ولد الميجر جنرال السير لى التفر فيتز موويس ستاك فى ١٥ مايو سنة ١٨٦٨ م وتلقى دروسه فى كلية كلمتن والمدرسة الحربية فى سندهارست والتحق بالجيش البريطانى سنة ١٨٨٨ م وترقى إلى رتبة ميجر سنة ١٩٠٩ م ثم إلى رتبة كولونيل شرف سنة ١٩١٤ م وإلى رتبة ميجر جنرال سنة ١٩١٧ م

وكان أركان حرب القوات الانكليزية التى احتلت جزيرة كريت سنة ١٨٩٩ أثناء الثورة وبعد التحق بالجيش المصرى وفى سنة ١٩٠٢ م قاد حملة عسكرية لحرب الدنكا فى بحر الغزال وقد أنعم عليه بالنياشين العثمانى من الدرجة الرابعة ثم عين

سكرتيراً إلى السير رجيلند ونجت حاكم السودان العام وسردار الجيش المصرى. وفى سنة ١٩٠٨م عين وكيلا لحكومة السودان ومديراً للمخابرات بمصر. وفى سنة ١٩١٧م تعين سكرتيراً إدارياً بالخرطوم بعد أن منح نيشان القديسين ميخائيل وجورجى من درجة رفيق سنة ١٩١٤ . وفى سنة ١٩١٦ عين حاكماً عاماً للسودان وسرداراً للجيش المصرى ولقد منح نيشان النهضة من ملك الحجاز فى سنة ١٩٢٠م وكذا نال نيشان الامبراطورية الإنكليزية الأول .

ولقد كانت فى عهده مشاكل سياسية وأزمات مالية تمخضت بها الحرب العظمى ولكنه وفق بعض التوفيق إلى تهدأه الخواطر بزيادة المراصلات بمد سكة حديد كسلا وإنشاء خزان ستار وإن يكن خيره للشركة الانكليزية الزراعية وفتح المدرسة الطبية وفتح مدرسة وكلاء المآمير التى كان دخولها قاصراً على طائفة مختـــارة ممن وصفوا بالإخلاص والإخلاص فى عرفهم معلوم لا يحتاج إلى إسهاب فى الإيضاح والذين أخذوا وعرف منهم الإباء وعدم الانقياد لأغراض السياسة الأنكليزية اقالوهم أو أقاموا فى سبيل تقدمهم الحواجز . ومنح سلطه لزعماء القبائل أكثر مما كانوا هذا فيما يختص بالوطنيين أما الانكليز فإنه ترك لهم الحبل فى الغـــارب حتى أصبح كل منهم فى محيط دائرة نفوذه يولى ويعزل ويفرض الضرائب ويوقـع الأحكام كما يشاء فأعماله غير قابلة النقض فإذا شكوت المفتش أو المدير إلى السكرتير أعيدت أوراق الشكوى إلى المفتش وهنا الويل والثبور من غاية الأسور . وقد كانت تلك المعـاملة السيئة من أقوى دعائم الكراهة لأنها من الأمور التى تتعارض مع نواميس النشوء والارتقاء لمحاربة الفضيلة فى المواقف والتفويض للمفتشين الذين لا تتجاوز أعمارهم الحلقة الثالثة بأن يتصرفوا فى الأحكام بطرق شاذة قد لا تتفق مع الكتب السماوية ولا القوانين الوضعية فثـار الناس وتحركت مشاعرهم وأصبحوا يتبرمون من ذلك الكابوس الذى كان ولم يزل جاثماً على أنفاس الشعب .

تحرج الحـالة

لقد وقع نبأ اغتيال السير لى ستاك وقعاً ثقيلا من نفوس الانكليز ويظهر من الإجراءات التى اتخذوها أنهم كانوا يتوقعون حدوث حرب بالخرطوم لأنهم

عطلوا المدارس وقفلوا دواوين الحكومة ونشروا جنود ١١ جى أورطة فى شوارع وأزقة الخرطوم قال لى أحد الأصدقاء بينما أنا أسير فى الشارع المقام به تمثال الجنرال غردون سمعت محادثة لاثنين من الجنود السودانية قال أحدهما لآخر يقف على بعد عشرة خطوات منه : « مع من تدافـــع إذا نشبت الحرب فأجاب المسئول قائلا : لا لزوم للكلام الآن وإنك لتعرف مع من أدافع » فقلت لمن حولى الحرب واقعة لا محالة وكان الناس يرددون حديث الحرب همساً مع أن الأحوال هادئة .

رفض سعد زغلول باشا

كان سعد زغلول باشا كثير الحزم قوى الإرادة لم ير داعياً للخوف ولا مندوحة إلى إلصاق جريمة القتل بمصر وإنما هى جاءت من مكامن الجمعيات السرية التى لا يكاد يخلو منها مكان ولكن المندوب السامى بمصر كلف السير وازى استرى السكرتير القضائى النائب عن حكومة السودان بالخرطوم بطرد الجيش المصرى فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ ولكن الضباط المصريين رفضوا فى أول الأمر الإذعان مالم تأمرهم حكومة مصر بالجلاء عن السودان وكانت يومئذ ٣ جى أورطة مصرية بقيادة محمد بك يحيى باشا والطوبجية بقيادة الميرالاى أحمد بك رفعت بالخرطوم بحرى تقابلان الطابية الانكليزية والمطار ومعسكر الجيش الانكليزى وقد كثر الهمس والقيل والقال وكانت المؤامرة ضارية أطنابها بين المصريين والسودانيين وأكد بعضهم لبعض على أن السودانيين يبدأون بالثورة بالخرطوم وإذا ما انصرفت الأنظار إليهم باغتت المدفعية المصرية و٣ جى أورطة بضربة من الخلف، ولقد أحكمت حلقات المؤامرة ولم يبق عدا التنفيذ ولكن أين الوفاء ؟ ؟ .

شهدت تلك الأزمة التى صيرت الضباط المصريين والجنود يلزمون ثكناتهم كأنهم لم يكونوا بالعاصمة وهناك طائفة من الموظفين كانت تهول وتبالغ فى استعداد الجيش المصرى لهدم الطابية ودور الانكليز وجعلها كوماً من الأنقاض حتى أشاعوا على سكان القسم الشرقى من الخرطوم قائلين يجب أن يخلو منازلهم لكى لا يتعرضوا لنيران المدفعية المصرية وحتى أن بعض الناس توهموا صدق الخبر ونزحوا عن دورهم ٤٨ ساعة وهيهات رحم الله القائل :

زعم الفرزق أن يقتل مربعاً   فأبشر بطول سلامة يا مربع

« حركة ١٠ جى أورطة »

كانت الأورطة العاشرة السودانية معسكرة فى تلودى عاصمة مديرية الجبال وكان قومندانها القائمقام كلكهون بك الانكليزى الذى كان جباراً متغطرساً وكان كل ضباط الأورطة من المصريين ماعدا ستة منهم سودانية . ولما حدث مقتل السر لى ستاك بمصر احتجبت الأخبار فى تلودى، إلى أن فوجىء العالم فى وادى النيل بقرار وزارة السر بلدوين بالغرامة المصرية وطرد الجيش المصرى من السودان . وهناك تصرف كلكهون بك تصرفاً مثيراً للعواطف حيث خرج بالأورطة طابوراً كالمعتاد دون أن يصدر أمراً واضحاً عن القرار الوزارى الانكليزى ، وبعد أن وقفت الأورطة فى الميدان . قال لجنودها على مسمع من الضباط المصريين (يجب أن لا تحيوا الضباط المصريين التحية العسكرية) ثم قال للضباط المصريين انصرفوا عن الاورطة فأذعنوا لأمره وقفلوا راجعين إلى الميس ولم يبق عدا السودانيون وهم :

١ — اليوزباشى خضر افندى على
٢ — الملازم أول محمد افندى جلال
٣ — الملازم ثانى عبد الحميد افندى فرج الله
٤ — « « سيف افندى عبد الكريم
٥ — « « محمود افندى صدقى
٦ — « « محمود افندى التومى

حدث ذلك فى الساعة ٦ والدقيقة ٣٠ وفى الساعة ٨ صباحاً عادت الأورطة إلى ثكناتها واجتمع الستة ضباط الموضحة أسماؤهم باخوانهم المصريين بالميس وأقسموا بأن لايخرجوا لطابور طرد منه الضباط المصريون . ولما كانت الساعة ٩ صباحاً خرجت الأورطة إلى الميدان ، ولما خرج القومندان ولم يجد بها عدا صول التعليم المدعو على افندى جابر ، امتعض كلكهون بك وقال أين الضباط السودانية . فقيل له رفضوا الخروج وهاهم انضموا إلى الضباط المصريين بالميس فانتدب (بلتونا) يتألف من ٤٤ جندياً صرف لكل جندى ٧٥ طلقة جبخانة وأمر أولئك الجنود بعمل (كردون)على الميس ثم قال لهم (أى ضابط يعارضكم بأن يحاول الخروج اقتلوه وأنا المسؤول !!) فبقى الضباط ثلاثة أيام فى ذلك الحصر . وفى اليوم التالى جاء بلتون

آخر استلم من الأول وكان الأخير من بلوك اليوزباشي المصرى (محمد افندى السرساوى الثالث) فارتجل هذا عبارة مؤثرة فى جنوده تتلخص فيما يأتى : (إنه من المعلوم لديكم إننا وأنتم إخوان فى الدين والجنس واللغة . فكيف إذن تأتمرون بأمر رجل أجنبي لاينظر إليكم إلا كحيوانات مسخرة لإرادته ؟؟ أين منكم عصبية الوطن والدين والجنسية . وما الفائدة إذا كان يقتل بعضنا بعضاً بأمر عدو لا تربطه بنا أى رابطة ؟؟) فبقى جماعة البلتون فى ذلك اليوم وهم فى أشد حالات الإنفعال . وفى اليوم الثالث جاء (بلتون) من بلوك خضر افندى على السودانى الذى قام بدوره وألقى فى جنوده خطابا مؤثراً . فقال له الجنود (نعم إنكم إخواننا ولكنكم لم تأمرونا بشىء تأخرنا عنه) فقال خضر افندى : إذن نفهم من كلامكم هذا أنتم خاضعون لما تأمركم به . فقالوا كيف لا ونحن جميعاً يداً واحدة على هؤلاء الاعداء . فقال لهم اذهبوا واحضروا لكل منا مسدسه فى منزله . فأسرع بضعة جنود إلى دور الضباط وأحضروا لهم المسدسات وجبخاناتها وفى الحال حشى كل ضابط مسدسه وأمروا البروجى بأن يضرب نوبة «كبسة» وكسروا مخزن الجبخانة وملأ كل جندى حقيبته منها ووقفوا صفاً ثم وضعت المكسم وأدخل الشريط بها وتكهرب الجو فى ساعة واحدة . وبينما هم يقفون تلك الوقفة الحماسية إذ جاء القائمقام ككهون بك وخطف الزناد من المدفع فاضطربت الأورطة وصوبت فوهات البنادق عليه مهددة له مالم يعيد الزناد إلى المدفع كما كان . وفى أثناء ذلك قدم الميرالاى نورسكوت بك المدير وقوامندان القسم الذى هدأ الحالة ودعا الجنود إلى السكينة وأفهم الضباط بأن ينزلوا إلى مصر كقرار حكومة انكلترا وموافقة حكومة جلالة الملك فؤاد الأول . أما الضباط السودانيون فيستثنون من ذلك . فقال الضباط السودانيون نحن مصريون وأقسمنا يمين الطاعة لجلالة ملك مصر فلا بد لنا من السفر مع إخواننا المصريين . فقال لهم إذن اعطونى تعهداً منكم إذا أنشىء جيش جديد بالسودان لا تطالبون بالخدمة فيه فأجابوه على ذلك وكتبوا تعهداً أمضوه له . وهناك صرح لهم بالنزول مع المصريين ولكن أبرق إلى الخرطوم سراً . وقد قام بلوك من الجيش الانكليزى للقاء الستة الضباط السودانيين بمحطة كوستى التى تبعد جنوباً عن الخرطوم ٢٨١ كيلو متراً وإلقاء القبض عليهم وإحضارهم إلى الاعتقال فى الطابية الانكليزية بالخرطوم ليذيقونهم صنوف الاضطهاد مع المتظاهرين وغيرهم من المجرمين السياسيين الذين

ضاقت بهم عرصات السجون !

هـذا وقد أشيع فى الخرطوم بأن الاورطة العاشرة فتكت بقومندانها ومدير الجبال وتفرق جنودها والضباط بين الجبال والاودية . وإن عرب البقارة متحفزون لنهب البلاد والقضاء على الموظفين والتجار . فقامت فى الحال ٣٢ أتومبيلا مدرعاً ومسلحاً بمدافع المكسم من الجيش الانكليزى بالخرطوم وقابلتها أربعة بلوكات هجانة قامت من بارا والأبيض ، وكان قائد تلك الحملة الميرالاى رينولدس بك قومندان الهجانة . قال لى الملازم أول نايل افندى على الذى نقل من ١٠ جى أورطة سودانية وغادر تلودى قبل حدوث تلك الكارثة . قابلت بلوكات الهجانة التى نقلت إليها فى أثناء طريقها إلى تلودى ، فما كاد يرى قومندانها .علامة ١٠ جى أورطة فى طربوشى حتى أخرج مسدسه يريد إطلاقه على لولا أن صاح به أحد الضباط السودانية قائلا له « هذا نايل افندى المنقول إلينا قبل حادث الأورطة ! » فثاب القومندان إلى رشده وأعاد مسدسه . ثم عدت مع تلك القوة إلى تلودى التى كانت فى أخطر الحالات لأن البقارة أبعـدوا الأولاد والنساء عن البلد وأحـدقوا بها قريباً إلا أنهم كفوا لمجرد وصول تلك الحملة . هذا وقد رقى الصول على افندى جابر لرتبة الملازم وأبقى وحده بالأورطة التى أخذ فى تسريحها شيئاً فشيئا ، وما كاد يمضى عام ١٩٢٥ م حتى صارت أثراً بعد عين . هذا وقد حرم الجيش المصرى من تلك الأورطة الباسلة ذات العلامة السوداء التى كان لها اجمل الأثر فى وقائع الجميزة . وتوشكى . وإرقين . وفركه . والحفير وابو حمـد . وبالسودان سنة ١٩٢٧م واتبره . وكررى . والسودان سـنة ١٨٩٩ الرصيرص . وبحر الغزال . وبالسودان ١٩٠٠و١٩٠٢ ضد النمنم والقضاء على السلطان يمبيو هـذا ولنترك مسألة الضباط المعتقلين إلى فرصـة اخرى لأنهم ادغموا فى غيرهم من المعتقلين السياسيين كما اسلفنا .

مظاهرة الهجانة بالأبيض

كان اليوزباشى محمد صالح جبريل قائدا لبلوك الهجانة بالأبيض عاصمة كردفان ولقد رأى أن يساهم فى تلك المظاهرات المسلحة فسار ببلوكه على الهجن شاكى السلاح طاف بين جدارين من الرجال والنساء تزغرتن وكان الهتاف بحياة جلالة فؤاد الأول ملك مصر والسودان وكثيراً بحياة الزعيم سعد زغلول باشا فهال الأمر جماعة الإنكليز



اليوزباشى محمد صالح جبريل

وأنحوا باللائمة على أبيه صالح بك جبريل الذى كان لهم كالباصرة التى ينظرون بها الطريق الاستعمارى أما محمد صالح جبريل فإنه لا يبالى بشىء فى سبيل ولاءه لمصر وكان أحد الضباط الذين فضلوا البقاء بالسودان ولما زرت القاهرة فى أكتوبر سنة ١٩٣٤ وجدته يقود بلوك الهجانه فى عين شمس مع القائمقام عبد الرحمن ابراهيم بك المصرى ثم ترقى إلى رتبة القائمقام وعاد لوطنه أم درمان إلى أن توفى إلى رحمة مولاه بها .

حركة ١٣ جى أورطة بواو

« مقتطفات من تقرير الملازم أول زين العابدين عبد التام الذى رفعه إلى سمو الأمير عمر طوسون باشا وهو الذى سبر غور تلك المآسى واكتوى بنارها وكلامه حقيقة سافرة لا شائبة للخلط فيها . »

١٠ يونيو سنة ١٩٢٤

قمت لتمضية شطر من إجازتى بمصر فاتفق أن قام معى من الخرطوم شاب كان موضع إعجاب الضابطين المصريين اللذين تصادفا أن سافرت معهما ، ولم يكد أن يصل بنا القطار إلى حلفا حتى لاحظت أن القطار محاطا بسياج من البوليس ومعهم مأمور مركز حلفا ونائبه ، وظهر لنا أيضاً أن أبواب العربات مقفلة ودخل حضرة المأمور حينئذ علينا وسألنى « أين محمد المهدى الخليفه ؟ » فأجبته بأن لا أحد معى بهذا الاسم بل معى خادمى ويدعى محمد يوسف . فأنزلنا من القطار بأمتعتنا إلى مكتب الجمارك حيث ينتظرنا مدير حلفا الذى قدمنا إليه وأعاد سؤالى عمن يدعى محمد المهدى الخليفه . فأجبته كما سبق أن أجبت المأمور . فأمر بتفتيش أمتعتنا وعند التفتيش اتضح لهم أن من كان معى هو محمد المهدى الخليفة عبد الله المقصود فصدر الأمر بإعادته فوراً إلى الخرطوم بعد عمل تحقيق معنا وحجزت أنا بعد عن مواصلة السفر إلى مصر وأمرت بالعودة إلى الخرطوم ، وهناك قامت على الأثر المظاهرات بين الأهالى بالسودان احتجاجاً على ماجرى معنا من تصرفات حكومة السودان .

١٧ يونيو سنة ١٩٢٤

اعتقلت فى سجن الخرطوم بحرى بتهمة عمل مظاهرات والتحريض عليها ، فاحتج الضباط والأهالى على هذا الاعتقال ، ووصلت احتجاجاتهم إلى البرلمان المصرى وناقش مجلس النواب فى ذلك بجلسته المنعقدة بتاريخ ٢٢ يونيو سنة ١٩٢٤ (راجع مضبطة مجلس النواب عن هذه الجلسة)

على أثر الاحتجاج صار إخراجى من السجن العمومى واعتقلت اعتقالا عسكرياً كنص جواب رئيس أركان حرب وه ادد الادجوتانت جبرال كالآتى :

ا ج — س ج — ٢ — ٦٤

إلى حضرة الملازم أول زين العابدين عبد التام افندى

قد وضعتم بالايقاف الشديد بأمر حضرة صاحب السعادة رئيس أركاب حرب والادجوتانت جنرال لاتهامك بارتكاب جناية ملكية .

١٤ يونيو سنة ١٩٢٤ بكباشى

مساعد الادجوتانت جنرال

إمضاء

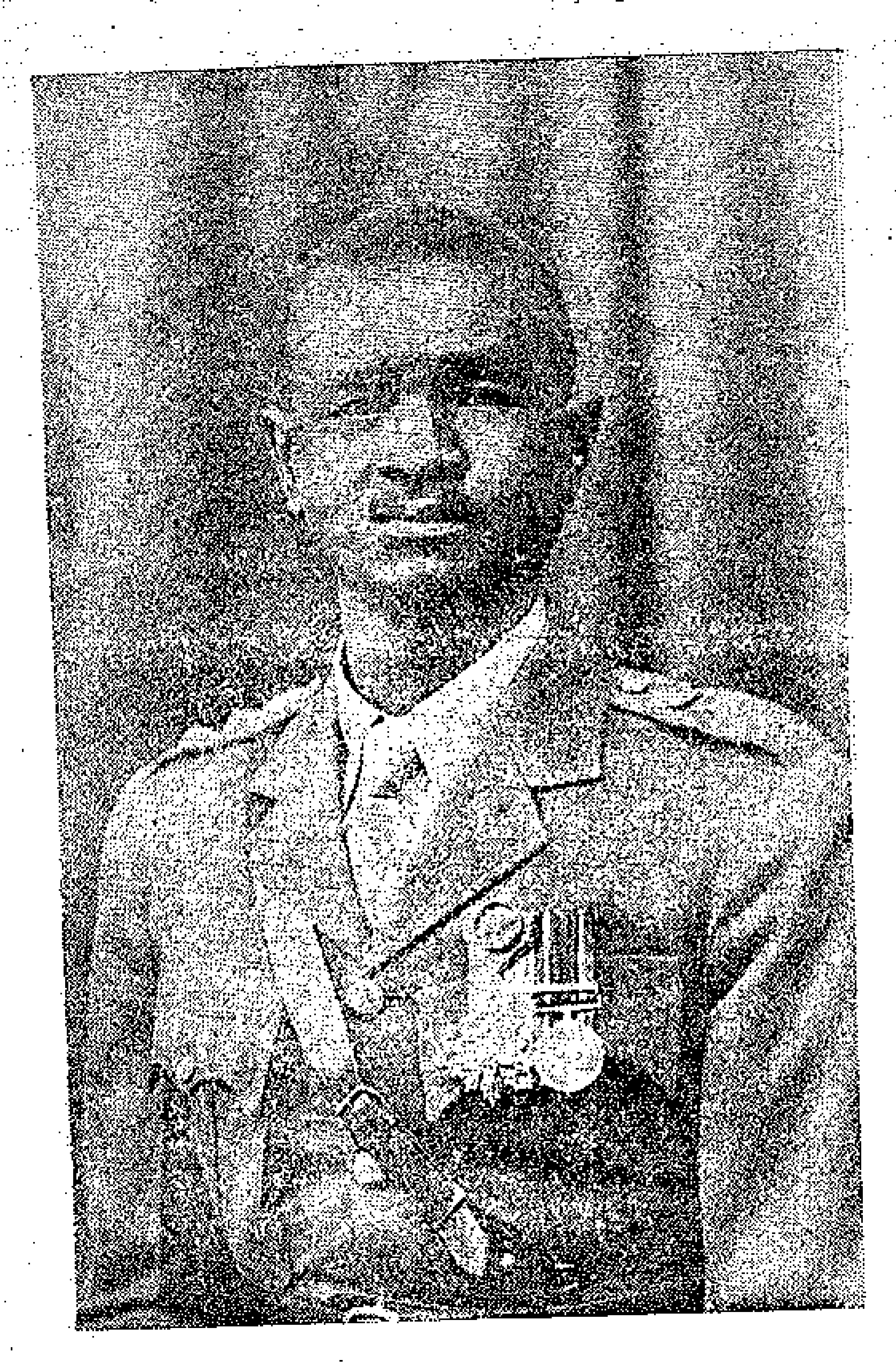
استمر اعتقالى العسكرى بقشلاق وود باشى بالأورطة الحادية عشر السودانية بأم درمان إلى أن فصل فى امرى وتقرر نقلى إلى الأورطه الثالثة عشر السودانية ببحر الغزال كما قرر مجلس السردار ومجلس رئاسة الجيش بالسودان .

الانذار البريطانى عقب مقتل السردار

فى الساعة التاسعة صباحا من يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٢ صدر أمر قومندان الأورطة بحضور جميع الضباط أمامه بالمكتب على قسمين المصريين فالسودانيين كل فريق على حدة وبعد أن انتهى الفريق الأول وخرجوا من المكتب دخلنا نحن بدورنا أمامه فتلى علينا الإنذار البريطانى المعروف وكان الجزء الخاص بنا هو قيام الضباط والجنود المصريين إلى مصر فى ظرف ٢٤ ساعة وتحويل القوات السودانية التابعة للجيش المصرى وجزء منه إلى وحدات تسمى (قوة دفاع السودان) وسيكون القائد الأعلى لهذه القوات هو الحاكم العام الذى باسمه تمنح الرتب براءات الرتب وغيرها

ولما كانت الحكومة المصرية من جانبها لم تصدر أمراً صريحاً بشأن ماجاء بهذا الإنذار وخصوصاً على الجزء الذى يخصنا منه باعتبارنا قوة من الجيش المصرى سألت القومندان حينئذ بقولى « هل الخدمة فى قوة دفاع السودان بالأمر أم بالرغبة » فأجابنى بقوله « بالأمر » وبعد ذلك انصرفنا من أمامه وبعد خروجنا رأيت انه ليس من الولاء لجلالة ملك مصر فى شيء الخضوع لأمر كهذا من جانب الحكومة البريطانية لظروف وأسباب ليس للجيش ولا لأمة مصر يد فيها اللهم إلا تنفيذاً لسياسة مرسومة وبما أنى كضابط فى الجيش المصرى مرتبط بيمين وإخلاص للملك فالانصياع والرضوخ لهذا الأمر يعتبران حنثاً لليمين وسنافيان للشرف العسكرى وكتبت التقرير

الآتى وقدمه إلى قومندان الأورطة :



حضرة صاحب العزة قومندان ١٣ جى أورطة سودانية

بواسطة حضرة أركان حرب الأورطة

بناء على تصريحكم لى ضمن الضباط اليوم فإننى ليست لى رغبة فى الخدمة بجيش غير الجيش المصرى الذى حلفت يمين الطاعة والإخلاص للخدمة به وقد أكون خائناً إذا أنا خالفت ذلك

ملازم أول

١٣ جى أورطة سودانية

زين العابدين عبد التام

واو فى يوم ٢٥ / ١١ / ١٩٢١

ترتب على هذا صدور الأمر بإيقافى عن العمل ووضع قوة لحراستى برئاسة ضابط وقد أصبحت معتقلا لمجرد تصريحى هذا ، فطلبت مقابلة قومندان القسم ومدير بحر الغزال وبمقابلته علمت منه بأن هذه هى التعليمات التى لديه والقومندان مكلف بتنفيذها ، فحاولت عبثاً التفاهم معهم وعلى الأثر وبعد وصول التعليمات إليه من الخرطوم ترحلت تحت هذا الاعتقال إلى الخرطوم وهناما بعد وصولى ضمونى إلى الضباط الثلاثة الذين وصلوا إلى مصر ثم أعيدوا إلى السودان ففهمت منهم الآتى :

بلاغ الانسحاب

فى الساعة السادسة والنصف من صباح يوم ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ جمع حضرة القائمقام كلكهون بك قومندان الأورطة العاشرة البيادة السودانية جميع ضباط وصف ضباط الجيش المصرى بتلودى فى السودان وبلغهم أمر حضرة صاحب الجلالة ملك انجلترا وامبراطور الهند على أن ينسحبوا من السودان فى ظرف ٢٤ ساعة من ذلك التاريخ إلى الحدود المصرية (الشلال)

ثم قال « يجب أن تسلمونى أسلحتكم والآن انصرفوا من الطابور وادخلوا إلى داخل مخادعكم لحين وصول المكاتبة واشتغلوا بربط أمتعتكم وتسهيل سفركم الخ ..

وبعد أن انتهى من إلقاء هذه الأوامر المغايرة للقانون العسكرى وقف الضباط السودانيون وأعلنوا أن هذه الأوامر تنطبق علينا عموماً سواء كنا مصريين أو سودانيين لأننا نحن جميعاً ضباط الجيش المصرى ، فالذى يسرى على أحدنا يسرى على الجميع وعند وصول الأوامر من جلالة الملك قائدنا الأعلى نسافر .

فأجاب بلهجة الغضب قائلا « لا بأس من سفركم جميعاً ولكن بموجب الأوامر الذى بلغتها لكم » وذهب ، وهنا انضموا الضباط جميعاً وانصرفوا إلى غرفهم .

رفض تسليم السلاح :

وفى الساعة ٨:٤٠ من نفس اليوم عاد القومندان المذكور وطلب من الضباط جميعاً تسليم أسلحتهم . فرفضوا وأجابوا « لا نسلم السلاح » ولا نترك مراكزنا إلا بأمر القائد الأعلى حضرة صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر . ولما سمع تصميمنا على البقاء وعدم التسليم تركنا وذهب ثانياً . وبعد ساعة عاد وبرفقته صاحب

السعادة نورنكوت بك قومندان قسم جبال النوبة ومدير تلودى ، وبعد المشاورة بينهما تقدم المدير وخاطبنا قائلا : « لماذا لم تسلموا أسلحتكم إلى حضرة القومندان » .

فأجبناه جميعاً بصوت واحد : لانسلم سلاحنا إلا فى وزارة الحربية المصرية ، هذا بعد أن يصل أمر جلالة ملك مصر بالانسحاب من السودان .

وبعد جدال متواصل بين الضباط والقومندان من تهديد من قبل القومندان والتمسك بالشرف العسكرى من قبل الضباط ، ولما يئس صرح بصوت كله وعيد وقال « إذا لم أستلم السلاح منكم لغاية ظهر اليوم آخذ بحقكم إجراءات شديدة » ثم ذهبا سوياً .

٣ — التهديد بالإعدام

مر الموعد المحدد (الظهر ولم يحضرا فتأملنا خيراً ... ولكن لم تحن الساعة ٤:٣٠ من مساء اليوم نفسه حتى حضر القومندان وأحضر معه قوة مسلحة مؤلفة من ٥٠ نفراً من الأورطة التى نحن ضباطها وبيده منديل أميرى وفيه جبخانة ، وعند وصوله على بعد ٢٠ متراً من الضباط أوقف الجند وصرف لهم الجبخانة . وبعد أن أمرهم بتعمير بنادقهم ووضع السونكيات على البنادق (الحراب) تركهم وتقدم إلى الضباط وقال لهم بصيغة الأمر والتهديد : التسليم أو إطلاق النار عليكم .

وهنا تجلى الاستشهاد فى سبيل المحافظة على يمين الطاعة والأمانة والإخلاص لحضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم بأجلى مظاهره حيث كشف الضباط عن صدورهم وقالوا للقومندان أطلق علينا ما تشاء ، فنحن لا يمكن ان نسلم اسلحتنا التى ندافع بها عن العرش المصرى كما تعهدنا وأقسمنا لجلالته . أى الملك

فعندها رجع إلى الوراء ونادى (البلتون) الجند بكلمة معروفة (مارش)

فتقدم الجند بالصورة نفسها ولما وصل على بعد ٤ إلى ٥ متر عن الضباط أمرهم بكلمة (قف) ثم اتجه نحونا وقال سأصدر كلمات ثلاث وهى : ادخلوا منزل الصاغ محمد افندى كامل هديب، وبعد ثالث كلمة أصدر الأمر بإطلاق النار . ولما سمع الجند كلام القائد نكسوا السلاح وخاطبوا القائد بقولهم (دول ضباطنا فلا يمكن ان نعمل بهم أى شىء)

فكشف الضباط مرة ثانية عن صدورهم وخاطبوا الجنود بقولهم : افعلوا ما أمركم به قائدكم . فأجابوا جميعاً بصوت واحد قائلين « يستحيل »

ولما يئس القومندان من إخضاع الجنود أمرهم أخيراً بإحاطة منازل الضباط من اركانها الأربع وذهب لمقابلة المدير وقومندان القسم سالف الذكر .

الخلاص بأعجوبة — ٤

ولما غربت الشمس اتفقت كلمة الضباط على أن يناموا مجتمعين فى منزل واحد فاختاروا منزل الصاغ احمد افندى كامل هديب . وفعلا دخلوا ورتبوا مفروشاتهم وناموا إلى الصباح ولما انبثق الفجر كان ثلاثة فرق من الجنود حول المنزل « قسم منهم من الأورطة نفسها والقسم الثانى من البوليس والقسم الثالث من الرديف »

وفى الساعة ٩ من صباح يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٤ سمع ضرب (نوبة كبسة) على بعد نصف ساعة صادرة من الاورطة ، ولما تكررت مراراً (نوبة كبسة) تحركت فى الفرق كلها النخوة العسكرية فمشت بالخطوة السريعة ووجهتها الأورطة وهى تطلق العيارات النارية فى الفضاء ، وفى الوقت نفسه خرج الضباط وراء العساكر ودخلوا الأورطة دون ان يعلم أحد شيئاً لذلك غير ماذكر . وحين وصل الضباط إلى ثكناتهم العسكرية لم يظهر أمامهم واجب غير واجب العسكرى ، فالا استولى كل يوزباشى القيادة على بلوكه ومنع العساكر عن إطلاق النار فى الفضاء وكان ذلك بناء على تصميم متفق عليه بين الثلاثة ضباط السودانيين وصف ضباط الأورطة وبذلك استرد جميع الضباط مكانتهم فى القيادة .

شكر وتقدير

وبعد ربع ساعة من وصول الضباط إلى ثكناتهم العسكرية وتفريق الجنود كل إلى عمله وصل القومندان منزعجاً يسأل عن الخبر فأجابوه سلباً .

ولما شهد الجنود قومندانهم متهيجاً تهيجوا جـــداً من تصرفاته وظهرت عليهم علامات الغضب عليه ، ولما وجد الضباط حالة جنودهم ضبطوا زمامهم ثانياً وأخذوا منهم الجبخانه وأرجعوها إلى المخازن عملا بالمثل القائل « حارب الشر بالخير »

وفى هذه البرهة حضر سعادة المدير ورجع القومندان إلى مكتبه وبعد أن اطلع على الشهامة التى أظهرها الضباط شكرهم كثيراً وسألهم عن سبب هياج الجنود . فاجابوه قائلين لانعلم شيئاً بل اسأل صف ضباط العساكر . فسألهم فرداً فرداً فكان جوابهم بالمعنى الآتى :

علمنا ان . . . « فرسان من عربان تلودى قادمين إلينا ونياتهم متجهة إلى الغزو

وذلك بعد أن علموا ان الأورطة لا قائد لها وضباطها تحت رحمة قومندانهم ، فعلي ضربنا (الكبسة) لجيع صفوفنا لصد الغزاة عنا وهذا الذى حصل . »

وبعد أن تحقق سعادة المدير من إخلاص الضباط وشهامتهم وقيامهم بتدعيم أركان السلم بإباء وشمم بعد ان سهلت لهم الظروف فتح هذا الطريق الوعر بقوة كبيرة بواسطة جنودهم الهائجة تقدم المدير من الضباط وقال لهم بعد تقديم شكره:

« ارجعوا إلى قيادتكم كما كنتم سابقاً ، وثقوا ان القيادة العامة ستشكركم أيضاً كما شكرتكم أنا على صنيعكم . وأرجو بعد تنظيم الأورطة ان تحضروا جميعاً إلى مكتب القومندان . وهناك تعلمون جيداً كيف نقابل إخلاصكم وصنيعكم »

ثم توجه سعادة المدير إلى مكتبه والضباط نظموا ما أمروا به وتوجهوا جميعاً إلى مكتب القومندان حيث قابلهم المدير بكل ترحيب وبشاشة وبعد أن كرر لهم عبارات الشكر ألقى سعادته الخطاب الآتى وهذه خلاصته :

(١) سنرسل برقية إلى اللواء هدلستن باشا نائب السردار نشكركم بها على ماقمتم به من الحكمة والدراية والإخلاص حتى التضحية التى نقدرها لكم اكثر تقدير كيف لا وكان بوسعكم ان تشقوا عصا الطاعة بواسطة جنودكم الهائجه فأبيتم استغلالها كل الإباء ولم تكتفوا بذلك فقط بل طوقتم الثورة بالسلم وعليه أكرر الشكر لكم بالنيابة عن الحاكم العام وبالإصالة عن نفسى ونفس القومندان .

(٢) وسنرسل برقية ثانية نطلب فيها قوة مسلحة . وثقوا بشرف بريطانيا العظمى ان هذه القوة ليست هى عليكم ولا على جنودكم بل هى لتحافظ معكم على الأمن العام من شر العربان .

(٣) وإجابة لطلبكم سنرسل برقية ثالثة لحكومتكم بمصر حتى ترسل لكم التصريح الملكى بالانسحاب من السودان بصفتكم ضباط الجيش المصرى .

وعلى هذا اطلب منكم باسم ولى نعمتكم جلالة ملك مصر قائدكم الأعلى الذى أقسمتم لجلالته بمين الطاعة والأمانة والإخلاص ان تديروا حركة الجيش كما كنتم متولين عليه سابقاً وتحافظوا على ارواحنا محافظتكم على ارواحكم . وبعد هذا نودعكم بسلام .

التصريح بالانسحاب

وبناء على ذلك أدار الضباط حركة الأورطة بكل أمانة وإخلاص واعتبروا أن

كل مامر عليهم من الاضطهاد هو أمر عادى مضى (والحق ماشهدت به الأعداء) ولم يمر أربعة أيام من تاريخ الاجتماع بمكتب القومندان حتى وصل الأمر الملكى بواسطة حضرة صاحب المعالى صادق باشا يحي وزير الحربية والبحرية يصرح لنا بالانسحاب من السودان والرجوع إلى مصر بعد التقدير والشكر على الشهامة التى أبديناها ، وهذا نص البرقية بالحرف الواحد :

« إلى ضباط وجنود الصف ضباط وعساكر الجيش المصرى بالسودان .

« عهدنا بكم الشجاعة والولاء ولا يداخلنا أى شك فى أنكم مستعدون جميعاً لإراقة آخر نقطة من دمائكم فى خدمة جلالة المليك وفى سبيل الوطن ، على أننا نأمركم أن تكفوا عن مقاومة الاجراءات التى اتخذها نائب حاكم السودان العام لإخراجكم بالقوة من الأراضى السودانية . فإنه ليس من وراء هذه المقاومة سوى سفك الدماء بغير جدوى ، وبما أن الحكومة المصرية احتجت احتجاجاً صريحاً على هذا العمل الذى نفذ بالقوة القاهرة ، فعودتكم لا يترتب عليها أى مساس لا بحقوق الوطن ولا بشرفكم العسكرى . »

وزير الحربية والبحرية
صادق يحي

وهذه الصورة هى صورة طبق الأصل من الصورة التى تسلمت لضباط الجيش المصرى كل بمفرده ، والذين لم يسلموا إلا بأمر مليكهم . ومن هذا يتضح جلياً بأنه لا فرق بين مصرى وسودانى تجاه القانون العسكرى ، وهنا كان فصل الخطاب ، حيث صرف للضباط جميعاً ونحن منهم ، مرتب نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٢٤ ، وهذه هى أسماء ضباط الجيش المصرى فى تلودى :

١ — البكباشى احمد افندى حسين
٢ — الصاغ المرحوم احمد كامل هديب افندى
٣ — اليوزباشى محمد السرساوى الثالث افندى
٤ — الملازم الأول السيد بدوى محمد عويضه افندى
٥ — الملاز الأول محمود افندى يوسف أغا لاظ
٦ — الملازم الأول محمد جلال افندى
٧ — الملازم ثانى محمد عابدين افندى
٨ — الملازم ثانى محمد كامل الرحمانى افندى
٩ — الملازم ثانى محمد التوحى افندى

اليوزباشي خضر على افندى . الملازم الأول سيف افندى عبدالكريم . الملازم ثانى عبدالحميد فرج الله . وهؤلاء الثلاثة الآخرين كان لهم الشرف فى إنقاذ الموقف كما أسلفنا فى الحالة المهيمنة التى وضعهم بها القومندان ، إلى حالة الشرف والكرامة ، وموقف الرجولية التى أوجدوها لأنفسهم ولباقى زملائهم حتى اضطر المدير قومندان قسم جبال النوبة أن يحترمهم وأن يعمل لهم وحساباً وتقديراً وشكراً ، وبفضلهم وحسن تصرفهم عاد الأمن إلى نصابه وتغلبت الحكمة على الرعونة التى يرجع سببها إلى تصرف قومندان الأورطة .

بعد صدور الأمر سالف الذكر ، قام جميع هؤلاء الضباط إلى الخرطوم وعند وصولهم إلى مدينة الخرطوم وجدوا قوة من باوك بيادة راكبة وسيارات مدرعة برئاسة ضابط انجليزى فى انتظارهم ، وهنا طلبوا بالأسماء اليوزباشي خضر على افندى والملازم اول سيف عبد الكريم افندى والملازم ثانى عبدالحميد فرج الله افندى . وبعد أن تقدموا إلى الضابط الانجليزى المذكور خاطبهم قائلا : يلزمكم أن تقدموا تعهداً كتابياً على أنكم مصريين وليس لكم حقوق فى السودان وسيثبت هذا فى سراى الحاكم العام وتفضلوا معى الآن لمقابلة الميرالاى كنى بك مساعد الادجوتانت جنرال فتقدموا إليه وكانوا راضيين فرحين بهذا التصريح ولو أن الأمر لايحتاج إلى كل هذا وأن المذكورين كما لايخفى ضباط فى الجيش المصرى ولكن الغرض غير خاف على اللبيب ، والمذكورين حينئذ أخذوا فى سيارة مدرعة ومعهم الضابط الانجليزى المذكور ، وتقدمتهم سيارة أخرى مدرعة وتبعتهم أخرى أيضاً ، ومروا بعساكر من الجيش الانجليزى الموجود بالخرطوم حينئذ منتشرين على أبعاد خمسة خطوات بين العسكرى والآخر على جانبى الطريق الموصل إلى سراى الحاكم العام ، وبعد أن قابلوا كنى بك ، عرضوا عليهم البقاء ليكونوا بقوة دفاع السودان فرفضوا ، فاستكتبهم التعهد سالف الذكر وسلمهم تصريحاً لكل منهم وهذا نصه :

الخرطوم فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢٤
حضرة . . . . .

حضرة صاحب السعادة نائب سردار الجيش المصرى قد صدق على طلبكم بالتصريح لكم بالعودة إلى القطر المصرى بالنظر لتجنسكم بالجنسية المصرية وإقامتكم بتلك البلاد ، ولكن يجب أن تفهموا جلياً بعملكم هذا تفقدون أى حق بالمطالبة

بوظيفة فى خدمة حكومة السودان ، وأن مستقبلكم يتوقف على الترتيبات التى تعمل نحو مصيركم بمعرفة الحكومة المصرية .

الإمضاء
أميرالاى كنى نائب كاتم أسرار الحربية

يتضح من هذا أن القابضين على ناصية الحكم فى السودان يتبرأون منا وما يلحقنا فى مستقبلنا كأن فى تمسكنا بتبعيتنا للحكومة المصرية شيء ليس مكروه فقط ، بل جرم خطير لايعلمه إلا الله ، وهم طبعاً مايخفون لنا وما يترتب على ذلك من نتائج . وعقب ذلك ترحلنا من الخرطوم إلى القطر المصرى ، ولما وصلنا إلى الشلال قابلنا الأميرالاى على بك توفيق يصحبه سكرتيره . فنادى علينا بالاسم نحن الثلاثة وفصلنا عن بقية الرفاق الضباط الذين كانوا معنا ، ولما وقفنا بين يديه أخبرنا بأنه وصلت برقية من حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء بإبقائنا بالشلال لحين صدور أوامر أخرى بخلاف باقى الضباط الذين كانوا معنا ، فقد قاموا مواصلين سفرهم إلى مصر وألحقونا نحن بالأورطة الثالثة البيادة بصفة مؤقتة وتحت المراقبة على شبه اعتقال وتنبه علينا بعدممبارحة حدود معلومة ، وإلى أن انقضت تسعة أيام ونحن على هذا ، وفى أثناء ذلك كان القومندان يرغبنا فى العودة إلى السودان ، فلم يبد أى منا رغبة لرأيه وغير ذلك أرسلنا تلغراف إلى صاحب المعالى كبير الأمناء وإلى رئيس الوزراء وإلى الأمير عمر باشا طوسون وإلى صاحب الدولة سعد زغلول باشا وصاحب المعالى وزير الحربية موسى فؤاد باشا برجاء تسهيل سفرنا ، ورغما عن ذلك فقد وصلت برقية سرية من الوزارة برجوعنا إلى السودان وإذا خالفنا ذلك نعاد إلى السودان بالقوة بعد تجريدنا من أسلحتنا .

ولما وصل إلى علمنا وصول هذه البرقية أجتمعنا وقررنا أن نهرب لكى نصل إلى مصر (القاهرة) حتى إذا عدمنا أو سجنا يكون ذلك فى وزارة الحربية ، وعلى مرأى ومسمع من ضباط الجيش المصرى ، وعليه قمنا من الشلال إلى أن وصلنا إلى محطة الخطارة وهى أول محطة من أسوان على الأقدام وهناك ركبنا القطار وهو سائر بسرعة ولما دخلنا إحدى عربات القطار وجدنا ضابط رئيس قوة بالقطار للبحث عنا وهو سائر بسرعة ولعدم تمكننا من السفر والقبض علينا ، فشعر بنا الضابط المذكور فأعادنا إلى أسوان ولم نبدى أى مقاومة بالسلاح ولكن رفضنا تسليم السلاح إلا أمام أكبر ضابط مصرى . وكانت عودتنا بالقطار العائد إلى أسوان وكانت به

أيضاً قوة عسكرية برئاسة ضابط للبحث عنا ، فعدنا جميعا وهناك استقبلنا سعادة مدير أسوان ويدعى على بك زكي وجمهور من الموظفين والأهالى، وهناك أطلعنا على برقية من حجرة صاحب الدولة أحمدزيور باشا رئيس الوزارة ، نصها :

اليوزباشي خضر على افندى والملازم أول سيف عبدالكريم افندى والملازم ثانى عبد الحميد فرج الله افندى ، بوصول هذا إليكم يجب أن تطيعوا الأوامر وترجعوا إلى السودان لخدمة أورطتكم كما كنتم سابقاً ولا خوف على مستقبلكم ولا على حياتكم ، ورجوعكم إلى السودان يجب أن يكون بدون حرس أنتم وعائلتكم وهذا راجع لصالحكم .

فسلمنا أسلحتنا إلى سعادة المدير باعتباره أكبر من يمثل الحكومة المصرية وأعربنا له عن أسفنا على ما اتبعته الحكومة المصرية بشأننا مكافأة لاخلاصنا وتعلقنا بها فى أحرج الظروف .

وصدعنا للأمر وسافرنا بعائلاتنا إلى الخرطوم وهناك عرضنا على اللواء هداستون باشا قائد قوة دفاع السودان حينئذ . فقال لنا أنتم تحت الحفظ فى قشلاق اسماعيل باشا وقد صرحنا لعائلتكم أن يكونوا معكم على أن لاتتعدوا الحدود المعينة لفسحتكم وهى لمسافة ٢٠٠ ياردة من مقر سكنكم تحت إشراف وملاحظة قومندان السجن الحربى ، ورن بك . وعليكم إثبات وجودكم بعرض أنفسكم عليه ثلاث مرات فى اليوم . فى الصباح والظهر والمساء ، وإذا بارحتم محلكم هذا فستضع السلاسل فى أعناقكم .

بقينا على هذا الحبس من شهر يناير سنة ١٩٢٥ إلى ١٧ مايو سنة ١٩٢٥ أى نحو خمسة أشهر بدون ماهيات ولا تعيينات مما يعطى للمساجين وقد طالبنا بذلك فلم يقبل طلبنا .

٩ فبراير سنة ١٩٢٤

وصلنى الخطاب الآتى :

١ ج / ١٠ / ٤ / ٢٩ / ٢ — مركز رئاسة قوة ددفاع السودان .

إلى حضرة الملازم أول زين العابدين عبد التام افندى

أوعز إلى أن أخبركم بأن حضرة صاحب المعالى الحاكم العام غير ممكنه منحكم براءة رتبة فى قوة دفاع السودان ، وقد سبق وأعلنت بذلك ، وبما أن الحكومة

المصرية غير راغبة فى استخدامك بالجيش المصرى فى القطر المصرى كما وأنها لاتسمح لك بالدخول إلى القطر المصرى ، فعليك بوصول هذا إليك أن تقدم طلباً بالطريقة المعتادة عن أى مكافأة أو معاش تكون مستحقاً له لغاية يوم ١٧ يناير سنة ١٩٢٥ ، وحضرة صاحب السعادة نائب السردار سيرسل هذا الطلب إلى معالى وزير الحربية .

مساعد أدجوتانت جنرال

إمضاء

دجلاس استيفنسون

الخرطوم تحريراً فى ٦ فبراير سنة ١٩٢٥

استلمت هذا الخطاب السالف الذكر ، وفى نفس اليوم حضر إلى بمنزلى الرفاق الثلاثة حضرة اليوزباشى خضر على افندى وحضرة الملازم الأول سيف افندى عبد الكريم وحضرة الملازم الثانى عبد الحميد افندى فرج الله الذين كانوا بالاعتقال بعد إعادتهم من مصر ، وعلمت منهم أنه وصلت إليهم خطابات بنفس الصيغة سالفة الذكر .

ازداد عدد الرفاق أمثالنا من الضباط الذين ظهروا بمظهر الاخلاص للحكومة المصرية ووصلوا إلى الخرطوم فصار عددهم ثلاثة عشرة منهم أربعة أفرج عنهم من السجن العمومى وثلاثة هم الذين كانوا معتقلين بقشلاق اسماعيل باشا السالف ذكرهم وكاتب هذه المذكرات ، وخمسة قدموا من جهات مختلفة ، وقد منعت عنا جميعاً مرتباتنا لنطلب الإحالة إلى المعاش أو نطلب مكافأة لمن لايستحقون المعاش تحت ضغط الحاجة .

الروح المعنوية

خرج الانكليز من ذلك الدرس القاسى يعملون على اماتة الروح المعنوية فى الجيش فقفلوا المدرسة الحربية بالخرطوم وحرموا على الجنود سماع نغمات الموسيقى فأخذوا الآلات الموسيقية ووضعوها بالمخازن وقد فاتهم أن السودانى لا يحتاج إلى تحريك عاطفته بالموسيقى إذا عبثت الأيام وتكهرب الأفق فقد يتنمر ويصبح أخطر ما يكون على عدوه وقد دلت التجارب فى الحرب العالمية الأخيرة التى انضفهم فيها قوادهم الانكليز حتى اذاعت بعض تقاريرهم محطة لندن لم يعقهم عدم سماعه الموسيقى وما تثيره من الروح المصطنعة (ليس التكحل فى العين كالكحل)

بيان أسماء الضباط الذين فصلوا عن الجيش فى السودان فى سنة ١٩٢٤

رتبـــة	الاسم	الأورطة او المصلحة	بعض الأسباب
يوزباشى	ابراهيم عبد الرحمن افندى	الرابعة عشر السودانية	كان بالاستيداع وبلغ شكواه الى الوزارة الوفدية القائمة حينئذ وصدر الأمر بإعادته إلى الجيش فاعتبر اتصاله هذا غير مرغوب فيه وفصل عن الخدمة بالسودان
يوزباشى	خضر على افندى	العاشرة السودانية	ماقاموا به مفصــــلا
ملازم أول	سيف عبد الكريم افندى	العاشرة السودانية	ماقاموا به مفصــــلا
ملازم ثانى	عبد الحميد فرج الله «	العاشرة السودانية	ماقاموا به مفصــــلا
يوزباشى	محمد صالح جبريل	الهجانة السودانية	أتى اعمالا فى الابيض أرسل بسببها تحت الرقابة بالخرطوم واعتبرت اعماله لها مساس بالسياسة وانه من جمعية اللواء الأبيض واعتقل إلى مابعد خروج الجيش المصرى من السودان ثم افرج عنه وفصل عن الخدمة .
يوزباشى	فرج الله محمد		اشترك فى الاحتجاج على موضوع العلم المصرى فى واو ببحر الغزال مع بعض الضباط فى سنة ١٩٢٤ ، ووشوا فى حقه بأنه عضو من جمعية اللواء الأبيض وفصل من الخدمة بالسودان
يوزباشى	عبد الله النجومى	نائب مأمور بحكومة السودان	فضل اعتزال الخدمة بالاحالة الى المعاش عن الانضمام إلى قوة دفاع السودان فأجيب طلبه .
ملازم أول	زين العابدين عبد التام	الثالثة عشر السودانية	كاتب هذه المذكرات وأول من اعتقل فى سبيل الاخلاص لمصر

بيان أسماء الضباط الذين فصلوا عن الجيش فى السودان فى سنة ١٩٢٤

رتبـــة	الاسم	الأورطة او المصلحة	بعض الأسباب
ملازم اول	عبدالدايم افندى محمد	التاسعة السودانية	ظهوره بمظهر الاستعداد للدفاع عن كرامة الحكومة المصرية اثناء إخراج الجيش المصرى من السودان ونسب إليه انه يلتمى إلى جمعية اللواء الأبيض فاعتقل وفصل عن الخدمة بالسودان .
ملازم أول	سيد افندى شحاته	الرابعة عشر السودانية	وشوا فى حقه لما ظهر منه وآخرين من حماسة وتفوه بكلمات كانت دليلا على اخلاصه لمصر
ملازم أول	عبدالله افندى مرجان	التاسعة السودانية	نسب إليه الشروع فى مساعدة حركة الثورة فى الخرطوم ولم يثبت عليه ذلك فاعتقل وفصل عن الخدمة بالسودان .
ملازم أول	ابراهيم افندى علام	التاسعة عشر السودانية	وشوا فى حقه فى أول الحركه لما كان بأعلى النيل وتحاكم عسكرياً فتبرأ مما نسب إليه وفصل من الخدمة بالسودان .
ملازم ثانى	عبدالعزيز عبد الحى افندى	الرابعة عشر السودانية	اتصل بأحد ضباط الثورة بأنه أرسل إليه تلترافا واعتقل ولم يثبت عليه شيء فأفرج عنه فيما بعد وفصل عن الخدمة بالسودان .

الأستاذ أمين الشاهد المصرى

المحامى

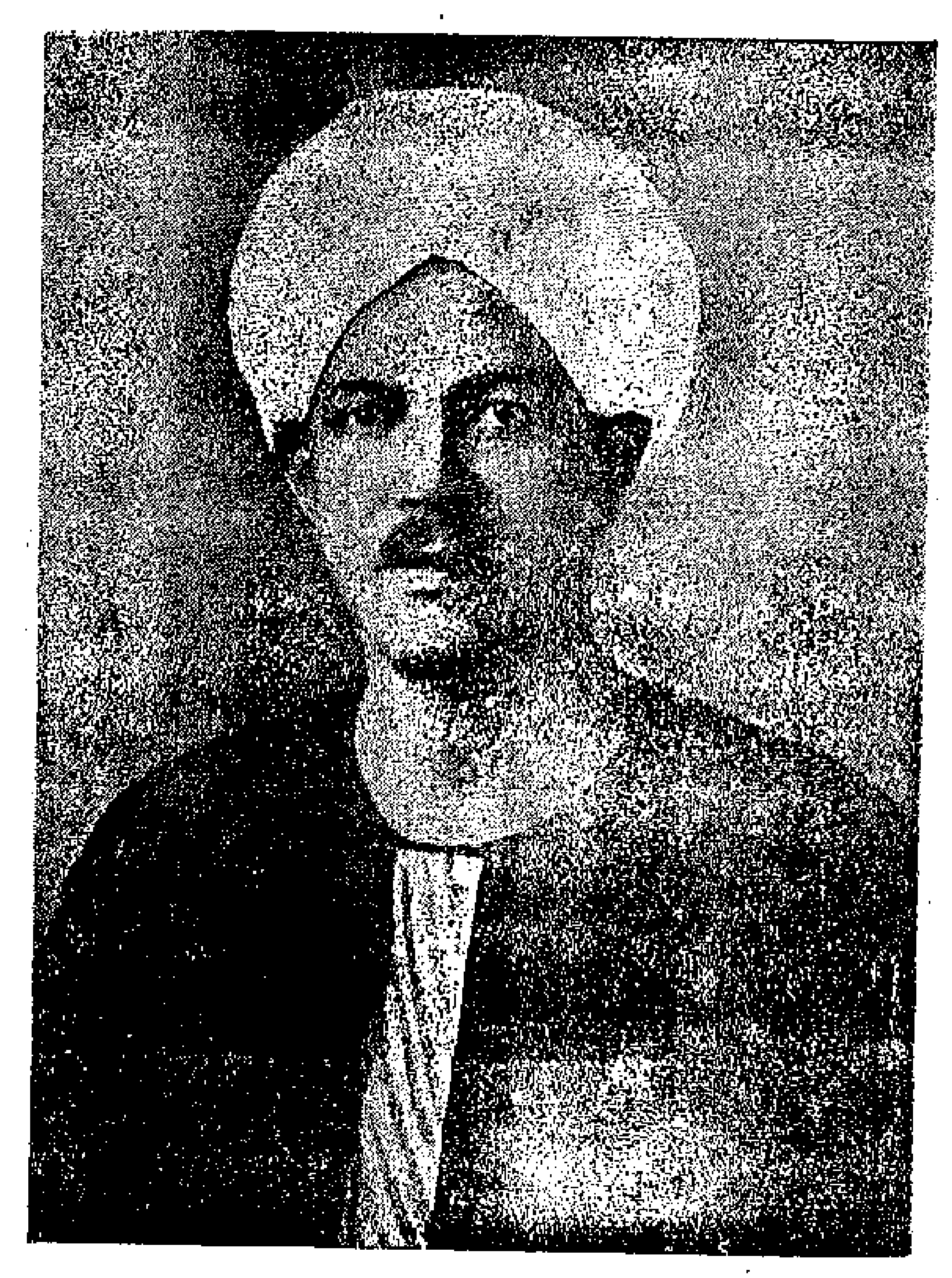
ماكان فى السودان محامون فى تلك الأزمة ولم تفكر حكومة السودان فى إيجاد ذلك النوع من الثقافة بل كانت الأحكام أشبه شىء بأحكام عرقية قد تتعارض مع القوانين السماوية والنظم الوضعية لكى لا يتأثر الحاكم بها فيتحول عن الغاية .

ولما اكتظت السجون يومذاك بالمعتقلين تطوع الأستاذ أمين الشاهد أخ لبيب الشاهد باشا مؤسس مدينة الخرطوم فى طورها الحالى للدفاع عن المجرمين السياسيين فيدافع عنهم دفاعا مجيداً لم يأخذ عليه أجراً عدا مودة إخوانه أبناء الشطر الأعلى من وادى النيل الذين سجلوا له تلك النخوة العربية والحمية التى صيرته لايبالى بأولئك الجبابرة الذين كانوا الخصم والحكم فى تلك الثورة ولم يزل جرحها دائما لم يندمل ولولا أن أسرع الانكليز فى إقصائه لمصر لمـــا ترك الباب مفتوحا أمام ذلك الرهط من للعسكريين الذين ملؤا السجون حتى مات من جرائها الكثيرون . فنرجو الله أن يجزيه خير الجزاء . هذا ولقد قامت نقابة المحامين المصريين برحلة للسودان للدفاع عن الثائرين فى سنة ١٩٤٦ إلا أنها أرجعت من حلفا قبل أن تكشف معائب الأحكام فى السودان فبقى الأستاذان الدرديرى أحمد اسماعيل وأحمـــد خير كلاهما يناضل ويصارع عدواً لدوداً متسلحا بالسيطرة والنفوذ الاستعمارى السافر .

عبد الله أفندى النجومى

ولد فى أبى سمبل بعد وفاة أبيه عبد الرحمن النجومى الجعلى فى واقعـــة توشكى سنة ١٣٠٥ هـ أما والدته فكريمة عبـــد الله ودفعه الله الذى تطوع لحرب المهدى وقتل مع يوسف حسن الشلالى باشا . ثم عنيت بتربيته سيدة انكليزية وتعلم وتخرج من المدرسة الحربية برتبة الملازم الثانى لخدم وكيل مأمور ألدك فيول بمديرية منجلا فتزوج بأم درمان ولكنه ما لبث أن نبت نفسه عن الخدمة مع الانكليز فاستقال بعد أن طلق زوجته ووهبها منزله وقام للمجاورة بالحرمين الشريفين ولكنه عاد إلى القاهرة فتعين فى وزارة الداخلية وترقى إلى أن بلغ رتبة الميرالاى وصار ياوراً لجلالة الملك فاروق الأول وفى أثناء وجوده بالسراى قام لفيف من الانكليز بعبـــارة تهديدية فتصرف يومئذ تصرفا أعجب جلالة الملك الذى منحه رتبة اللواء ولم يزل ياوراً .

المارشال محمـــد المهدى



ولد بأم درمان فى ذى الحجة سنة ١٣١٢ هـ : ١٨٩٣م فكان والده الخليفة عبد الله ابن السيد محمد التاكى . وأما والدته فالسيدة أم كلثوم بنت الإمام المهدى الغنى عن التعريف . كان محمد المهدى المثل الأعلى فى ذكائه وفطنته وإبائه الذى جعله يحيى حياة تعسة مع الانكليز كما سنذكره فى مكانه بعد هذا السفر . فقرأ القرآن الشريف على الفقيه أحمد

أبى جنازير الركابى ، بأم درمان ، وعلى غيره فى جزيرة الفيل بمدنى . وتعلم تعليما دينياً على الشيخ الطاهر تاتاى والشيخ محمد البدوى وغيرهما . ثم التحق بكلية غردون فى سنة ١٩٠٨ وتخرج منها سنة ١٩١٤ وعين مترجماً بمحكمة حلفا المدنية ثم نقل منها إلى مصلحة الأشغال ، ورافق حملة فتح دارفور فى سنة ١٩١٦-١٩١٧ ، وبعد فراغه من الخدمة فى مصلحة الأشغال ، أقام فى الجبليين بين عشيرته التعايشية وغيرها كالحمر وسليم والهبانية والزريقات وغـــيرها ، ودار محارب . واتخذ الزراعة وصيد الوحوش وسيلة لكسب قوته . ولما قدم الفيكونت ألمى إلى مدينة الجبليين سأل عن خبير يحادثه عن تلك البلاد ، فقدم إليه السيد محمد المهدى والذى طلب اليه فتح مدرسة لأبناء تلك العشائر ونفذ هذا الأمر . فكتبت عنه جريدة التايمس « قابل الفيكونت المى بالجبليين أحد أبناء الخليفة عبدالله الذى أخذه الانكليز أسيراً عندما كان عمره خمسة سنوات وأدخل كلية غردون وهو يتحدث الانكليزية كأحد ابنائها » . ثم أعيد مرة ثانية مترجما لمركز كوستى ثم نقل منه لمنجلا سنة ١٩٢١ ، وبعد ١٨ شهراً نقل لمديرية الديم وكان لا يقبل الاضطهاد فى شتى صوره . فأخذ يظهر كراهة للانكليز ، فنقل الجواسيس عنه تلك ، لجهة الاختصاص فوضع فى القائمة السوداء .

جاء إلى الخرطوم بالأجازة فوجد جمعية اللواء الأبيض فى إبان نهضتها فاشترك فيها وكان هناك جماعة مترددين فى الاشتراك ولما رأوا محمد المهدى اشتركوا وهم اليوزباشى أحمد عقيل واليوزباشى أحمد حلمى أبوسن وغيرهما . ثم أخذ أعضاء الجمعية يمضون عرائض الاخلاص لمصر والولاء للملك فؤاد ثم تكفل السيد محمد المهدى بتوصيلهما لزغلول باشا وأخبر أهل بيته أنه قائم لمدنى ثم تقشف ولبس ملابس الخادمة لكى لا يعرف وقد سار الملازم أول بقطار الاكس بريس إلى حلفا وكان معهما جاسوس (يرقبهما) يظهر لهما الاخلاص ويرفع أحوالهما إلى جهة الإختصاص وما كاد القطار يصل حلفا حتى أحيط بالمدير وموظفوه وما كان يعرفهما أحد لولا السيد على اسماعيل الأزهرى نائب المأمور بحلفا فقبض عليهما وأعيدا فى نفس القطار إلى الخرطوم ولكن السيد محمد المهدى وفق فى تسليم غرائض الولاء الى ضابط مصرى يدعى رأفت بعد أن أقسم له على المصحف بأنه يسلمها الى سعد زغلول باشا وفعلا تسلمت له بواسطة حمدى باشا سيف النصر أما السيد محمد المهدى فقد ألقى القبض وأعيد إلى الخرطوم ولما شاع الخبر اجتمع أعضـــاء جمعية اللواء على مقابلته بمظاهرة مسلحة بالعصى

والساكين وبعض المسدسات إلا أن المستر وست حكمدار بوليس الخرطوم قام في جمع من البوليس وقابل القطار في محطة الكدرو ثم أنزل السيد محمد المهدى وسار به في جنح الظلام إلى سراى خاله السيد عبد الرحمن المهدى باشا وادخله بها بعد أن أحاطها بسياج من رجاله فبالرغم عن تلك اليقظة فإنه تمكن من الخروج وسار إلى أعضاء جمعية اللواء الأبيض وأفهمهم بأن الاوراق السياسية نجحت وتسلمت إلى سعد زغلول باشا مع ضابط مصرى ثم عاد إلى السراى . وفى الصبح استدعاه السكرتير إدارى وأفهمه بنقله إلى الدويم ففرح لأن له فيها معارف وأصدقاء ربما يساعدونه فى الدعاية لمصر . وكان المدير هنـــاك المستر نكلس فلامه على اندماجه بين اولئك الثائرين ووعده خيراً بعد عودته من الإجازة . ثم سافر وترك عمله لنائبه المستر ريد الذى رأى منه نشاطاً سياسيا جملة يقبض عليه ويعيده لسجن الخرطوم بحرى وبعد أيام اغتيل السر لى ستاك بالقاهرة ودخلت الثورة فى دورها الحاسم فتشعبت القضية إلى قضايا وأفضى التوتر إلى ضحايا كما تراه بعد .

الكلام عن سجنه

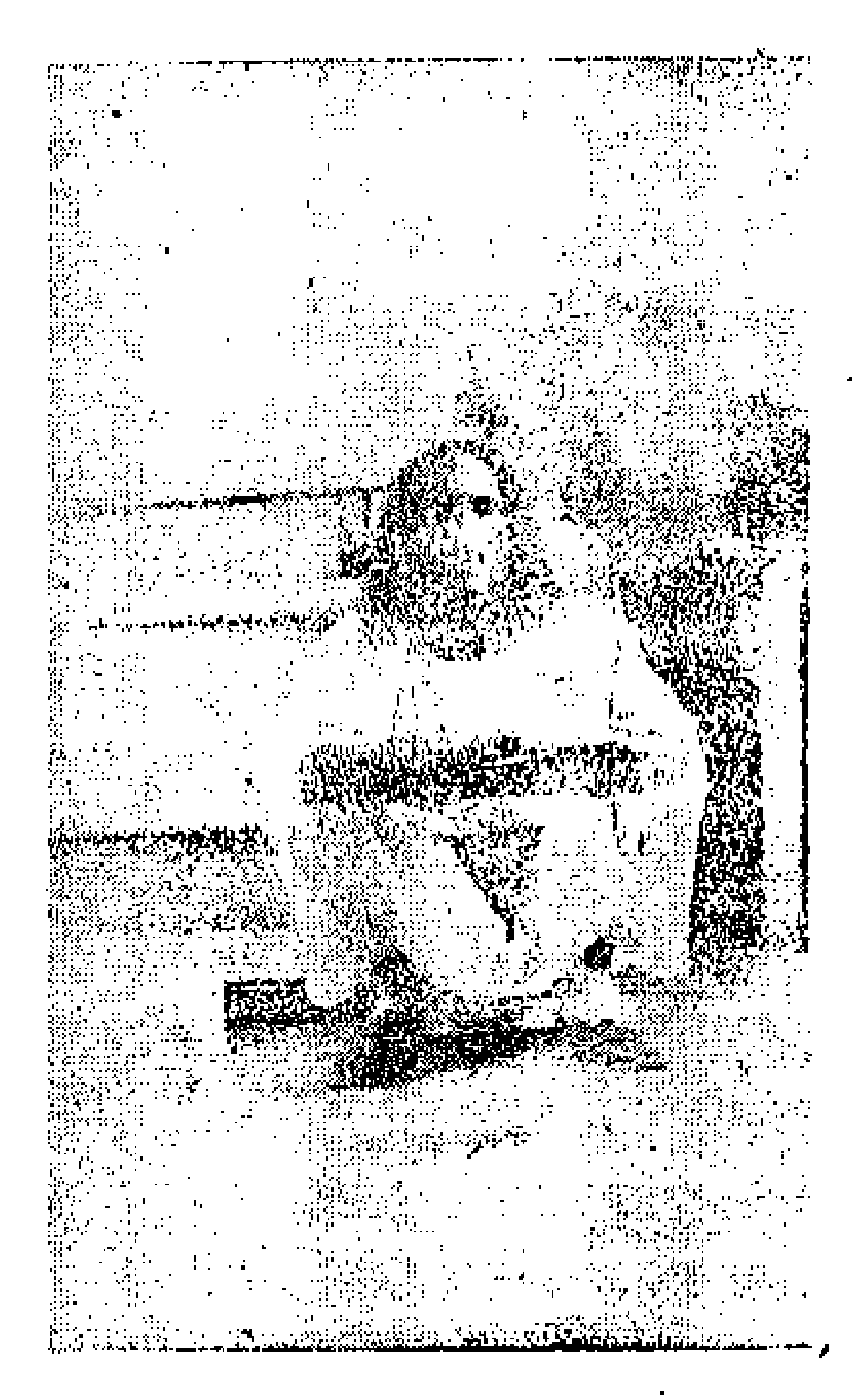
جاء السيد محمد المهدى إلى السجن العمومى فى أخطر الأوقات لأن تلامذة المدرسة الحربية حطموا الأغلال والأبواب واتخذوا علماً مصريا وهتفوا بحياة مصر وأحمد فؤاد ملك مصر والسودان فانتخبوا السيد محمد المهدى زعيما وقبلوا إرشاداته فى أعمالهم الجنوبية وفى اليوم التالى نشبت الحرب بين السودانيين والانكليز فأول اقتراح قدمه الزعيم نقب سور السجن تجاه البلوك الانكليزى الذى يقف « قره قولا » عليهم من الخارج وعند ما يتمكنوا من فتح السور يتسلح نحو ٧٠٠ مسجون بآلات الحفر كالطوارى والفؤس وآلات النجارة وغيرها ويهجموا على جنود القره قول ويبددوهم ثم يتسلحوا بسلاحهم ويهاجموا الانكليز من الخلف وربما يشترك معهم عمال الوابورات والسكة الحديد ولكن سمع الانكليز نقب السور وأبلغوا رياستهم التى أتت إليهم بمقادير وافرة من الأسلاك الشائكة والأسمنت لعمل حاجز خلوج السجن لتعيق أى هجوم من داخل السجن فكف المعتقلون عن نقب الحائط . وشددوا الرقابة على من بالسجن ولكن عاد السيد محمد المهدى وبشير افندى مرسال الذى كان معلما فن الإشارة بمدرسة حزب إلنا وأبو زيد احمد فصعد الثلاثة على السطوح وأخذوا يراقبون الحالة فى الخارج فلاحظ بشير نوراً يتلألأ فى الطابية الانكليزية فقال لصاحبيه إن ذلك

النور يدل على محادثة بين الطابية وسراى الحاكم فقالا له خذ المحادثة لعلنا نفهم منها بعض الشيء وكان ضعيفا فى الانكليزية فتلقاها حروفا ورتبها رفيقاه بما ترجمته (أخبار اليوم) قتل ١٧ ضابطا بما فيهم المارشال فنزلوا وأخبروا المسجونين بما شاهدوه .

وفى الغد جاء البكباشى لدلو قومندان البوليس وبرفقته ضابطان وطنيان هما اليوزباشى بلال افندى رزق والملازم أول عبد الدايم افندى محمد وخمسة جنود



انكليز مسلحين بالبنادق صعدوا بأعلى السجن وأخذوا ينظرون مابداخله ثم استدعوا السيد محمد المهدى وقال له البكباشي بصوت جهورى (لقد أمر الحاكم العام بضرب السجن وإعدامكم ما لم تسلموا أفهل لك أن تسلم فتنجو من موت محقق فقال لهم أما الموت فأمر لابد منه ولا يمكن التسليم فافعل ما تشاء . فأمر البكباشي الخمسة عساكر بحشو بنادقهم ونادى فيهم قائـــلا نيشان وأخذ الضابطان يقولان له سلم ولا تحزنا بموتك وكان يردد كلمة التوحيد ويقول لهما لا تشغلان عن ربى . فقال البكباشي أعطيك فرصة خمس دقائق فأجابه السيد خمس أو خمسين فلا أبالى بموت فى سبيل واجبى وبعد مضى المدة قال عدوه إلى فرصة أخرى . وترك السيد وخرج الضباط وقد تقرر نقل المسجونين إلى الجيش . ونرجىء الكلام عن الذى طائفة المسجونين وبعد نفيه إلى واو عذبه هناك كما ترى فى صورته الأخير . أما لقب المارشال فأطلق عليه الانكليز تهكماً وسخرية .



شهادة أجنبي

نشبت الحرب فى شوارع الخرطوم ٢٢ ساعة والناس ذعروا وفروا إلى الجهات تاركين كثيراً من دررهم وحوانيتهم مفتحة الأبواب ٤٨ ساعة لم يتطرق عليها خائن ولم يشكو أحد من سرقة . والحال أن الجنود الثائرون يهرولون بين أحياء المدينة فر أربعة منهم بلوكاندة غردون فسألوا خواجة يونانى قائلين له ألم يكن باللوكاندة ضيف فأجابهم بأن بها ضابط يوزباشى مصرى فاستدعوه ولما أطل إليهم من الدور الأعلى قالوا له ألم يكن معك انكليزيا فأجابهم بكلا فاستحلفوه فأقسم لهم بالله على أنه لم يوجد انكليزى فقالوا له إذن ادخل حجرتك حتى لا يؤذيك الرصاص وذهبوا فقال الخواجة اليونانى لا يوجد فى العالم جندى أكثر نظاماً وأبلغ عفه من الجند السودانى فلو حدثت هذه الثورة فى باريس أو غيرها من البلاد المتمدنة لذهبت خزائن البنوك والشركات واعبث الثائرون بأموال التجار والأهالى المدنيين . ولما هدأت الأحوال أصبح كل آمن على حقه وكل بما فعلت يداه رهين .

وطنية متطرفة

قال لى محى الدين على نصر الصايغ الجواهرجى بالقاهرة دعانى القائمقام محمد سر الختم بك ضمن جماعة لتناول طعام الغذاء فى عين شمس . وكان والده صالح جبريل حاضراً . وبينما نحن نتجاذب أطراف الحديث . إذ رأيت رجلا يرتدى ملابس الفلاحين دخل دار محمد سر الختم فأسرع رب الدار إلى لقائه لإعطائه راتباً شهرياً فرضه له . فقام والده ولحق به ولكنه لم يهابه بل قبض على يده وجاء به إلينا . فقلت لمحمد سر الختم . لما أسرعت فى اخراج والدك من عند ضيفك . فأجابنى قائلا لأن الضيف هو (سيد فرح) الضابط المحكوم عليه بالاعدام وأنت تعرف والدى بتاع مخابرات فوالله العظيم لو أشاع سر هذا الضابط لاطلق عليه النار من مسدسى ولا شك أن الوطنية التى تدع إلى العقوق بالوالد لهى وطنية متطرفة ولا غرابة لقوله تعالى (ووصينا الانسان بوالديه احساناً) .

الهجوم على الانكليز

كان بمدرسة ضرب النار بالخرطوم طائفة من الضباط والصف ضباط ليتعلموا ضرب النار بالخرطوم ويعودون لوحداتهم فيعلمون غيرهم وكان بالمدرسة ضباط سودانية فضموا إليهم فصيلة من ضباط ١١ جى أورطة سودانية فبلغ عدد العساكر ٨٠ جنديا أما الضباط فستة وإليك أسماؤهم : —

(١) الملازم أول عبد الفضيل افندى ألماس دنكاوى
(٢) « « سليمان افندى محمد مصرى مولد بالسودان
(٣) الملازم ثانى ثانى ثابت افندى عبدالرحيم دنكاوى
(٤) « « حسين افندى فضل المولى «
(٥) « « سيد افندى فرح محسى مولود بدلقو
(٦) « « على افندى البنا جعلى

يقال كان يظن هؤلاء الثوار أن الميرالاى أحمد بك رفعت قومندان الطوبجية المصرية أنه سينضم إليهم ويطلق المدفعية المصرية على الطابية الانكليزية ومتى وفق على إسكاتها أصبح من الميسور اجتياح القوة الإنكليزية وإسقاط الخرطوم !! وفى يوم الخميس ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٤ انقسم الثوار إلى أربعة أقسام الاول منها بقيادة عبد الفضيل افندى وقرروا أن يسير هذا بشارع غردون ، ويتولى قيادة الثانى سيد افندى فرح ويسير هذا بشارع الملك أى فى شمال النيل الأزرق ويثبت حسن افندى المولى فى معسكر السجانة وثابت افندى عبد الرحيم يكمن فى كثيب من الرمل قريباً من السجن الحربى لحماية الثلاث فصائل الأخرى إذ ربما قام الانكليز بحركة التفاف وضربوا الهاجمين من الخلف .

وحوالى الساعة الرابعة مساء سار الثوار يحملون صناديق الجبخانة على عربتين كاور ولما بلغوا إلى ميدان عباس . قاموا بتمرينات عسكرية أظهروا فيها رشاقة وخفة استرعتا نظر الموجودين على المقاهى . وبعد أن وقفوا صفاً ثم رفعوا أيديهم إلى قبلة الدعاء وهمسوا بعبارات ودعوا بها هذه الحياة المرة ذات المسالك المظلمة إلا إننا لم نقف على الصيغة التى دعوا الله بها .وقال فريق انهم صلوا على أنفسهم صلاة الجنازة الا ان هذا لم نجد له مبررا شرعيا

وكان للمرحوم البكباشى إسماعيل افندى نجل يدعى سيد افندى يشتغل كاتب فى

أجزخانة لندن وهو يعرف عبد الفضيل افندى الماس ولما شاهده يتولى قيادة تلك الفصيلة ومن ورائه عربات الجبخانة أسرع وسأله بقوله : إلى أين تذهبون ؟ فأجابه الضابط قائلا : « إلى الكلاب الذين بالكلية فاليوم إما لنا أو علينا » ففهم كاتب الأجزخانة وأفهم الخواجة مخاليدس صاحب أجزخانة لنـــدن الذى أوصد باب الأجزخانة وأسرع إلى مدرسة البنات الانكليزية وطلب تسليمه بناته فقالت له الناظرة : الآن لم تنته حصة الدرس فقال الخواجة ملحاً أنا أفهم ذلك ولكن سيحدث حرب . فهنا صرحت الناظرة لعموم الطالبات بالانصراف واتصلت بمدير المخـــابرات تلفونياً وقالت له ما خلاصته : وكيف ينتظر حدوث حرب ولا تخبرونا بها ؟ ولما سألها أفهمته بأنها علمت من الخواجة مخاليدس . ولذلك أبلغ مدير المخابرات مكاون باشا قومندان قسم الخرطوم الذى أسرع فلحق عبد الفضيل افندى الماس وسأله بقوله : إلى أين تريد ؟ فأجابه قائلا : « إنى جنـــدى مصرى وأريد الإنضمام إلى الطوبجية المصرية بالخرطوم بحرى . فنصح الباشا إليه فلم يلتفت إلى كلامه . وهناك دخل مكاون باشا أقرب مكتب تليفونيا وأمر الجيش الانكليزى بقطع الطريق ومنع الجنود السودانيين من المرور على كبرى النيل الأزرق فضرب الجيش الانكليزى نوبة (كبسة) فهب الجنود الانكليز من سباتهم وحملوا أسلحتهم واصطفوا فى الطريق الواقع فى جنوب وشمال كلية غردون ثم رقدوا على الأرض متجهين غرباً . ووضع كل جندى قبعته الفولاذية على الأرض حيث أثبت مقدمتها لتكون ساتراً تقى رأسه من مقذوفات العدو . ولما شاهد الضابطان عبد الفضيل افندى وسيد افندى محمد كلاهما بفصيلته فى مجارى عملت لتصريف مياه الأمطار وصبها فى النيل فى إبان فصل الخريف . وتأهب الفريقان . وفى نحو الساعة ٥ والدقيقة ٣٠ أراد الانكليز تهديد السودانيين ليضطروهم إلى الرجوع فأصدر قائدهم الأمر لأحد الجنود الانكليز بأن يطلق ثلاثة عيارات على السودانيين الذين ما كادوا يسمعون الطلقة الأولى حتى أطلقوا النيران على الانكليز الذين قابلوهم بالمثل ودوت أصوات المكاسم واشتد لهيب الحرب واضطرب سكان المدينة واستولى عليهم الرعب . وفى نحو الساعة العاشرة مساء رفع الثوار المكاسم وربطوها على الأشجار وصاروا يراقبون خط نار الانكليز حتى ما شاهدوا نور الكشافة حكموا المكان وفتكوا بهم فتكا ذريعا وقد وصف الأنوار التى كان يرسلها الانكليز لاستكشاف خط نار السودانيين وكان السودانيون يتخذونها هدفا يسددون عليه

مقذوفاتهم الأديب الأستاذ حسين منصور فقال : —

وقف الجيش وقفة ليس تنسى ... وأجاد الوقوف عند اللقاء
ضحك الموت بينه ساعة الجسر ... م وحيا ملوحا بالفضاء
صائحاً للأمام صيحة زهو ... صائحا للوراء فى الأعداء
فإذا أومضوا لكشف وميضاً ... بسم الموت بسمة استهزاء
وأى المستجل الطريق إليهم ... شاكراً إن هدوه بالأضواء
يالها ليلة ويوما عبوساً ... تركا الشعب شاخصا للسماء
يسأل الله رحمة ومصيراً ... كاملا فى الحقوق حق البقاء
عاش أهل الجنوب إخوة مصر ... فى الضحايا وعاش كل فدائى

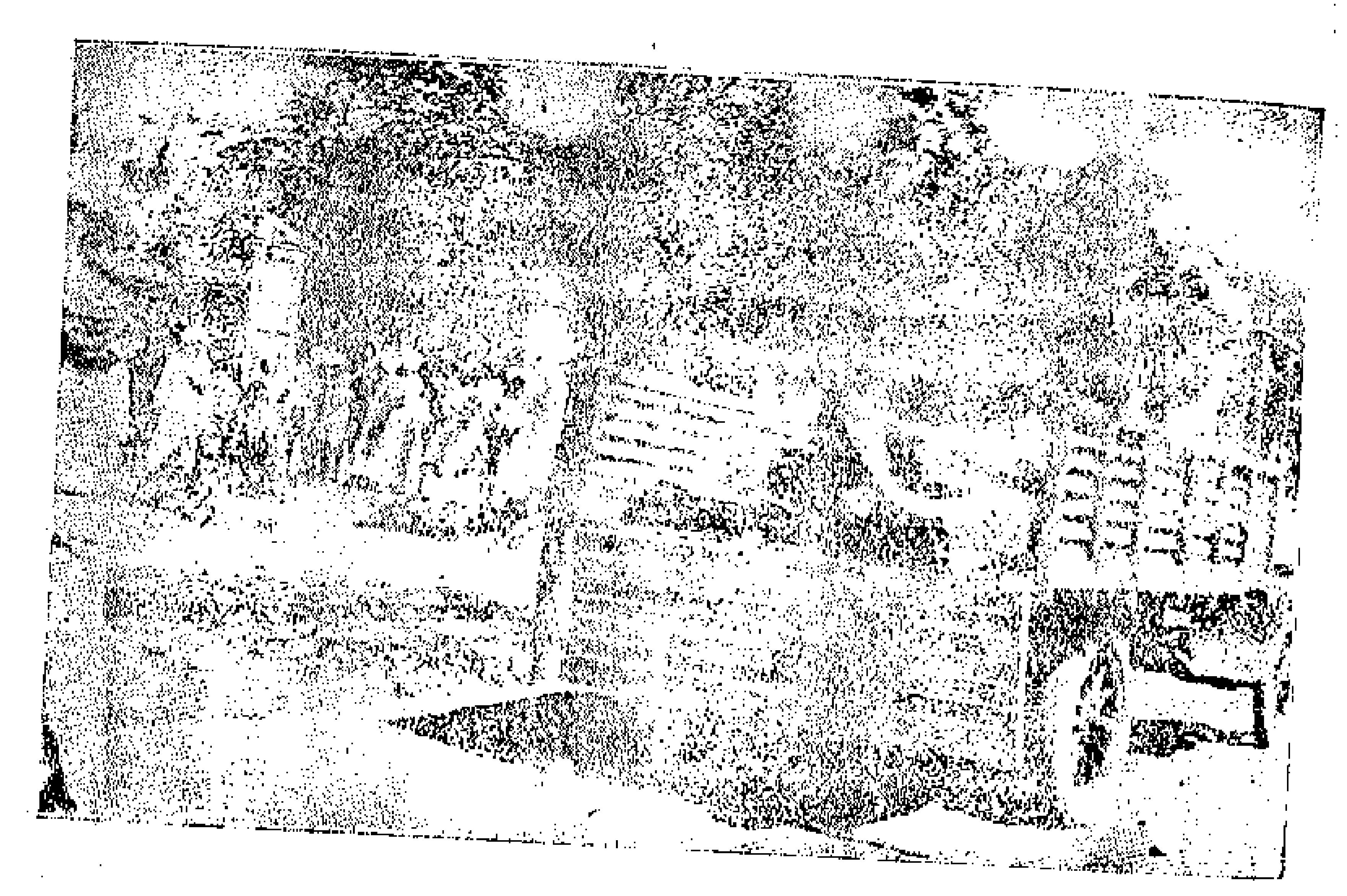
وهكذا كان حتى نفدت الجبخانة منهم ولم يبق سوى ١٠ طلقات فى بندقية كل فرد من الجنود . وقد صار عبد الفضيل افندى يبحث عن مخزن الاسبتالية العسكرية لأنه تحصن فى ميس ضباطها . وبينما هو يتنقل بين غرفها وإذ قابله صول مصرى فأوجس الصول خيفة وصار يرتجف إلى أن الضابط هدأ روعه وقال له لاتخف لاشأن لنا بك غير أنى أرجوك ان تدلنى على مخزن الجبخانة ولما أخذ الضابط يحاول كسر باب المخزن أسرع الصول وأبلغ القائمقام حكيمباشى الجيش المصرى بالسودان المدعو روبرت كاريل فهبط ذلك الطبيب الجرى من الدور الأعلى شاهراً مسدسه فى يده اليمنى . وكان فى امكانه أن يطلق النار على الضابط من الخلف فيصرعه فى لحظة واحدة ولكنه أراد أخذه أسيراً وقد فاته ان ذلك أمر دونه خرط القتاد وشيب الغراب . فالضابط كان يحمل مسدساً محشواً رصاصاً ووراءه مايحميه من الجنود البواسل فقبض القائمقام روبرت كاريل بك الانكليزى على الضابط من الخلف والتفت هذا بسرعة عليه ولما أراد إطلاق المسدس عليه قبض الطبيب يد الضابط بيده اليسرى وشدها لأعلى وهكذا فعل الضابط السودانى بيد الطبيب فأصبح المسدسان يطلقان على سقف الاسبتالية وهما يتصارعان بعنف ففى الحال هبط من السلالم ضابطان سوريان هما الصاغول أغاسى نجيب افندى خليل حداد الطبيب والثانى الملازم أول نعيم افندى سليمان أزان الأجزجى فقبضا على رجلى الضابط السودانى الذى صرع على الأرض وركب الثلاثة ضباط عليه وأخذوا يحاولون كتف ذراعيه إلى الخلف قبل أن يشدوا وثاقه شاهد جندى سودانى تلك المصارعة وان ضابطه تحت ثلاثة من أعدائه فأطلق عليهم ثلاث طلقات من بندقيته حتى جندلهم

على الأرض يتضرجون فى دمهم . وهناك وثب الضابط قائماً واستأنف ضرب باب المخزن حتى كسره وأخرج الجبخانه واستدعى بعض الجنود الذين نقلوها إلى خط النار وواصلوا الحرب إلا أنها عادت فنفذت . ومن ثم قام الملازم سيد فرح بدوره وكان شابا قوى البنية جريئاً فرأى من الضرورى أن يجوز النيل سباحة إلى ٣ جى أورطة مصرية بالخرطوم بحرى ليحضر منها كمية من الجبخانه إذ أن مدافع المكسيم الموجودة لديهم عطلت . وفى الوقت الذى سبح فيه الملازم سيدافندى فرح إلى الشاطىء الشرقى أحضر الانكليز مدفعاً ضخماً لهدم البناء الذى تحصن به الثوار وفعلا أخذوا يطلقون قذائفاً هدمت جانباً من بناء المستشفى ومات الملازم أول عبد الفضيل افندى الماس

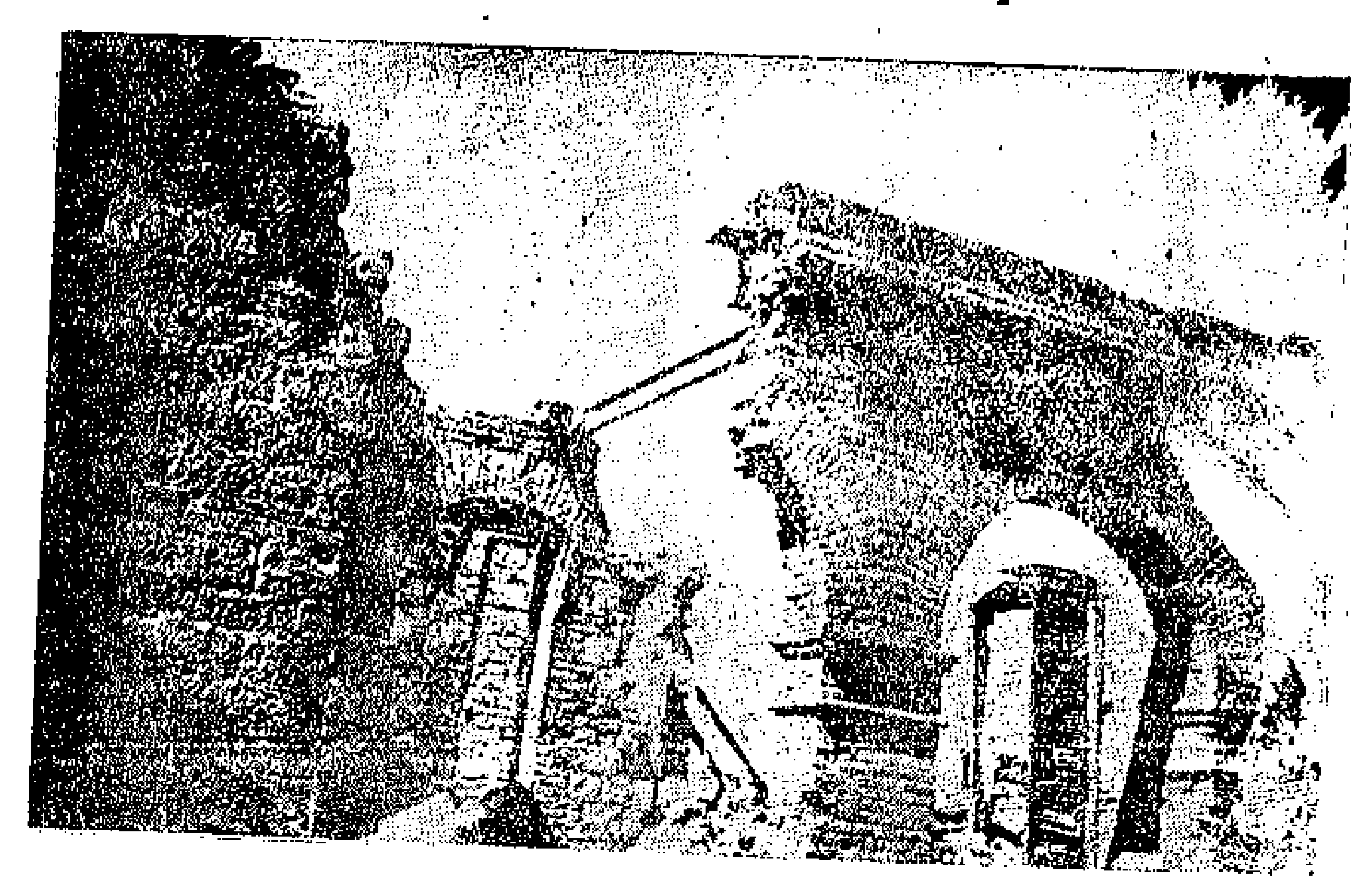


الملازم عبد الفضل الشهيد فى الحرب

وبضعة جنود تحت الانقاض . وفر آخرون إلى جهات أخرى ولم يبق عدا أونباشى نوباوى الأصل يدعى نومو أجَم وآخرون وكان الأونباشى بداخل أود صغيرة لخدم



سيارة تحمل الضباط والعســــاكر الى المقبرة



جدار ميس المستشفى الذى هدمها الانجليز بالمدافع الضخمة

ميس الاسبتالية ولما انقطع صوت المقاومة بالاسبتالية تأكد الانكليز أن لا عدو بها وأسرعت فصيلة انكليزية إلى الدخول بالمستشفى ورقد الجنود متجهين نحو الأنقاض التى كان يدافع السودانيون من ورائها فأصبح خلفهم ثلاثة من بقية العدو كما أسلفنا فصوب كل منهم نحو سبع طلقات على الانكليز مات بكل طلقة رجل وفر الباقون . وهناك



حامد بك صالح المك

أعيد إطلاق المدفع حتى هدمت الأود على الأونباشى فومو أجَم وأحتل الإنكليز المستشفى وصاروا يطلقون الرصاص على الأنقاض فأصيب الأونباشى فى ذراعه وهو تحت الأنقاض وبقى كذلك إلى صبيحة الغد . ومن ثم كاف الملازم أول حسن افندى محمد عبد القادر المهندس بالأشغال بإخراج الجثث من تحت الأنقاض فجاء هذا مع لفيف من العمال الذين أخرجوا الجثث ماعدا الأونباشى فومو أجَم وجد به عرق ينبض فأسعف بالعلاج وقد نجا وبرىء من المحاكمة وقد استعان الانكليز يومئذ ببلوك من البياده الراكبة بقيادة حامد بك صالح (باشا) بالكبرى و ٢٠٠ جندى من البوليس بالخرطوم

تسريح الجيش

اعتاد الانكليز تسريح كل جيش عرف عنه الشمم والأباء كما فعلوا بجيش السيد أحمد عرابى باشا فى سنة ١٨٨٢م وفى سنة ١٩٢٤ سرحوا جندا باسلا عركته الأيام وصقلته التجارب بعد استثنوا من كل أورطة بلوكا ليجعلوا منه أساساً لجيش جديد مع ان القديم والجديد كلاهما كأسنان المشط لافرق بين هذا وذاك

« فلول الثوار »

فى الساعة ١١ والدقيقة ٣٠ من مساء يوم ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٤ لجأ أربعون جندياً إلى معسكر حملة الجيش المصرى بالخرطوم وكانوا مثخنين بالجروح فطلبوا من ضباط الحملة عمل الاسعافات اللازمة لتضميد جروحهم وكان فى الحملة يومئذ ضابط برتبة الملازم ثانى يدعى السميح (يوزباشى) وصول تعليم يدعى عبد الله افندى خيرى أخذ هذان فى تضميد جروح الأربعين جندياً وبعد الفراغ . سار أولئك الجنود إلى شاطىء النيل عند مكان كبرى أم درمان وقد دفعوا كل ما بقى من الجبخانه إلى ثلاثة عساكر منهم وقالوا لهم دافعوا عنا إذا قدم عدو من ورائنا ثم جازوا النيل لأم درمان

فبلغوا اليها حوالى الساعة ١٢ والدقيقة ٤٠ وقد حدث لأحد الثلاثة جنود أنه اشتبك مع رجال البوليس فى حرب حيث ولج فى ماسورة أعدت لتصريف المياه فى فصل الخريف وأخذ يطلق الرصاص حتى أعجز البوليس عن مقاومته وهناك احضر جماعة التعايشه قشا أشعلوا فيه النار وقذفوه بالماسورة حتى هلك الجندى مختنقاً . أما رفيقاه فمثلا دورا أغرب من هذا . ألا وهو قام بلوك من الانكليز على باخرة بقصد الوطول إلى ملكال بناءاً على طلب المستر إستروفى مدير أعالى النيل كما أسلفنا وبعد قيام ذلك البلوك من الخرطوم ببضع ساعات حدثت الحرب فى الخرطوم وأضطر نائب الحاكم العام لإرجاعه فأبرق لضابط البلوك بواسطة مدير الدويم يأمره بالعودة إلى الخرطوم وما كادة تلك الباخرة تلقى مراسيها فى ميناء الدويم حتى قابلها المدير ودفع البرقية إلى قومندان البلوك الانكليزى الذى قفل راجعاً ولما جاز جبل أوليا وتقدم شمالا نحو بضعة أميال شاهد الإنكليز جندياً من ١١ جى أورطة سودانية يقف على شاطىء النيل الأبيض الشرقى وكان المكان يكثر به شجر العشر . ولما تأكد الإنكليز من أن الجندى كان من فلول الثوار ارتكز رجل منهم وأطلق عياراً نارياً فى غاية الأحكام حتى صرع الجندى على الأرض . وهناك عرجت الباخرة إلى مكان القتيل ولما دنت من الشاطىء أنزلت زورقاً دخل به ثمانية جنود انكليز جميعهم عزل ولما بلغ بهم الشاطىء وقف الثمانية بقصد النزول إلى الشاطىء لإحضار البندقية وسلب المقتول . وما كادوا يفعلون حتى سمعوا طلقاً نارياً دوى من داخل شجر العشر صرع شخصاً منهم ووالى إطلاق النار حتى قضى على من بالزورق ولم ينج واحد منهم أما الباخرة فإنها سارت بسرعة مدهشة ولم تلتفت إلى جثث القتلى التى اكتفى فيها بإرسال اشارة تليفونية إلى مفتش جبل أوليا بإرسالها إلى الخرطوم . وقد نجا الجندى قاتل الثمانية انكليز لأنه لم يظهر من بين العشر . هذا ولقد جاء إلى الحملة عقب هؤلاء ٤٥ رجلا من مسجونى السجن الحربى يحملون على أكتافهم ٤٠٠٠ طلقة جبخانه قالو ان الضابط ثابت افندى عبد الرحيم أفرج عنهم ولكنهم لم يجدوا الأسلحة الكافية لتسليحهم وطلبوا من ضابط الحملة اعطاءهم بنادق لكى يذهبون لحرب الانكليز إلا أن الضابط استلم منهم الجبخانه وضن عليهم بالبنادق فتفرقوا إلى جهات مختلفة . ومن الغريب المدهش حدثت تلك الحرب العنيفة فى نحو ٢٤ ساعة دون أن يتعرض الثوار لنهب درهم واحد .

هل تمردت جنود الحملة ؟

كانت حملة الجيش المصرى بالخرطوم تتألف من ٢١٠ جندياً وضابط برتبة البكباشى يدعى (   ) جاء منقولا من السوارى والملازم الثانى ابراهيم افندى محمد السميح والصولان عبد الله افندى خيرى وعبد القادر افندى يوسف و ٣٠٠ عامل من السياس . ولما نشبت الحرب أرسل الملازم إلى البكباشى (   ) يدعوه إلى الحضور لإعطائهم التعليمات عن التدابير التى يجب أن تتخذ فى أحوال كهذه ، إلا أن البكباشى رفض الخروج من داره . وهناك حار الملازم والصولان فى الأمر ولكنهم عمدوا إلى اتخاذ تدابير لحماية حيوانات الحملة ومعسكر الحريمات عند الطوارىء ، فصرفوا الجبخانة الكافية للجنود وخرج البعض من ثكناتهم وانضم إليهم بعض جنود الموسيقى السودانية فصار الجميع ٨٠ جندياً اتخذوا خطاً يمتد من خط سكة حديد الأسكلة إلى النيل الأبيض وولوا وجوههم نحو الشمال، فأوجس الملازم ثانى ابراهيم افندى محمد السميح خيفة وظن أنه ربما اتهم بالتمرد . فخلع ملابسه العسكرية واستبدلها بملابس وطنية وسار متنكراً حتى أبلغ الحكومة قائلا : إن الصول عبد الله افنـــدى خيرى تمرد ببعض جنود الحملة وانضم إليه بعض جنود الموسيقى ، وهاهم اتخذوا خط نار يمتد من شريط سكة حديد الأسكلة إلى البحر . فقد أعطيت التعليمات إلى البطارية بوضع المدافع على سطح ثكنات البوليس المطلة على قشلاقات جنود الحملة . وأصدر الأمر حالا لورش السكة الحديد بتدريع أحد قطاراتها بقطع من الساج السميك وسلح القطار بمدافع مكسيم لمحاربة تلك الطائفة مع أنها لم تخرج عن الطاعة . فسار القطار المسلح فى الساعة ٤ والدقيقة ٣٠ مساء إلى خط نار جنود الحملة . ومن محاسن المصادفة فإنه وجد الجنود رأوا هدوء الأحوال نوعا وعادوا إلى ثكناتهم قبل وصوله بنحو نصف ساعة . فعاد القطار وأبلغ بأن لا عدو فى هذا المكان كما أخبر السميح ، وهنـاك قبض على الضابط المبلغ وقامت حوله الشكوك !!

إذا ساء فعـل المرء ساءت ظنونه ☆ وصدق مايعتـــاده من توهم
وعاد محبيـــه بقـول عادته ☆ وصابح فى شك من الليل مظلم

وبدىء بعد تحقيق وجهود دامت بضعة أيام ، وفى الساعة ٥ مساء جاء البكباشى

أدير والمستر بيلي نائب مدير الخرطوم إلى معسكر حريمات الحملة فقابلتهما مريم شيخة الحريمات فقالا لها « هل جنود الحملة يريدون حرب الانكليز ؟ » فأجابتهما سلبياً . فقالا « وهل أنت متأكدة إذا سرنا لهم لا يضربون بالرصاص؟ » فقالت الشيخة مريم « نعم إني واثقة بأن لا عداء هناك يضطرهم إلى ضربكما بالرصاص » ووعدتهما بأن تحضر لهما الصول بعيداً عن محيط القشلاق . فقالا إذن ائتنا به ، فذهبت إليه ولما أخبرته جاء معها الصول عبدالله افندى خيرى وبعد أن حياهما قالا له : كيف الحالة بالحملة . فأجابهما لا شيء يستحق الذكر غير أنه حضرت لنا فضيلة من جرحى الحرب عملنا لها الاسعافات اللازمة وأعقبتها أخرى تحمل ٤٠٠ طلقة جبخانة تريد منا سلاحا فاعتذرنا لها عن عدم وجود السلاح واستلمنا منها الجبخانة وتركناها وشأنها . وفى الصبح خرجت ببعض الجنود فاتخذنا خط نار بين شريط سكة حديد الأسكلة والنيل لحماية معسكر الحريمات وحيوانات الحملة ولما لم نر خطراً عدنا إلى معسكرنا كما كنا . فقال البكباشى أدير : وهل هناك مانع إن جئنا إليكم ببلوك من الجيش الانكليزى . فأجاب الصول بأن لا بأس . فعاد وقال أدير : ولكنا نريد أن تكون أنت المسئول عن الأمن ولا لزوم أن نأتى بجنود أخرى . ثم دخلا إلى المعسكر وتفقدا حالة الجنود وقفلا راجعين .

طرد الجيش المصرى

طلبت حكومة انجلترا سحب الجيش المصرى من السودان إلا أن سعد زغلول باشا رفض الإذعان . وكان المستر دايزى استرى نائباً للحاكم العام فى إبان تلك الحادثة المشؤومة . فتلقى إشارة برقية بطرد الجيش المصرى من السودان . ولكن رفض الميرالاى أحمد بك رفعت قومندان الطوبجية النزول إلى مصر لمجرد أمر نائب الحاكم العام . وقد سر السودانيون عموما والمعتقلون خصوصاً لموقف رفعت بك إلا أنهم مالبثوا أياماً حتى جاء البكباشى أمين افندى هيمن ، على طائرة مندوبا من جلالة الملك فؤاد الأول لسحب الجيش المصرى من السودان . وقد وقع هذا النبأ وقعاً سيئا من نفوس السودانيين ماعدا صنائع الانكليز منهم . قال لى حاج الشيخ عمر الذى كان مسجونا . لقد بكى بعض المعتقلين فى السجن العمومى وصار آخرون ينحون نااللائمة

على المصريين ويوصمونهم بضعف الإرادة . وفى الحال صفت قطارات السكة الحديد ونقلت الطوبجية مدافعها وذخـــيرتها وكذا ٣ جى أورطة بيادة ، أما ٤جى أورطة بيادة فإنها تركت كل ما بعهدتها من سلاح وذخيرة فى مكانها للجيش الانكليزى . ولقد قدر الانكليز لقومندانها تلك الخدمات الجليلة كما يقولون وقو منح رتبة اللواء

وهنا نذكر بغاية الغبطة والسرور حادثا طريفا دالا على صدق ولاء المصريين وبطولة ضابط سودانى ، مثل دوراً مدهشاً فى الميدان والدهاء والمكر مع ضبط النفس والسيطرة على المشاعر فى غيره . سبق لنا أن ذكرنا الملازم ثانى سيد افندى فرح قائد إحدى الفصائل الأربع التى تمردت فى الخرطوم ، وإنه ساهم فى إدارة رحى تلك الحرب الهائلة بثبات ورباطة جأش جديرين بالإعجاب؛

ولما نفدت الجبخانة جاز النيل الأزرق سابحاً إلى ٣ جى أورطة مصرية ليرجوها إسعافه بشىء من الذخيرة ليعود إلى استئناف مقاومة الجنود الانكليزية . ولكنه قبل أن يحصل على غرضه نفدت الذخيرة من كل المتمردين وقتل عبد الفضيل افندى الماس وتضاءل شبح الثورة . فارتدى سيد افندى فرح بذلة جندى مصرى وتنكر بين عساكر الأورطة الثالثة وساعده لونه الأسمر الذى كان اشبه شىء بألوان الصعايدة . وكان مصاباً برصاصتين . وقد أبرق الانكليز إلى جهات شتى بالسودان للبحث عنه . ولما وصلت الباخرة التى كانت تقل جنود ٣ جى أورطة إلى الشلال صدر الأمر بضبط الباخرة وتفتيشها . فنزع سيد افندى ملابس الجندية وارتدى ملابس البحارة وصار يشتغل بالمدرة ويربط حبال الباخرة ويرطن مع البحارة لأنه كان يتقن اللغة النوبية فأدغم فى البحارة وغاب فى شخصهم فلم يعرفه الانكليز . ولما تحقق سيد فرح مراقبته بين جنود الأورطة سار سعياً على قدميه من الشلال إلى اصوان والتقى هناك بأحد أصدقائه الضباط المصريين وكان قائما للاجازة فأخذه معه إلى بنى سويف واختفى هناك لدى سيدة مصرية والدة صديق له وكانت تلك السيدة البارة تحضر له الحكيم لمعالجته لأن جرحه أصبح خطراً لإهمال تضميده فى أثناء السفر . وكان يقال عنه خفير فى العزبة.وبعد ٦٠يوما شفى جرحه وسار إلى القاهرة وقابل هناك صديقه الحميم الملازم محمود افنـــدى سامى مدير مدارس المبتديان فى جامع سيدنا الحسين . ولما اطمأن سيد افندى نوعا أخذ يفكر فى الطريق التى يحصل بها على قوته . وقد أدرك أن أروج الحرف الإشتغال بالتنجيم والشعوذة بين الأحياء البلدية . فأرخى لحيته ، وكبر عمامته ،

وتظاهر بأنه يعرف الرمل . وسكن فى حى من أحياء الأزهر وأخذ يزاول مهنته لسد حاجياته الضرورية . وكان إخوانه الضباط يسعون من طرف خفى لإبعاده عن محيط القاهرة خوفا عليه من البوليس السرى الذى يختلط بالناس فى المساجد والنوادى والمقاهى ودور الملاهى ولا يكاد يخلو منه مكان !!

سيد فرح يدرب السنوسيين على الفنون الحربية

قام ضابط مصرى جرىء إلى السنوسية بطريق الحدود الغربية ، وسار سيد افندى فرح بمعيته . فقابل السيد السنوسى الضابطين بغاية السعة والرحب . وعين الأخير مدرباً لجنده ، فبقى السيد افندى فرح ثلاث سنين ضابطا لاولئك العرب البواسل الذين كانوا فى أشد الحاجة إلى النظم العسكرية الحديثة . وفى تلك المدة كادت تتلاشى الأبحاث عنه . ومن ثم عاد إلى مصر ليسرح السيد السنوسى جنده .

اشتغال سيد فرح عطاراً فى ملوى

لئن كان للسيد فرح أصدقاء لا يبخلون عليه بالمعونة . ولكن أبى عليه إباؤه وشممه إلا أن يعمل لكسب قوته وخيراً فعل « فالحركة دين طبيعى من كفر به عوقب بالحرمان » وهناك أخذ يتلمس وسائل الحياة متنقلا بين قرى فلاحى مصر حتى انتهى به المطاف إلى نجع فى سفح جبل بمركز ملوى يعرف باسم « عرب الشيخ شبيكة » وافتتح له كوخا يتجر فيه بالعطارة وانتحل له إسماً جديداً ، ألا وهو « محمود عثمان » وقد شاء الله أن تزوج بفتاة من أهل النجع ورزق له منها بطفلتين . وقد كان تعليم سيد فرح قبل انيظامه فى سلك تلامذة المدرسة الحربية تعليما دينياً فساعده ذلك على الإمامة على رجال النجع الذين كانوا يثقون به ويحكمونه فيما شجر بينهم ويأخذون رأيه فى الأمور ذوات البال . وهكذا عاش ناعم البال سبع سنين لا يعرف ماعليـــه الوالدين والأهل ولا يجرأ إلى مكاتبتهم أو السؤال عنهم . وكان أصدقاؤه الضباط المصريون يسعون سعياً حثيثاً فى عهد الوزارة النحاسية حتى وفقوا إلى صدور قرار ملكى بالعفو عن سيد افندى فرح بعد الحكم عليه بالإعدام رمياً بالرصاص وانه قد قضى ثلاثة عشر عاما لا يعرف ولا يعرف من أهله وذويه . وها نحن معشر السودانيين نشكر لأشقائنا المصريين هذه العاطفة ونحفظ لهم ذلك الشعور مادمنا وداموا .

هـــذا ولنرجع إلى ماىحن بصدده من سياق الحـديث عن حوادث الخرطوم سنة ١٩٢٤ فنقول :

نقل بعض المعتقلين الى الجيش الانكليزى

حوالى ٢٨ أغسطس ســـنة ١٩٢٤

ولما غادر الجيش المصرى السودان وطرد بعض المصريين منه قدم اللواء هدلستون باشا القائد العـــام لقوة دفاع السودان ولفيف من الضباط الإنكليز وضابطان من الوطنيين هما اليوزباشى بلال افنـدى رزق والملازم أول عبد الدايم افندى محمد إلى السجن العمومى ومن ثم صعد الضابطان الأخيران إلى المقصورة المعدة لقرة قول السجن وكانت مشرفة على داخل وخارج السجن العمومى ، وأخـذا يقولان بأعلى صوتيهما : هلموا إلينا لتسمعوا مانقول لـكم . وقد هرع كل من كان بداخل السجن إليهما . فقالا « انتهى كل شىء وسافر الجيش المصرى إلى بلاده فيجب أن تذعنوا للأوامر وتسلموا أنفسكم . والذى يخالف سيضرب بالرصاص » . ومن ثم أنزلوا حبالا من فوق الحائط وفى رأس الحبل مقعد صغير لايسع أكثر من جلوس شخص واحد . وكانت فى يد أحد الضابطين بطاقة دونت بها أسماء أربعين رجلا من المعتقلين فصار الضابط الذى بيده البطاقة ينادى أسماءهم واحداً واحداً وكل ماتقدم صاحب الأسم اشار إليه بالجلوس على المقعد الخشبى وانتشل فى الحـال إلى السجن . فكان ضمن الأربعـين حاج الشيخ عمر وعبيد افنـدى حاج الأمين(١) وأحمد افندى السيد ادريس أبو غالب وحامد حسين وبعض تلامذة المدرسة الحربية وكانوا جميعاً مقيدين فنظموهم جميعاً فى جنزير واحد لكل بضعة أشخاص ثم أدخلوا فى فلائك جازت بهم النيل الأزرق وسلموا هناك إلى الجيش الإنكليزى الذى وضعهم ١٥ يوما يقاسون وهج الشمس نهاراً وزمهرير البرد ليلا . وكانوا يبحثون فى تلك الأثناء عن وجود صلة بين هؤلاء وقتلة السير ستاك بمصر أو لهم رابطة مع الضباط الذين أثاروا الحرب بالخرطوم . ولما عجزوا عن إقامة الدليل على اشتراكهم فى تلك الحوادث أعادوهم إلى السجن بالخرطوم بحرى بعد أن عاملوهم أسوأ معاملة إذ كانوا يضربونهم ضرباً

(١) توفى هـذا الشاب فى منفاه بواو وهو فى عنفوان شبابه وغضاضة أيامه فسيطر إخوته على شعورهم ولم يظهروا أسفاً حرصا على ولاء السادة الإنكليز .

مؤلماً بلا شفقة ولا رحمة ويشتمونهم بأقبح الألفاظ . قال لى السيد محمد المهدى كانوا يلقبونى « بالمارشال » تهكما وسخرية . وفى كل بضعة أيام يحمونهم بخرطوشة ذات فوهة واسعة يسلطوها عليهم فتصرع الرجل على الأرض وتحركه من موضعه ويتركوا فى خضخاض لأن الأرض طينة زراعية لزجة ولا يخفى مايتعلق بأثوابهم من الطين والأوساخ !!

اعدام ثلاثة ضباط

شكلت محكمة عسكرية كبرى لمحاكمة خمسة ضباط سودانية الذين هم :

١ — الملازم أول سليمان افندى محمد من الهجانة

٢ — الملازم ثانى ثابت افندى عبد الرحيم من السوارى

٣ — « « حسن افندى فضل المولى تعليمى بمدرسة ضرب النار

٤ — « « سيد افندى فرح من ١١ جى أورطة سودانية

٥ — « « على افندى البنا من ١٢ جى أورطة سودانية

وكان رئيس تلك المحكمة وأعضاؤها انكليز حتى المترجم كان انكليزيا ولم يسمح لأحد من الشرقيين بحضور المحاكمة وبذلك صارت إجراءات التحقيق سراً مكتوما لايعرفه أحد قط . وقد حكمت تلك المحكمة على الجميع بالإعدام رميا بالرصاص . وكان الحكم على سيد افندى فرح غيابيا ولم يمكن لمحام أن يدافع ولا لمستأنف أن يستأنف . وهنا يعلم القارىء كان الحاكم والمدعى والشاهد هم الانجليز . وسيقوا إلى مرسح التنفيذ بالجيش الانجليزى . وجىء ببلوك من السوارى السودانية بقيادة اليوزباشى وداعة تالله أفندى الشايق . وأوقف بلوك انجليزى من خلف السوارى ونيط بالأول تنفيذ الإعدام فأطلق الرصاص على المحكوم عليه ماعدا على افندى البنا استبدل حكمة بالسجن ١٤ عاما وأعيد إلى السجن العمومى . أما الذين أعدموا فحفرت لهم حفرة عميقة وأخذوا على عربة بملابسهم العسكرية التى كانوا يحاربون بها وألقوا فى الحفرة وردم عليهم بالتراب ، وأقيم على تلك الحفــــرة الحراس حتى لايأخذوا أهلوهم الجثث فتدفن بالطرق المشروعة . وكان الجاويش الانجليزى مستر كلمس سكمدار بوليس الخرطوم يطوف على أهل المقتولين لمنعهم من المآتم والبكاء وكان يقابل منهم بغاية السخرية والإزدراء .

وقد ثبتت للانكليز براءة الملازم أول سليمان افندى محمد ولكنهم اكتفوا فى ديته بأن جعلوا لورثته معاشاً دون الثلاثة جنيهات مصرية . ولا حق لأحد أن يطالب بدمه مادام القاتل حكومتنا الرشيدة التى انتشلتنا من مخالب البربرية إلى حظيرة التمدين . وهى عبارات طالما تشدق بها مريدو الحظوة من المتملقين فى صحفهم المأجورة التى لا يهمها عدا الثناء والإطراء على الانجليز كأنهم معصومون من الخطأ .

محاكمة بعض المعتقلين

شكلت محكمة كبرى برئاسة المستر إزبرن وعضوية محمد رملى «عمدة واوسى» وموظف انجليزى آخر . وبعد تحقيق بسيط قضت تلك المحكمة على السيد محمد المهدى بست سنين سجنا وعلى تلامذة المدرسة الحربية بأحكام تتراوح بين ٤ و١٠ سنين سجنا وقد شهد يومئذ علام افندى نائب مأمور السجن وملاحظ السجن الانجليزى بأن حاج الشيخ عمر كان السبب فى الثورة داخل السجن وتحطيمه . ولكن شهد اليوزباشيان كبسون افندى الجاك وعبد الله افندى نور والملازم أولى محمود افندى أبو النجا الذين كانوا بداخل السجن بنفى تلك التهمة فقضت المحكمة ببراءته واطلقت عنه الأغلال ونقلته إلى سجن الدرجة الأولى .

محاكمة رئيس وأعضاء جمعية اللواء الأبيض

ثم شكلت محكمة كبرى فى عمارة مصنع الزبدة فى عزبة الخواجه كفورى برئاسة مستر إزبرن وعضويه حسين الفيل وأخذت فى التحقيق نحو ٦٠ يوما خلاف التحقيق الابتدائى الذى ظل ٤٥ يوما وجاء لرئاسة هذه المحكمة مستر هملتون . وكان المجرمون السياسيون ١٥ شخصاً قد حكم على على عبد اللطيف بسبع سنين سجنا وعلى الآخرين بأحكام مختلفة مابين ٣ و ٧ سنين وكان الشاهد المهم فى هذه المحاكمة على حاجى إلا أنه ثبت للمحكمة أنه خلط فى شهادته بماجعل مستر هملتون وضعه بالسجن وقد تفاءل المعتقلون خيراً مادام سجن على حاجى ولكن عادت المحكمة فحكمت عليهم بعد أن أفرجت عن على حاجى .

محاكمة كبرى ثالثة لمحاكمة المصريين

لقد أسلفنا أنه قبض على بعض الموظفين المصريين لأسباب سياسية بحتة . وبعد الفراغ من محاكمة السودانيين شكلت محكمة كبرى تحت رئاسة المستر إزبرن وقدم الموظفون المصريون وبعد سماع شهادة اسماعيل افندى ابراهيم ومكى افندى ابراهيم وعلى حاجى قضت المحكمة بالسجن على أولئك المتهمين لمدد مختلفة ماعدا كامل أفندى حناء الذى اكتفت المحكمة برفته وحرمانه من المعاش

ذيول حوادث سنة ١٩٢٤

تسريح الأورط السودانية

كان فى الجيش المصرى جنود سودانيون بواسل عرفوا بشدة البأس والصبر على المكاره وكان لهم المكان الأول فى استرجاع السودان من سنة ١٨٩٦ إلى ١٨٩٨ وتعرف وحـــداتهم بالأسماء الآتية ٩جى أورطة و١٠جى أورطة و١١جى أورطة و١٢جى اورطة و١٣جى أورطة و١٤جى أورطة و١٥جى أورطة أى سبع أورط . وكانت الأورطة تتألف من ٨٠٠ جندى عدا الضباط . وكانت لكل اورطة من هذه موسيقى كاملة الآلات والعدد . وقد كانت تقوم الخزينة المصرية بنفقات تلك الأورط دون أن تكلف حكومة انجلترا درهماً واحداً وما على الانجليز إلا أن يجىء الفرد من ذوى الرتب الصغيرة كاللفتننت والكبتن لمصر برتبة أقلها (بكباشى) فى إحدى الأورط المذكورة فيصبح كملك متوج يسير أمام تلك الأوورطة تعزف وراءه الموسيقى وهو ثمل بخمرة الطرب تترنح أعطافه : وقد تكيل له الحكومة المصرية الرتب والألقاب بدرجة تؤهله لأرقى المناصب فى بلاده . فيعود لانجلترا قرير العين محشو الحقيبة بعشرات الألوف من الأصفر الرنان . وذلك مما لايدور فى خيال النائم من أقرانهم الباقين فى وطنهم . ومن أجل ثورة ٨٠ جندياً فى سنة ١٩٢٤ فطم الانجليز مطامعهم فى الرئاسة وحرموا البلاد من جيوش باسلة طالما سارت كأنها قطع من الليل لتوطيد الأمن وبسط نفوذ الحكومة على البلاد . سرح ذلك الجيش لمجرد اقتراح سقيم وفكرة خاطئة بسطها انجليزى ربما كان قصير النظر قليل التجارب غاب عن ذاكرته مطامع الدول التى تعمل جاهدة لأجل التوسع . وها هى

الآن حكومتنا ترجو من البلاد التطوع لخدمة الميدان وقد فاتها أن عشرة من المتطوعين لايقومون مقام جندي واحد من جنود تلك الأورط الذين صقلتهم التجارب وحنكتهم الأيام . وعلى كل حال ها نحن نرقب من كشب إلى ماتدفع به حكومة السودان تلك الجائحة الهتلرية الموسولينية !! وكل آت قريب .

الميرالاى أحمد بك رفعت

هذا ضابط مصرى حاذق ذو دهاء وذكاء قوى الإرادة طاهر الذيل تخرج من المدرسة الحربية بالعباسية فى ٢٢ ابريل سنة ١٨٩١ ثم الحق بالطوبجية واشترك فى حروب استرجاع من سنة ١٨٩٦ إلى سنة ١٨٩٩ عرف فى غضونها بشجاعته وعلو همته وفى ٣٠ مايو سنة ١٩٠٩ رقى إلى رتبة الصاغول أغاسى ولقد تطور إلى أن صار برتبة القائمقام قومندانا للطوبجية بالخرطوم بحرى سنة ١٩٢٤ الموافق ١٣٤٢ هـ .

سبق لنا أن ذكرنا رسالة الشيخ عمر الخواض المندوب من الحزب الوطنى بمصر للدعاية إلى الثورة ضد النير البريطانى بالسودان واجتماعه مع بعض ضباط الطوبجية وفشله بسبب وشاية بعض الجواسيس ولما دبت روح الفتنة بين الضباط السودانيين والأهالى وبدأ السودانيون بمظاهراتهم المشهورة وقبض على الملازم أول زين العابدين افندى عبد التام « قائمقام » والسيد محمد المهدى ابن الخليفة عبد الله وحفيد المهدى فى حلفا وأعيدا تحت الحراسة إلى الخرطوم ووضعا بالسجن . احتج الضباط المصريون والسودانيون على تصرفات السلطة المحلية وقد تولى ذلك أحمد بك رفعت بحجة انه رئيس نادى للضباط المصريين بالخرطوم وإليك نص الاحتجاج .

حضرة صاحب المعالى وزير الحربية والبحرية

مولاى أتشرف بأن اقدم لمعاليكم التقرير الآتى : —

دعيت ليلة ٢٩ يوليو سنة ١٩٢٤ تليفونياً لجائياً بنادى الضباط بالخرطوم بصفتى أقدم ضابط هناك ورئيس النادى فوجدت كثيراً من الضباط المصريين والسودانيين وهم فى غاية من الهياج والتأثير للحوادث التى حصلت أخيراً بالسودان من السلطة المحلية هناك وهى : —

« ١ » قبض على الضابط زين العابدين افندى عبد التام بواسطة البوليس ووضع ليلة واحدة بالسجن الملكى ثم نقل إلى ١١ جى أورطة سودانية واحتجاج الضباط

على ذلك هو لا ينبغي وضع أحد الضباط بالسجن مباشرة بل كان يجب إيقافه بأى وحدة عسكرية حفظاً للشرف العسكرى كما هو المتبع فى جميع الجيوش.

وكان قد سبق اجتماع بعض الضباط لهذا الغرض تحت رئاستى للنظر فى هل يصح الاحتجاج على ذلك قانوناً ولا يعتبر هذا الاحتجاج سياسياً ؟ فكان رأى الأغلبية ترك ذلك الآن وان السبب فى إقرار عدم تقديمه هو عدم اتصال الضباط بحالة البلاد السياسية.

« ٢ » عين قره قول شرف يوم العيد بمدينة حلفا وطلب الضباط الهتاف لجلالة الملك فؤاد كما كان متبعاً قبل ذلك فامتنع المدير عن التصريح بذلك علناً « ١ »

وتفصيل ذلك يعلمه حضرة اليوزباشى عطية افندى سليمان مأمور حلفا والصاغ شاكر افندى بالسكة الحديد وان القائمقام على بك طاهر أركان حرب حلفا كان حاضراً ويغلب على ظنى أنه أرسل تقريراً بذلك لقومندان قسم أتبره.

والضباط يقولون ان العلمين ما زالا مرفوعين فوق مراكز الحكومة السودانية وان الهتاف كان جارياً قبل الآن فى أنحاء البلاد فلما قد أوقف « ٢ »

احتجاج ثانى

قد تكرر حدوث حوادث أخيراً من بعض تصرفات السلطة المحلية أدت إلى إهانة الجيش وعلاوة على ذلك قد حصل أخيراً فى محاكمة أحد المتهمين الذى كان يؤدى شعائره الدينية بالجامع حيث عرض القاضى الإنكليزى بجلالة الملك عند النطق بالحكم

« ١ » هذا جبن وحذر لامكان له فإذا هتف القره قول بدون استئذان لما استطاع المدير نقده أو الجراءة بالمنع مادام يخفق العلم المصرى على رأسه ولكنه طلب منه فتلبه

« ٢ » أوقف بعمل فردى لم تصدر به أوامر من سلطة ذات اختصاص واعتراف الضباط به إنما هو خور وضعف مشينان وماذ يفيد العلم المصرى وهم حماته المسؤلون عن حفظ كرامته واجلال مليك قسموا له يمين الطاعة فكان يجب عليهم أن يهتفوا لجلالته وينتظروا ماذا يترتب على ذلك بدلاً من احتجاجهم الذى لا معنى له وماذا يعمل وزير الحربية وعلى رأسه المندوب السامى الذى يرغب ان تكون يد الانكليزى هى العليا وقوله الفصل.

وبما أن الجيش لا يرضى لهذه الإهانة ولا يقبل التعريض بمليكه الذى أدى لجلالته قسما بأن يكون مخلصاً لجلالته حامياً لعرشه . نود أن تتخذ إجراءات عادلة نحـــو إيقاف تكرار مثل هذه الإهانات .

حضرة صاحب السعادة نائب السردار بالخرطوم . كلفت من قبل عموم ضباط الجيش المصرى فى قسم الخرطوم بأن أرفع لسعادتكم هذا الناتج من شدة شعورهم . وإنى أتشرف بتقديمه بصفتى أقدم مصرى فى هذا القسم ؟ قائمقام الطوبجية

٣٠/ ٧ / ١٩٢٤ الامضاء أحمد رفعت

كيف يعرض بمليك البلاد ولم يطلب الضباط المصريون والسودانيون إيقاف القاضى ومحاكمته بالطرد من الخدمة باعتباره موظف فى حكومة تدين لجلالته بالطاعة وإذا لم يقبل منهم فلمَ تلك السيوف اللاصقة فى أغمادها .

أما سمعوا باليوز باشى عبد اللطيف افندى مرسال الذى كانت له بغلة دخلت منزل القائمقام دين بك نائب مدير جبال النوبة الذى أطلق عليها عياراً نارياً أرداها به . فكتب له اليوز باشى مذكرة يقول له : إنى اشتريت هذه البغلة بمبلغ ١٤ جنيهاً فإذا لم تدفعها لى بعد ساعة واحدة سأطلق عليك الرصاص حتى أقتلك كما قتلتها . فاضطر دين بك بأن أرسل له الثمن قبل مضى الميعاد . فماذا تكون جريمة قتل البغلة فى جانب التعريض بجلالة مليك مصر والسودان ؟ وهل هذا الضابط الذى زاد عن حوضه بسلاحه مات قبل انتهاء أجله .

نحن لا نقصد بنقد هذا الاحتجاج إلا أن نرى الضابط المصرى ذا شمم وإباء لا يطأطىء رأسه لغير خالقه ولا يبالى بحياة يشوبها الاضطهاد وسوء الاستبداد . فرحم الله أولئك الضباط السودانيين الذين باعوا الأرواح فى سوق المنـايا بأبخس الأثمان فى سنة ١٩٤٢ ولسان حالهم يقول : —

الموت لا يكون إلا مره والموت خير من حياة مره

هذا وقد سلم أحمد رفعت بك الإحتجاج إلى الميرالاى ثير بورن نائب قومندان قسم الخرطوم وفى الساعة الخامسة مساء يوم ٣١ يوليو سنة ١٩٢٤ استدعى ثير بورن أحمد رفعت بك إلى داره وقال إن هدلستون باشا يأمركم بأن تكتبوا له الألفاظ التى أوجبت استياء الضباط المصريين .

ثم اجتمع الضباط فى أول أغسطس سنة ١٩٢٤ وقرروا أن يكتب الجواب الآتى إلى نائب السردار وهذا نصه : —

حضرة صاحب السعادة نائب السردار بالخرطوم .

كلفت اليوم من صاحب العزة ثير بورن بك نائب قومندان قسم الخرطوم بأن أرسل لسعادتكم الألفاظ التى بلغت الضباط . فأرجوكم الإطلاع على جريدة الحضارة « الحضارة السودانية » عدد ٥٨٥ صحيفة ٥ بتاريخ ١٩٢٤/٨/٣٠ وإن نشر مثل هذه الألفاظ قد زاد استياءهم خصوصا فى مثل هذه الجريدة وأن جميع الضباط يقولون إنهم موجودون بالجيش بالسودان بإسم جلالة الملك فؤاد من عهد استرجاعه لغاية الآن وهذا يعد حق مع هذا الحكم وأنهم ما زالوا يطلبون من سعادتكم رداً يزيل استياءهم . وأتشرف بتقديمه بكل احترام .

قائمقام

(الإمضاء) أحمد رفعت بك

ثم سلم هذا الكتاب إلى الصاغ أمين افندى أركان حرب قسم الخرطوم ليوصله إلى هدلستون باشا .

شعور السودان نحو أحمد رفعت بك

بينما كان أحمد رفعت والضباط المصريين يراسلون نائب السردار بمثل هذه الألفاظ المملوءة بعبارات التبجيل والاحترام ويتوسلون إلى ارضائهم بشتى الرجاءات شاع وذاع وملأ الأسماع ان الضباط المصريين قائمون بحركة ثورية عند الاحتلال الانكليزى وانهم مستعدون لأطفاء نيران الطابية الانكليزية وتحطيم معسكرات الجيوش الانكليزية بالخرطوم وقلب معالم دورهم رأساً على عقب فلذا تجد السودانيين إذ ذاك يتغنون بالثناء وإطراء الضباط المصريين عموماً والقائمقام أحمد بك رفعت خصوصاً ورأوا من واجبهم القيام بشد أزرهم ونصرتهم على عدو مشترك طالما نأى القطران من ثقل وطأته وجفاء طبعه وظلمه الذى ضرب به الرقم القياسى فى كل مناحى الكرة الأرضية ولكنهم كانوا أخطأوا المرمى لحسن ظنهم بأولئك الضباط الذين استدرجوهم إلى السقوط فى هاوية الفتنة وأندحروا أمام السيطرة الانكليزية لأسباب تافهة وغير معقولة كضعف المدافع عن مقاومة الطابية الانكليزية وقلة الذخيرة وغير ذلك من الترهات التى سنذكرها فيما بعد فقام بعضهم عزلا وبعضهم يحمل

سلاحا بلا قلب جرىء يرضى الموت دفاعاً عن الحرية . ولما ثار السودانيون وقدرهم ثمانون بين ضابط وصف ضابط وجندى بأسلحتهم التى لم تكن بها عدا اربعة مدافع مكسم . وقف ضباط الطوبجية والأورطة الثالثة والرابعة وقفة متفرج على الصور يفرح لبعضها إذا أعجبه وينقبض للثانى إذا أنكره . فلم يمد أحدهم يده أو يتكلم بلسانه مجاملا لأولئك الأبطال الذين أداروا رحى تلك الحرب الهائلة ٢٢ ساعة لم يعتذروا بضعف السلاح ولا لقلة العدد ، بل كانت الخرطوم عبارة عن بركان تتأجج نيرانه بين الأزقة والشوارع ، إلى أن ماتوا موت الأبطال ، لا موت الجبناء الأنذال . وهناك استاء السودانيون وغضبوا لتضاؤل الجيش المصرى وانسحابه من بينهم بحجة الأذعان للأمر الذى يحمله البكباشى أمين هيمن افندى . نعم إننا وإن كنا نحترم رأى جلالة المليك المرحوم فؤاد الأول الذى رأى مالا نعرفه نحن وسحب جنده ولكن لانرضى سلوك الجندى المصرى مسلك الضعف والرضاء بالإهانات المرة . والاكتفاء بالرد عليها بمجرد الاحتجاجات كما يفعل طلبة المدارس والعامة وإن كنا نعلم إن بين أولئك الضباط من قام مكرهاً ورفض تسليم سلاحه . ولولا تثبيط همته من بعضهم لكان فى صف السودانيين وسار معهم كتفاً لكتف إلى الموت الزؤام . أو إلى رضاء الملك العلام . قال تعالى « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما »

مشكلة جبخانة الطوبجية

فى يوم ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤ أذاعت جريدة « حضارة السودان » خبراً مفاجئاً عن إقصاء الجيش المصرى . فقرأ الناس الخبر بتحفظ وما كاد يصدق به أحد لما كان يتصف به الضباط إذ ذاك من صفات الرجولة والحماس المتأجج . وفى يوم ٢٣ منه أعلن انذاراً خطيراً من الحكومة الأنجليزية بشأن المغارم المرهقة التى فرضت فرضاً على حكومة مصر نظير مقتل السير لى ستاك ، فضوعفت المحنة وأخذ الناس فى السودان يتساءلون : هل تذعن مصر لتنفذ تلك الأحكام الجائرة وكيف يرضى الجندى المصرى المدجج بالسلاح أن يغادر بلاداً يخفق عليها العلم المصرى دون أن يريق بها قطرة من دمه . وبينما الأمر كذلك إذ جاء ضابط انجليزى على سيارة يحمل كتاباً سرياً الى القائمقام ولسن بك قومندان ثانى الطوبجية والبكباشى هكت قومندان

البطارية الثانية ، فقاما لمقابلة الميرالاى ثيربورن بك قومندان أول الطوبجية وتحادثا هنيهة وقدجاء ثيربورن بك إلى المكتب تعلوه الكآبة منقبض النفس حائرا فى اللهجة التى يستخدمها لتنفيذ قرار حكومته . قال أحمد رفعت بك . فأردت الاستفهام عن الاشاعات ونشرات الحضارة . فقال « إن الخبر مكدر » وسأخبرك عنه عندما يصلنى أمر آخر . وفى يوم ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ كتب ثيربورن بك إلى احمد بك رفعت دعاه لمقابلته ثم قال له « رفعت بك ، أنا متأسف جداً ، فيه خبر بطال جداً . اليوم ده بس هو البطال جدا فى كل الخدمة بتاعى » . ثم أردف ذلك بقوله : فين مفتاح الجبخانة : فأجابه رفعت بك بقوله : عند ضابط الجبخانة وبعدئذ حضر الملازم أول عبد العظيم افندى على ضابط الجبخانة وسلمه المفتاح . قال احمد رفعت بك فى مذكراته مانصه : « وقد يجوز أن ثيربورن بك يأخذ مفتاح الجبخانة فى أى وقت كان لكونه هو القائد العام لسلاح الطوبجية لأى فرض كان اعتيادياً كما كان الحال فى الأيام الغابرة الخ .

أجل يجوز ذلك لو كان الأمر اعتيادياً ولم يحنث هذا الضابط فى قسمة يمين الطاعة لجلالة ملك مصر . ولكنه صارح احمد رفعت بك بأنه خارج على جلالة ملك مصر ونبذه عهده فلا غرو أن الإذعان لطاعته جبن وخطل فى الرأى . ففى أحوال كهذه يحتمل فيها حدوث مشاكل تتمخض بحرب يضطر فيها الجندى المصرى إلى الذود عن حياضه ، فبماذا يدفع . السلاح والجبخانة هما دعامة الجندى وعصاه التى يتوكأ عليها إذا عبثت الأيام وتجهم وجه الخطر ، وفقدهما هو الموت لا محالة لاسيما وهـــذه الجبخانة أخذت بمال مصر فما دخلها فى مقتل السير لى ستاك الذى كان قتله من المسائل الفردية التى لا تترتب عليها مثل تلك العقوبات القرهقوشية التى تتعارض مع الشرائع السماوية والقوانين الوضعية . ولسنا ندرى كيف رضيت بها الوزارة المصرية ونفذتها بلا مسوغ . أفهل كان ذلك بناء على حكم محكمة استندت فيه على أمر كتابى من وزارة مصرية أو من هيئة ذات اختصاص أمرت باغتيال السير لى ستاك . وإذا كان على فرض فربع المليون جنيه لا يكفى لديته ، فما الداعى لإقصاء الجيش المصرى عن السودان والاستيلاء على مؤسساته وأسلحته وجبخانته ؟!!

ومما يدعو إلى الغبطة والسرور أن الجنود المصرية كانت أحزم من ضباطها فما كادت ترى رهطاً من العساكر الانكليزية يعدو بخطوات سريعة للاســـتيلاء على

الجبخانة والمحافظة عليها « قره قول » إلا وحملوا أسلحتهم بدون ذخيرة والتفوا حول مخازن الجبخانة وكذا انتشروا حول ثكناتهم بدون أمر من ضباطهم الذين كانوا يتلقون الأمر بجلائهم من السودان بمكتب القائمقام ولسن بك قانعين من الغنيمة بالإياب وبعد يسير وصل جنود الحرس الانكليزى مرتدين الفساتين إلى أمام مخزن الجبخانة وكان الميرالاى ثير بورن والقائمقام ولسن حاضراً ذلك المشهد المدهش الذى هجم فيه الجنود المصريون على جنود الحرس الانكليزى وهددوهم وأنذروهم إذا لم يعودوا من حيث أتوا ولم يكترثوا لضباطهم العظام اللذان وقفا وقفة الحائر فى أمره . وتلى ذلك أن ولج الجنود المصريون إلى داخل المخزن من غير بابه الإعتيادى واستولوا على كل ما به من ذخـــيرة وقنابل المدفعية . أما الضباط الذين كانوا يخافون على علاماتهم النحاسية المتلألأة على أكتافهم فلم يابثوا ببنت شفة . ياله من عار فإذا قالوا خرجنا من السودان بناء على عل أمر جلالة الملك فؤاد أفهل كان فى ذلك الأمر نصاً صريحاً بتسليم السلاح والجبخانة ؟ فإنا نعجب ونفتخر بشمم وشجاعة جنود الطوبجية البواسل . أما الضباط الذين دفعوا بالذخيرة إلى كف العدو فإنى بصفتى أخ أريد جميل الأحدوثة لمصر غير راض عن موقفهم عند ما أشكل الأمر وتلبد جو السياسة فى السودان .

جبخانة الأورطة الثالثة

ولقد طلب من ٣ جى أورطة مصرية تسليم جبخانتها فرفضت بالإجماع ووقع ذلك الرفض وقعاً سيئاً من نفس الانكليز وهناك أخذوا يفكرون فى إرغام المصريين على تسليم الجبخانة وقرروا أخيراً حصر القوتين وتهديدهما بالقوة للرضى برغبتهم وهيهات فالجنود المصريون رأوا ضرورة الإحتفاظ بحقوقهم ولو أدى ذلك إلى حرب . ليت محمد يحيى بك قومندان الأورطة الرابعة لو نهج هذا النهج المشرف ولكنه رأى أن يقدم خدمة الاستعمار على صالح وطنه فإنه دلس على تلامذة المدرسة الحربية بالخرطوم حتى مكن الانكليز منهم وسلم جبخانة أورطته الرابعة إلى الانكليز وقام بجنوده عزلا فياله من عار .

حصار الجنود المصرية

لما علم الضابطان الانكليز ثير بورن وولسن استيلاء الطوبجية المصرية على جبجانة المدافع والبنادق من غير باب المخزن المعتاد اضطربا اضطراباً شديداً . وسأل الأول أحمد رفعت بك قائلا : إنى رأيت بعض الجبخانة لدى العساكر من أين أخذوها ؟ فأجابه قائلا بأنى لا أعلم شيئاً من هذا . حدث ذلك بعد أن أعلن ضباط الطوبجية بالسفر لمصر بالملابس والبنادق بدون جبخانة وأن تترك المدافع بذخيرتها .

وقد تقرر ضرب الحصار على الطوبجية المصرية والأورطة الثالثة فرفعت مدافع المكسيم على سطح بناية السجن العمومى بالخرطوم بحرى وكان ذلك مشرف على ثكنات الطوبجية وانتشرت الجنود الانكليزية وبعض البوليس وبلوك من السوارى بقيادة اليوزباشى حامد افندى صالح الملك « لواء الآن » بالكوبرى ومنه إلى محطة السكة الحديد استحكم الجنود بردم خط السكة الحديد وامتد جناح من العساكر الانكليزية من الكوبرى بحافة النيل بالخرطوم ماراً من أمام ثكنات الجيش الانكليزى ووضعت هناك أكياس من الرمل للاستحكام بها وهذا الجناح تحميه من خلفه الطابية الانكليزية ذات المدافع الضخمة ويفصل بينه وبين الطوبجية والأورطة الثالثة المصرية مجرى النيل الأزرق. أما الجنود المصرية فاستولى عليها من ضروب الهوس ما صيرها تقوم بدورها ومن تلقاء نفسها بالانتشار حول ثكناتها ووزعت المدافع توزيعاً محكماً بدون أمر الضباط الذين خافوا المسئولية وكانوا يسبون ويلعنون عدم شرف الانكليز ووفائهم لجلالة ملك مصر ويقولون أين يمين الطاعة أين الولاء وأنهم محقون فى تصنيعهم لأولئك الطغاة المفسدين الذين لا دين لهم فسبحان القائل « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون » .

مجلس حربى بديوان الحربية

بالرغم من تهور العساكر المصرية وتأهبها لرد الحجر من حيث أتى فان ضباطها ما زالوا على الخنوع التام فلا يتحركون بحركة إلا بإذن الحاكم العام الذى كان يغلى كالمرجل حنقاً على مصر وأنه أرهف سيف النقمة للضربة القاسية على نفوذ مصر بالسودان وكان الضباط المصريون يعلمون علم اليقين مضمرات السياسة الانكليزية ولكنهم يمارون ويخادعون لكى يجتازوا منطقة الخطر بسلام . فاقترح القائمقام

أحمد رفعت بك على اللواء محمد أمين باشا طلب التصريح من هدلستون باشا بتأليف مجلس من الضباط المصريين ليقرروا المصير النهائى فصرح هدلستون باشا بتشكيل ذلك المجلس الذى تألف من الآتية أسماءهم : —

١ — اللواء محمد أمين باشا
٢ — القائمقام أحمد رفعت بك قومندان الطوبجية
٣ — « محمد يحيى بك قومندان ٤ جى أورطة مصرية
٤ — « محمد ثروت بك أركان حرب المهمات
٥ — « لبيب الشاهد بك « « الأشغال
٦ — البكباشى عبد القادر افندى المازنى نائب قومندان الأورطة الثالثة

فاجتمع هؤلاء بمكتب أمين باشا بديوان الحربية بالخرطوم وقبل أن يطرحوا المسألة على بساط البحث ويقرروا قراراً نهائياً أخذهم محمد أمين باشا وقدمهم إلى هدلستون باشا فى مكتبه بحضور اللواء مكاون باشا قومندان قسم الخرطوم بطل الرواية المشئومة ومشعل نار الفتنة بالخرطوم كما تراه فى مكانه من هذا المؤلف هذا وماكان من هدلستون باشا إلا أنه دفع لكل ضابط مصرى أمراً باللغتين الانكليزية والعربية يأمره فيه بما

ترجمة الأمر السابق إلى القائمقام

كان من نتيجة قتل المرحوم صاحب المعالى السردار والحاكم العام فى القاهرة أنه قدم صاحب الفخامة المندوب السامى للحكومة المصرية عدة مطالب من ضمنها إخراج الأورطة المصرية والضباط المصريين من السودان حالا .

وبما أن الحكومة المصرية لم توافق على مطالب صاحب الفخامة المندوب السامى فى مدى الأربع والعشرين ساعة المصرح بها فى مذكرة فخامته فقد أمر فخامته صاحب السعادة نائب الحاكم العام والقيام بإخراج الأورطة المصرية والضباط المصريين من السودان

وبصفتى نائب السردار فقد عهد إلى تنفيذ هــــذه الأوامر وبما أن الحكومة المصرية لم تسلم بإخلاء السودان فقد وجب على أن أتخذ جميع الاحتياطات العسكرية ومن ضمن هذه الحالة إيجاد الجنود الانكليزية ووضع جميع القشلاقات فى معزل .

تركب الجنود المصرية فى القطار بالسلاح والبنادق ولكن بدون جبخانة ؟

٢٤ / ١١ / ١٩٢٤ الامضاء

هدلستون نائب السردار

قرارات المجلس الحربى

المنعقد بقشلاق الأورطة الثالثة البيادة بالخرطوم بحرى فى يوم الثلاثاء ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٤ الساعة ١٠ والدقيقة ٣٠ صباحاً وما أرسله وزير الحربية لمناسبة الأحوال الحاضرة .

القرار

إنه لمناسبة البلاغ الذى جلب فيه مندوب جلالة ملك بريطانيا من حكومتنا المصرية إخلاء السودان من الجنود المصرية وبما أن حكومتنا الموقرة رفضت هذا الطلب وترتب على رفضها ان اصدر الجنرال اللنبى أمره إلى اللواء هدلستون باشا بطردنا من هنا : ولما كان هذا الجيش هو جيش صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول ملك مصر والسودان ولما كان السودان قطعة من وادى النيل وأقسمنا اليمين لجلالة مليكنا أن ندافع عنه وأن لا نتخلى عن شبر أرض منه قررنا عن رئيس وأعضاء المجلس الحربى المذكور ان نثبت إلى النهاية حتى نسلم أرواحنا فى أماكننا أو يدعونا مليكنا

وطبقاً للأنظمة العسكرية قررنا أن نوحد قيادة القوات المجتمعة بخرطوم بحرى وتعهد بقيادتها إلى حضرة صاحب العزة القائمقام أحمد بك رفعت من الطبجية حيث أن اللواء محمد أمين باشا أقدم ضابط مصرى فى السودان تخلى عنا فى هذا الوقت العصيب (١)

وهذا إقرار منا بذلك ؟

(قائمقام)
أحمد رفعت

---

(١) ليس أنكى على مصر من أمثال هذا الضابط الذى بوأته أرقى مناصب العسكرية وكان الواجب عليه أن يظهر بمظهر العظمة والقبول لمثل حكومته وجلالة مليكها فى نظر العالم كأعظم دولة ذات كينونة محترمة ويتولى قيادة الوحدات المصرية ويضرب الرقم القياسى فى الشجاعة والإباء . لا أن يقول لإخوانه الضباط كما قال بنى اسرائيل لموسى (إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) . لا غرو أن الأقدام فى سبيل الحق وحفظ الكرامة لهو من أنبل صفات البشر فالحرص على الحياة لا يزيد فى الأجل (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) ولو فرض وكان هذا الضابط العظيم سرداراً للجيش المصرى ونيط به الدفاع عن

ويليه إمضاءات حضرات الضباط برتبهم وأسلحتهم المختلفة وذلك مبين فى كشف آخر .

وزارة الحربية — مكتب الوزير

حضرات الضباط وضباط الصف والجنود بالجيش المصرى فى السودان عهدنا فيكم الشجاعة والولاء ولا يداخلنا أى شك فى أنكم مستعدون جميعاً لإراقة آخر نقطة من دمائكم فى خدمة جلالة الملك وفى سبيل الوطن على أننا نأمركم بأن تكفوا عن مقاومة الاجراءات التى اتخذها نائب حاكم السودان العام لإخراجكم بالقوة من الأراضى السودانية فإنه ليس من وراء هذه المقاومة سوى سفك الدماء بدون جدوى وبما أن الحكومة المصرية قد احتجت صريحاً على هذا العمل الذى نفذ بالقوة القاهرة فعودتكم لن يترتب عليها أى مساس لا بحقوق الوطن ولا بشرفكم العسكرى .

يا حضرات الضباط : — .

ان الحكومة المصرية لن تنسى لكم قيامكم بواجبكم فى خدمة جلالة الملك وفى سبيل البلاد ذلك الواجب الذى أديتموه بالصدق والاخلاص فترى الحكومة حقاً عليها أن تظهر عطفها عليكم وان تبلغكم أنها مهتمة بأمركم لتكونوا آمنين على حاضركم مطمئنين على مستقبلكم .

٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٤ — (وزير الحربية والبحرية)
محمد صادق يحى

— كيان مصر وأصبح بحكم منصبه أمام جيش جرار فى مثل هذا الزمن الذى ظهرت فيه الدبابات والطائرات فماذا يكون موقفه أيتخذ نفقاً فى الأرض أو سلماً إلى السماء . فليراجع الضابط المصرى بطون التاريخ قد لا يرى مجداً خالداً نيل بغير التضحية وبذل النفس والنفيس فى خدمة الأوطان والذود عن الكرامة إذ جعل الله بقاء الأمم ونماءها فى التحلى بالفضائل التى أسلفنا عنها . وجعل هلاكها ودمارها فى التخلى عنها سنة ثابتة لا تختلف باختلاف الأمم ولا تتبدل بتبدل الأجيال فالانكليز الذين يشمخون بأنوفهم ويباهون بعظمتهم فإنهم ما قدروا يقاوموا أنصار المهدية فى نضار دولتهم ونهضتها مع إنها كانت تحاربهم بالسلاح الأبيض وتسوقهم كالأنعام وما كان ذلك إلا أن الأنصار وهبوا نفوسهم للموت فوهبت لهم السلامة « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » .

شعور الضباط المَصريين



القائمقام عبد الدايم محمــــد

بينما كان القائمقام احمد رفعت بك يتكلم بعبارات تهديدية جوفاء كقوله : إنى أستطيع نسف الطابية الانجليزية وقلب الخـــرطوم رأساً على عقب ، إذا الضباط السودانيون يرقصون طرباً على هـذه النغمة المصرية ويفيضون حماساً شوقا إلى الدخول مع الانجليز فى ملحمة إن لم ينتصروا فيها يكونوا أعطوهم درساً قاسياً يعلمون منه درجة حرارة انفعال الجندى الشرقى إذا أغضب . وما كان ذلك إلا بعد ان ساد الاتفاق بين الضباط المصريين والسودانيين على انتطلق الطوبجية نيرانها من الخرطوم بحرى ويقوم السودانيون بدورهم من الخرطوم قبلى . ولما آن الأجل المضروب لذلك قال ضابط سودانى لإخوانه لاتغتروا بوعود للضباط المصريين فإنهم لايفون معكم ، وكأنى بهم يدفعونكم إلى هاوية الفتنة ويتخاون عنكم.فقال له الملازم اول عبد الفضيل افندى الماظ « أنا أقوم ببلتونى مع المكسم وأعبر النيل وأنضم إلى الطوبجية ، ولمجرد وصولى ابتدأوا انتم إطلاق نيرانكم على الانجليز فإذا رأيت ترددا من الطوبجية فإنى كفيل بأن اقضى على المصريين وأستلم المدافع وأوالى ضرب الطابية الانجليزية وثكناتها وأحطم سراى الحاكم العام »

فقالوا إذاً لا بأس من قيامنا كل يهجم بالمنطقة التى رسمت له . ولما تعرض الانجليز ووقفوا فى سبيل عبد الفضيل افندى واشتبك معهم فى حرب هائلة ، ضربت نوبة «كبسة» بالطوبجية والأورطة الثالثة . وحمل العساكر المصريون السلاح وتأهبوا للمقاومة إلا ان الضباط كفوا أيديهم عن الحرب . ولقد صدق الخبر الخبرا .ذلك ماتنبأ به الضابط السودانى ، فسار الملازم اول عبد الدايم افندى محمد (قائمقام) إلى ميس الطوبجية وكال لهم السب والشتم ووصمهم بالخيانة وعدم الوفاء إذ ايقظوا نار الفتنة وقذفوا باخوانهم السودانيين فى أتون الحرب وجنحوا إلى مسالمة العدو .

ومما يدعو إلى الأسف . قرأت مذكرة احمد رفعت بك عن هذا الحادث وإليك نصها : (وفى الساعة ٦ والدقيقة ٣٠ مساء من هذا اليوم الجمعة ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٤ ، سمعت طلقات نارية تشبه صوت المسدسات عند طرف الكوبرى من جهة الخرطوم القبلية الذى يبعد عن مركزنا بعرض النيل الأزرق مائلا جهة اليمين ، فنادت قره قولاتنا مع الأورطة الثالثة علامة الاستعداد ، فارتجت ساحة قشلاقاتنا من هذه الأصوات الممزوجة بأصوات هذه الطلقات ، ثم اعقب ذلك استرسال السواريخ الكشافة من الجيش الانجليزى حول الكوبرى وأرسل النور الكشاف الكبير انواره الساطعة كالشمس من الطابية العامة حول دائرة الخرطوم القبلية .

ثم أعقب ذلك ايضاً ضرب نار البنادق والمدافع الماكينة متقطعة مما يدل على اشتباك قوتين ، ولكن لاندري بين ن . ذلك كان يحصل(١) وهكذا إلى آخر هذه

(١) هـذا قول يكذبه الواقع ويبطله البرهان لأن احمد رفعت بك وضباط الطوبجية هم الذين ايقظوا تلك الثورة وتواطؤا مع الضباط السودانيين بحجة انهم قائمون بأمر المرحوم سعد زغلول باشا ووراءه الأمة المصرية ومن ورائها الأمة السودانية ، اى ان الحركة عامة من منبع النيل إلى مصبه ، ولولا ذلك لما قام بضعة ضباط مع ٨٠ جندياً ضد حكومة الانجليز فى اكبر عواصم السودان التى تموج بالعساكر الانجليزية ونصرائها من خونة السودانيين . فأحمد رفعت بك يعلم حق العلم بأطوار تلك الفتنة من اساسها إلى القمة ، وبينما كان رفعت بك يتناول القهوة مع الانجليز ويبادلهم عبارات المودة كان السودانيون عابسون فى وجه قومندانيتهم الأجانب حتى ان قومندان ٩جى أورطة سودانية اصطاد سمكة تبلغ وزنها نحو ٣٠٠ رطل بعث بها إلى جنوده الذين رفضوا قبولها فظلت ٤٨ ساعة ملقاة بالميدان فاضطر إلى قذفها فى اليم كما فسد لحمها وتغير ريحه .

الليلة . إلى ان قال :

وما كاد اهالى ام درمان والخرطوم القبلية والبحرية يسمعون بثبات الطوبجية ورفض الأوامر الصادرة لها من الحكومة الانجليزية رفضاً باتاً واستعدادها لمقاومة القوة بمثلها حتى تلاشت هذه القوة العظيمة المسلحة ضد القوة الصغيرة التى تكاد تكون غير مسلحة .

ولو ثبتت القوات المصرية الأخرى كما ثبتت الطوبجية ، ولو حصل مثل ذلك فى الأورطة الرابعة ، ولو كان القائمقام لبيب بك الشاهد قبض على زمام جنوده وثبت قليلا ، ولو أتى اليوزباشى محمود افندى حليم بسيارته المدرعة وعسا كره السودانية كما كانوا يريدون ، ولو اتى اليوزباشى على افندى إسلام بالبطارية السودانية او ثبت هؤلاء فى قشلاقاتهم مظهرين عدم رضائهم بما حصل لكانت انضمت القوات السودانية المتقطعة إلى القوة المصرية . لو حصل ذلك كله رغماً عن صعوبة المواصلات لوقفت الجنود الانجليزية عند حدها وارغمت على فك هذا الحصار السينماتوغرافى ولكانت انقلبت حالة السياسة الانجليزية فى السودان إلى صالح المصرى والسودانى ولخفت الوطأة على مصر من الجنود الانجليزية واساطيلها . ولكن يالأسف ظل اللواء محمد باشا امين فى مخدعه . وقد صرح علناً بأنه لو ظهر منه أية إشارة نحونا لسجنه اللواء هدلستون باشا نائب السردار .

أما الأهالى غير المسلحة عندما علموا بثبات الطوبجية فى اليوم الأول وبثبات الأورطة الثالثة مع الطوبجية فى اليوم الثانى هللت وكبرت فرحة مستبشرة عازمة إلى الانضمام إلينا فى أية لحظة .

ولا تسل عما كان يرد إلى من الأشخاص والرسائل اللفظية ، وقد أدى بعزم أكثر مشايخ الطرق بالحضور عندى وكذا غيرهم للانضمام نهائياً إلينا .

وأخذ الشعب السودانى يهتف للطوبجية والجيش المصرى وبإسمى فى كل مكان ومجتمع ، وقد ظن الشعب أننا لن نترك السودان وإن عهد الانكليز قد انقضى . لأنه قد سئم هذا الحكم الغادر والضرائب الباهظة ، والذل الذى اعتراهم وأنزله الانكليز عليهم .

وقد استقلت البلاد الثلاثة أم درمان والخرطوم القبلية والبحرية ، وكان كل من سكانها يريدون مقابلتى حتى كأننا فى عهد المهدى الغابر .

وكانت النساء يزغردن عند ذكر إسمى، ولقد تأكد لى فيما بعد أنهم ينوون مبايعتى حاكما عاما لهم ، حتى أن النساء اللائى وضعن فى تلك الأيام قد سمينا أولادهن بإسم رفعت ، وقد وصل ذلك إلى علم الانكليز فأصبحوا يخشون مركزى كأننى متصل بالسياسة السودانية ، ولكننى فى الحقيقة لم أكن متصلا بها .

ولكنه هو الشعور الذى ظهر فجأة ـ وأرادة الله سبحانه وتعالى جلت قدرته ـ فقد أوقعت الانكليز فيما كانوا يضمرونه للمصريين .

ومن الغريب أن كل الجاليات الأجنبية هناك قد حبذوا هذا العمل ، فهل بعد ذلك يخجل الانكليز ، وهل آن لألسنتهم أن تسكت عن ترهاتهم .

وما كاد يصل أمر حكومتنا بالانسحاب حتى تبدل فرح السودان بالحزن العميق والضجر وأرسلت لى الأهالى بعدم التحرك وإطاعة هذا الأمر وتركهم للانتقام . وقد شاهدت بنفسى بكاء الشعب وذهوله ، فكان منظراً يفتت الأكباد . وكل ذلك واقع لا محالة على عاتق حكومتنا الصريحة التبصر والتدبير » .

أجل ، حدث ذلك كله ولولا خيانة بعض الضباط المصريين الذين كانوا بالمصالح الملكية والذين خدموا السياسة الانكليزية بالتجسس والوشاية بكل ذى إباء وشمم يتوق إلى الاستقلال وتصبوا نفسه إلى الإندماج فى الأمة المصرية . ولولا ماهنالك من بعض الضباط الجبناء الذين يخدمون فى الأورط السودانية المثبطين لهمم الجنود والمحذرين لهم من سوء العاقبة . ولولا العائقين من شرار الموظفين الملكيين من المصريين أو بعبارة أصح ، من حثالة البشر الذين لفظت بهم بلادهم لسوء الأخلاق أو لعدم الكفاءة ، فتهافتوا إلى السودان ووجدا به منبتاً خصباً لحياة العاطلين . فاشتغلوا ككاتب وناظر ومدرس ومترجم وكانوا شر واسطة بين الحاكم والمحكوم . لامتد رواق الثورة بين أرجاء البلاد وتقلص نفوذ الانكليز فى أقل من ٣٠ يوما . ولكن أراد الله ربك أن تخدم الظروف قضية الانكليز وابعاد المصريين بالرغم من تعلق السودانيين بهم ، فرحم الله القائل:

حب السلامة يثنى عزم صاحبه عن المعالى ويغرى المرء بالكسل

لما أخلى الجو ووجم الناس عن تعنيف الانكليز وسخط الكثيرون على حكومة

مصر لتنفيذها الشروط القاسية التى فرضت فرضاً بقصد إرهاق المصريين وتعذيبهم بدون جرم عدا مقتل السير لى ستاك . أرادوا الحصول على مستندات وحجج جديدة تبرر اعمالهم الوحشية واحكامهم القرقوشية ، أخذ المستر بيلى نايب مدير الخرطوم بالإنفراد بكل فرد من المجرمين السياسيين فى إحدى غرف السجن العمومى ويسأله عن الذين حرضوه من المصريين ويمنيه بمكافأة قدرها كيت وكيت من الجنيهات المصرية وأن يضمن له منصباً عالياً فى حكومة السودان ، فأدرك السودانيون لفرط ذكائهم وبعد نظرهم ، ان الغرض من ذلك هو قصد الانكليز إما اعتقال المرحوم سعد زغلول باشا أو إعلان الحماية على مصر ومضاعفة المحنة على القطرين . فجحدوا البتة . وإذا مايئس ذلك الطاغية الجبار عمد إلى الضرب والسب والإهانة بشتى أنواعها حتى أوجد لبعضهم عللا أودت بحياتهم كالشيخ على المرضى عمدة الخرطوم وخلافه ، وكان بين أولئك المسجونين السياسيين رجل مصرى يدعى احمد افندى المنباوى ، اضطره ذلك الاستبداد إلى طلب الإفراج عنه بإبرازه كتاباً سياسياً ورد إليه من سعد زغلول باشا ، وما كاد إخوانه السودانيون يعلمون منه ذلك حتى اغتصبوا منه ذلك الكتاب وأحرقوه بعد أن ضربوه ضرباً مبرحاً بداخل السجن .

« الجاسوسية »

كان صديق افندى فريد المصرى المولود بالسودان ناظراً لمدرسة مدنى الوسطى فاختلس نحو ٨٠ جنيهاً من الرسوم المدرسية فى سنة ١٩٢٣ فشكلت له محكمة برئاسة المستر هلفورد الذى حكم عليه بالسجن . وكان هذا مدمناً لم يتورع فى حياته عن الإجرام فوعده الإنكليز بالمكافأة وأن يعين بالمعارف وجعلوا له مكتباً خاصا بداخل السجن أوجدوا به المحبرة والأقلام وكل مايحتاجه من أدوات الكتابة وكلفوه بمراقبة المجرمين السياسيين ورفع احوالهم ، ولسوء حظه ما كان محبوباً لشرازة أخلاقه . ولذلك لم يتمكن من الإحاطة بماجريات الأحوال السياسية الدقيقة ولكنه كتب ماشاء وانهم وفوا معه إذ أعيد إلى الخدمة بالمعارف ، ولقد أقالوه فى إبان الحرب الايطالية الحبشية فسار إلى إرتريا ووافاه الأجل المحتوم بها سنة ١٩٤٢ وحذا حذوه آخرون فرضى الانكليز عنهم وعينوهم فى مصالح مختلفة .

* * *

أما الطوبجيـة و ٣ جى أورطة والأشغال فإنهم عقدوا مجلساً قرروا فيه إرسال برقية إلى جلالة الملك فؤاد بالقاهرة وهذه هى :

جلالة الملك فؤاد بمصر .

صدر لنا أمر قهرى فجائى من نائب حاكم عام السودان بواسطة نائب السردار بترك السودان وحوصرنا بالجيوش الانكليزية من جميع الجهات وذخيرتنا عشرون طلقة لكل بندقيـة وقليل جداً للمدافع وهى لاتكفى لأى دفاع ضـد قوات كبيرة مسلحة معها جبخانة لاتحصى ومخـازن الجبخانة المصرية تحت سلطتهم منذ احتلال السودان والضباط والصف ضباط والعساكر مصممون على عدم ترك السودان بدون أمر جلالتكم يرسل لهم مع مندوب مصرى أو يموتون دفاعا عن آخرهم فى قشلاقاتهم

الخرطوم بحرى — الإمضـاء

٢٥ نوفمبر ســـنة ١٩٢٤ — القائمقام أحمـد رفعت

بالطوبجيـة

يؤخذ من هذا التلغراف أن الضباط والصف ضباط والعساكر المصرية أعلنوا جلالة الملك فؤاد بضعفهم عن المقاومة وانهم ميتون لا محالة مالم ينقذهم باستدعائهم لمصر ، أما تصميمهم على عـدم ترك السودان فعبارة جوفاء لا مبرر لها فإخوانهم السودانيون الذين هم ٨٠ جنديا فقط هاجموا تلك الجيوش الانكليزية فى عقر دارها وأفنت منها ٤٠٠ جندى منهم ١٦ ضابطا من رتب مختلفة وهم الآلاى الهايلاندرس (اسكوتش) عليها ـ رواه بعض المشاهدين . ولو كانت لديهم مدافع الطوبجية المصرية لأسقطوا السودان فى يدهم ولثار الأهالى فى كل أرجائه ولاحتـاج الانكليز إلى فتحة من جديد مع ان الضباط المصريين هم الذين أيقظوا تلك الفتنة بعباراتهم الجوفاء كقول احمد رفعت بك « أنا فى إمكانى أقلب الخرطوم رأسا على عقب » كيف تتفق هـذه العبارة وقوله عن ذخيرته لاتكفى لأى دفاع ضد قوات كبيرة . فبديهى أن جلالة الملك فؤاد لايأمر جيشا خائر العزيمة فاتر الهمة ينادى الخـلاص والسلامة بالثبات أمام عدو يفوقه عدداً وعدة .

ماهكذا يكتب بل كان الأخلق بأولئك الضباط والجنود الذين يتشدقون بالشرف العسكرى أن يقولوا فى أحوال كهذه « أمرنا بمغادرة السودان وذلك مما يمس بكرامة الجيش المصرى فاسعفونا بالذخير والمدد » ويتركون الخيار لجلالة الملك وحكومته

حتى إذا لم يسعف الجيش المحصور يدافع بقدر استطاعته ويسلم بعد عجزه فذلك لا يضر مصر ولا يفت فى ساعد جيشها كما قيل فى المثل «أسلمت الغارة مازادت المسلمين ولا ضرت النصارى» .

ذلك إذا لم نقل انهم مسؤولون عن تحريضهم الضباط والجنود السودانيين وتركهم يخوضون غمار حرب هائلة ٢٢ ساعة وهم ينادون الخلاص من الورطة . ويعجبنى شجاعة ووفاء السودانيين لإخوانهم المصريين بالرغم من حشرهم فى أتون الحرب والتخلى عنهم فإنهم جحدوا اشتراكهم معهم أو تحريضهم لهم وقد سامهم الانجليز أشد أنواع الأذى كوضعهم فى الشمس ونضحهم بالماء فى زمهرير طوبة وأمشير وضرب بعضهم (بالبكس) وركضهم بالأرجل، الأمر الذى جعل السودانيين ينقمون سراً على رفعت وضباط الطوبجية . فليتدبر القارىء اللبيب وليحكم العقل .

سفر المصريين

وبينما كان الضباط والجنود السودانيون بين شهيد فى حومة الوغى ومصفد بالأغلال ملفوف العينين بخرقة سوداء أمام فوهات أسلحة التنفيذ عليهم بالإعدام نظير ولاءهم لمصر ووقوعهم فى أحضانها إذ جاء البكباشى أمين افندى هيمن المصرى على طائرة يحمل الكتاب الآتى :

وزارة الحربية «مكتب الوزير»

حضرات الضباط وضباط الصف والجنود بالجيش المصرى فى السودان . عهدنا فيكم الشجاعة والولاء ولا يداخلنا أى شك فى أنكم مستعدون جميعاً لإراقة آخر نقطة من دمائكم فى خدمة جلالة الملك وفى سبيل الوطن(١) على أننا نأمركم بأن تكفوا عن مقاومة الإجراءات التى اتخذها نائب حاكم السودان العام لإخراجكم بالقوة من الأراضى السودانية

---

(١) فى أى ناحية يخدمون جلالة الملك وقد بتر عضو من أعضائه المهمة أى فصل شعب عربى وزنجى باسلان طالما ذادا عن كرامة مصر منذ حرب ابراهيم باشا وحرب القرم وواقعة التل الكبير وحرب الحدود واسترجاع السودان من سنة ١٣١٣ إلى سنة ١٣١٦هـ وأى خدمة وطنية بعد استيلاء العدو على منابع النيل وروافده بالسودان التى هى حق من حقوق مصر المقدسة وروحها .

فإنه ليس من وزاء هـذه المقاومة سوى سفك الدماء بغـير جدوى . وبمـا إن الحكومة المصرية قد احتجت صريحاً على هـذا العمل الذى نفـذ بالقوة القاهرة فعودتكم لا يترتب عليها أى مساس لا بحقوق الوطن ولا بشرفكم العسكرى(١)

ياحضرات الضباط

إن الحكومة المصرية لن تنسى لكم قيامكم بواجبكم فى خدمة جلالة الملك وفى سبيل البلاد ، ذلك الواجب الذى أديتموه بالصدق والإخلاص(٢)

---

(١) كيف طرد المصرى من وطنه وشريان حياته ودعامة مجده لا مساس له بحقوق الوطن . ألم يكن من حق الوطن سلامة وادى النيل من تسلط الأجانب على أعاليه ؟ كيف ينادى المصريون بوحدة وادى النيل وانه جزء لايتجزأ : وعندما تجهم الخطب وقلب الزمان ظهر المجن تتضاءل وزارة الحربية وتقول بصراحة ان ترك السودان بين براثن العدو أمر لايمس بحقوق الوطن وتأمر جندها بالانسحاب . ترك بعضهم سلاحه وذخيرته لعدوه وسار كقطيع من الماشية ومع ذلك يباهى بشرفه العسكرى !! كان السودانيون يحاربون ست دول و ٨٠ ٪ يحارب بالسلاح الأبيض ماتركوا شبر أرض حتى لوثوه بدم الألوف من كماتهم فماذا يضر مصر لو ضحت بأولئك النفر لتبرهن للعالم على شممها وإبائها . ولو قال قائل ربما حطم الإنكليز بلادهم . قلنا ماقال الشاعر .

لايسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

أما الاحتجاجات والمظاهرات فأمران ليس لها قيمة فى شرع القوى ولا يرد بهما حق سلب إذ لا يفل الحديد إلا الحديد .

(٢) ماهو الواجب ؟ إلى الشعب الجرمانى كيف جازف بالدخول فى حرب ضحى فيها بأكثر من سكان مصر والسودان بشأن دانزج والممر . فماذا ينقص مصر إن فقدت ألف أو ألفين من رجالها فى سبيل كرامتها وشرفها وحفظ حقوقها . وهل تنتظر أن تأتيها قوى مجهولة لترفع عنه ذلك الكابوس الكاتم لأنفاسها منذ ٦٢ عاما وخانعة مستكينة راضية بالذل والهوان حتى انقرض جيل وأتى آخر واشان حاله يقول : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . فتى تستيقظ هذه الأمة من سنة الغفلة إلى يقظة الذكرى وترى بعين البصر والبصيرة إلى تنازع البقاء القائم على قدم وساق بين اكبر الأمم حضارة واعظمها مدنية . وهاهى فى صراع كاد يقضى عليها . لترضى الموت فى طلب الحرية وحفظ الحقوق والذى يرى ضرورة الحياة مع ضخامة الألقاب والترف فليقف =

فترى الحكومة حقاً عليها أن تظهر عطفها عليكم وأن تبلغكم أنها مهتمة بأمركم لتكونوا آمنين على حاضركم مطمئنين على مستقبلكم .

وزير الحربيه والبحرية

٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٤

محمد صادق يحيي

« نزول الجيوش المصرية »

غادرت الخرطوم بحرى على خمسة قطارات إلى حلفا تحمل ضباط وجنود الطوبجية و٣جى و٤جى أورطة وعساكر قسم الأشغال فى أيام ٢٩ و٣٠ نوفمبر و١و٢ ديسمبر سنة ١٩٢٤

وقد أوقفت الحكومة البوليس المدنى وبعض الجنود الانكليزية فى أبواب الطرق المؤدية إلى محطات السكة الحديد للحيلولة بين الأهالى وعساكر الجيش المصرى المسافر . وقامت ثلاث طائرات تحلق بالجو أثناء حركة القطارات بقصد إرهاب الجمهور لكى لاتحدث مظاهرات ومع ذلك فإن الأسواق قفلت ووقف الناس جماعات وفرادى مكبوتى الضغائن ينظرون إلى القطارات بعين ملؤها الأسف لجيش عرمرم يغادر حقوقه الشرعية ، والحال أنه مدجج بالسلاح وبيده كميات عظيمة من الذخيرة قبل أن يريق قطرة دم تكون له شفيعاً لدى ٢٠ مليونا يكلون أمر حياتهم إليه مع لانهم لو ثبتوا قليلا لهب السودانيون عن بكرة أبيهم ولولجوا مخازن الأسلحة والجبخانة وأخذوها قسراً ولمثلوا دوراً ثانياً ربما كان أشد هولا من ثورة المهدية التى وضع أساسها بنحو ٣٠٠ رجل مسلحين بالرماح ضد ٦٠٤٩٠ جندياً من اخلاط الترك والأرنؤد والمصريين والسودانيين كلهم مسلحين بالأسلحة النارية والمدافع وكانوا يحاربون وراء حصون ومعاقل ذلك عدا ماوصلتهم من النجدات كحملة الجنرال هكس وحملة اللورد ولسلى وحملة الجنرال بيكر وحملة الجنرال جراهم وهلم جرا . وما تطوع من خونة البلاد الذين ذبحوا قرباناً لمطامع الانكليز فذهبوا إلى النار وبئس القرار

= بعيداً عن محيط الجندية التى هى عبارة عن الفدائيين الذين وصفهم الله بقوله (إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) ما أنزل الله آياته عبثا ولا سن قوانينه لهواً . فتدبروا ياأولى الألباب

غير حاسبين حساباً لوعيد قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) . ضحى أولئك الخونة وذهبوا عن أبنائهم وحلائلهم خدمة لمطامع شعب ينظر إليهم كسقط المتاع ، فعرضوا نعمتهم للزوال وعاش ابناؤهم فى حياة كحياة الدواجن . فرحم الله القائل :

ومن أضيع الأشياء ود صرفته　　إلى غير من تحظى لديه وتكرم

هذا وقد ترك المصريون من المعاقل والمؤسسات ذات القيمة الهائلة والأرقام المدهشة إلى الجيوش الأنكليزية غنيمة باردة لم يسفكوا قطرة دم . وإنهم أكرهوا على السفو من بلاد يخفق على ربوعها العلم المصري بدون مسوغ . فلسنا ندرى لأى شيء جيشت مصر الجيوش وأعدت العدد . أفهل لديها أنفس من السودان وألزم لحياتها من مائه المنهمر بين حقولها . أنظر بربك فيها دماً ، فليت الشاعر البيروتى كان حياً ليعلم أن احد رفعت بك أحق بقوله من عز الدين أسامة ، الذى سلم حصن بيروت(١) إلى الإفرنج بدون حرب فى سنة ٦٠٠هـ : ١٢٠٤م قال :

سلم الحصن ماعليك ملامة　　مايلام الذى يروم السلامة

فعطاء الحصون منغير حرب　　سنة سنها ببيروت سامة

فالضباط المصريون سلموا الإفرنج ماهو اعظم شأنا واجل قدرا من حصن بيروت . فإليك بيانا ضافيا نقلناه من مذكرات اللواء محمد لبيب الشاهد باشا الذى شيد تلك المؤسسات وانه اعرف الناس بتكاليفها .

---

(١) حصن بيروت انتزعه صلاح الدين الأيوبى فى سنة ٥٨٣ هـ : ١١٨٨م . وفى سنة ٦٠٠ هـ كر الافرنج على الساحل وكان حاكم بيروت وقتئذ عز الدين أسامة ، الذى تخلى لهم عن حصن بيروت تفاديا الحرب ربما ذهبت فيها حياته . فيالسوء حظ الاسلام إن كان هؤلاء حماته . وويل للفلاح الذى تصرف أمواله لرفاهية ضباط كمحمد أمين باشا ومحمد يحي باشا وغيرهم الذين يخربون بيوتهم بأيديهم وأيد اعدائهم الانكليز من اجل متاع قليل ثم يزول بزوال هذه الحياة الفانية

لا شيء يدوم فكن حديثا　　جميل الذكر فى الدنيا حديث

بيان

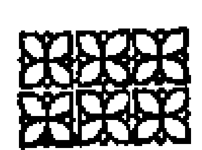
بتكاليف متروكات الجيش المصرى بالسودان

وهذا خلاف المبالغ المحرر بها كشف آخر وهى عبارة عن سلف وإعانات ومصاريف دوريات

ملیم جنيه	
٧٦٥٧٠٧	قيمة المبانى التى أنشئت بالسودان من سنة ١٨٩٩ إلى سنة ١٩٢٤ وكذا الآلات والورش من واقع الميزانية ولا يدخل فيها تكاليف صيانتها

قيمة ما أمكن حصره من المهمات والتعيينات والحيوانات التى تركت بالسودان وقت نزول الجيش منه فى نوفمبر سنة ١٩٢٤

	ملیم جنيه	
	٣,٢٥٦,٧٥٠	أدوات ومهمات عهدة مزرعة شندى
	٥,٤٨٥,٦٧٠	أدوات ومهمات وابور طحين الخرطوم بحرى
	٦٦,٣٩٠,٤٨٢	ثمن بواقى التعيينات والعلائق بوحدات الجيش بالسودان
	٥٣٦,٨٦٠,٤٥٣	مهمات وذخيرة بمخازن إدارة الأسلحة والمهمات .
٦٨٤,٣٥٤,٥٠٢	٧٢,٣٦٠,٧٨٧	ثمن حيوانات
٠٠٠ ٦٨٥,١٢٠,٢٠٩		



كشف رقم (١)

عن بيان اجمالى المبالغ المنصرفة سلفة لحكومة السودان فى خصائص المصاريف العسكرية « قرض السودان » هذا بخلاف قيمة متروكات الجيش عند نزوله سنة ١٩٢٤ المعمول بها الكشف السابق جملة .

جنيه	
	مصروفات سنتى ١٨٩٦ — ١٨٩٧
	جنيه
	٨٤٠٠٠ سنة ١٨٩٦ سواكن
١٤٤٠٠٠	٦٠٠٠٠ « ١٨٩٧ دنقلا
	المذكورة فى ميزانية سنة ١٨٩٧
٢٤٥٠٠٠	سنة ١٨٩٨
٣٨٩٠٠٠	جملة المصاريف لغاية سنة ١٨٩٨ وهذا المبلغ لم تحاسب عنه حكومة السودان .
	بيان كيفية إستخراج مصروفات سنة ١٨٩٩
٢٨١٤٥٥	سنة ١٨٩٩
٢٨٢٨٦٢	« ١٩٠٠
٢٢٢٦٣٤	« ١٩٠١
١٢٢٥٤٨	« ١٩٠٢
١٩٣٦٥٨	« ١٩٠٣
١٨٣٧٠٠	« ١٩٠٤
١٨٦٧٥٧	« ١٩٠٥
١٢٦٧٥٧	« ١٩٠٦
١٢٦٧٥٧	« ١٩٠٧
١٢٦٧٥٧	« ١٩٠٨
١٢٧٠٠٠	« ١٩٠٩
١٢٧٠٠٠	« ١٩١٠
١٧٢٠٠٠	« ١٩١١
١٧٢٠٠٠	« ١٩١٢
٢٨٤٠٨٨٥	الجملة لغاية ١٩١٢ وهذا المبلغ لم يرد له ذكر على حدة فى

الحساب العمومى للحكومة سنتى ١٩٢١ — ١٩٢٢

جنيه
٢٨٤٠٨٨٥ ماقبله

كشف السلفيات

جنيه	البيان	
١٧٩٤٨١	سنة ١٩١٣	
٤٤٨٧٠	» ١٩١٤ ميزانية الثلاثة الشهور الأولى من السنة	
١٧٩٤٨١	» ١٩١٤ — ١٩١٥	
١٧٩٤٨١	» ١٩١٥ — ١٩١٦	
٩٧٩٤٨١	» ١٩١٦ — ١٩١٧	
٤٢٢٧٦٤	» ١٩١٧ — ١٩١٨	
٤٤٥٦٩١	» ١٩١٨ — ١٩١٩	
٣٢٩٤٨١	» ١٩١٩ — ١٩٢٠	
٤٦٤٤٠٣	» ١٩٢٠ — ١٩٢١	
٤٧٧٩٤٧	» ١٩٢١ — ١٩٢٢	٢٩٠٣٠٨٠
	الجملة لغاية ١٩٢١ — ١٩٢٢ أى لغاية الحساب المطبوع الذى يبحث فيه سعادة السكرتير المالى .	٥,٧٤٣,٩٦٥

جنيه	البيان	
٥١٥٧٢٥	سنة ١٩٢٢ — ١٩٢٣	
٤٧٥٠٢٨٩	» ١٩٢٣ — ١٩٢٤	٩٩١٠١٤
	الموضح أعلاه	٦٧٣٤٩٧٩
٣٧٤٤٩٢	سنة ١٩٢٤ — ١٩٢٥	
٧٨٨٣٢٤	» ١٩٢٥ — ١٩٢٦	
٨١٥٢٤٩	» ١٩٢٦ — ١٩٢٧	
٧٥٠٣٥٦	» ١٩٢٧ — ١٩٢٨	
٧٥٠٠٠٠	» ١٩٢٨ — ١٩٢٩	٣٤٧٨٤٢١
	الجملة لغاية ١٩٢٨ — ١٩٢٩	١٠٢١٣٤٠٠

فقط عشرة ملايين ومائتان وثلاثة عشر ألفاو ربعمائة جنيه مصرى لا غير ١٩ مارس سنة ١٩٣٠

بيـــانه

جنيه

٦٨٥١٢٠٢٠٩	بالكشف رقم ١
١٠٢١٣٤٠٠	« « « ٢
٦٩٥,٢٣٣,٦٠٩	جملة عمومية

فالذى ينظر إلى ضخامة هذه الأرقام التى ذهبت غنيمة باردة إلى الانكليز بشأن مقتل رجل منهم لا يسعه إلا أن ينحى باللائمة على تصرفات وزير الحربية محمد صادق يحى باشا الذى غرر بالضباط والجنود المصرية بقوله (ان الحكومة المصرية لن تنسي لكم قيامكم بواجبكم فى خدمة جلالة الملك وفى سبيل البلاد ذلك الواجب الذى أديتموه بالصدق والاخلاص) !!

ليت شعرى ماهو الواجب الذى أداه الجيش المصرى بالسودان أفهل الواجب تنازله عن مئات الملايين من الجنيهات التى امتصت من دم الفلاح المصرى . أم الواجب تركه لماء النيل الذى هو انفس درة فى التاج المصرى . أم الواجب سوقه الانكليز لاحتلال شعب منه وعليه وتركهم ينوؤن من ثقل النير الاستعمارى البغيض أم الواجب تحريضه السودانيين ودفعه بهم إلى أتون الحرب والتخلى عنهم . ياله من عار وياله من شنار . يلوح لى ان أغلب الضباط الذين تقاعسوا عن القيام بالواجب فى مثل ذلك الموقف الرهيب ماتوا حتف أنوفهم وليتهم أن صرعوا تحت كرات المدافع إلى جانب أولئك الشبان السودانيين الذين جاهدوا فى الله حق جهاده حتى ماتوا موت الأبطال فى ميدان الشرف غير مبالين بتفوق العدو عدداً وعدة فلله در القائل :

غـر جهـــولا أمـله ﴿ يموت من جاء أجـله
ومن دنا من حتفـه ﴿ لم تغن عنـــه حيـله
وما بقـا آخـــر ﴿ قـد غاب عنـه أوله
والمـرء لا يصحبـنـه ﴿ فى القـبر إلا عمـله



هدلستون قائد عام قوة الدفاع السودانى

محكمة عسكرية



الشهيد الملازم ثانى ثابت افندى عبد الرحيم الضابط بالسوارى

بعد أن هدأت الأحوال نوعاً ما شكلت محكمة أو مجلس عسكرى عال يتألف من رئيس وأعضاء من الانكليز وأحضر الضباط المتهمون بدون أن يعطوا حرية الدفاع بأن يختار كل منهم محام يقوم مقامه وكانت إجراءات المجلس سرية لم يحضرها أحد من الوطنيين ما عدا عبد الله افندى خليل « ميرالاى أخيراً » وقد قضت تلك المحكمة عليهم بالإعدام رمياً بالرصاص إلا أن الملازم الثانى على البنا استبدل حكمه بالسجن

المؤبد لأسباب لم نقف عليها أما رفقاءه الذين أعدموا فهم كالآتى :—

١ — الملازم أول سليمان افندى محمد الأودة باشا التركى المولود بالأبيض.

٢ — الملازم الثانى ثابت افندى عبد الرحيم دنكاوى كان أبوه ريحان افندى عبد الرحيم من خريجى مدرسة بربر فى عهد سمو إسماعيل باشا الخديوى رقى إلى رتبة الملازم فى حصر الخرطوم ثم صار كاتباً فى جيش حمدان أبو عنجه شهد واقعة القلابات مع النجاشى يوحنا وجرح فيها وكذا عين كاتباً فى الحكومة الحالية إلى وفاته

٣ — الملازم الثانى حسن افندى فضل المولى دنكاوى أيضاً.



الشهيد الملازم ثانى حسن فضل المولى
الضابط لتعليم استعمال البندقية لمدرسة ضرب النار

٤ — الملازم ثانى سيد افندى فرح حكم عليه غيابياً

نفذ عليهم الإعدام بواسطة فصيلة من بلوك اليوزباشى حامد افندى صالح الملك الذى تطوع فى حرب فلسطين وكفر بجهاده بما أناله رضاء جلالة الملك فاروق الأول الذى منحه رتبة اللواء فأصبح « حامد باشا صالح الملك » ولقد ضرب جلالة الفاروق الرقم القياسى فى مكارم الأخلاق فى قبول اللائذ به مهما حدث منه ولا غرابة .

يامن عدى ثم اعتدى ثم اغترف ثم ارعوى ثم انتهى ثم اعترف
أبشر بقـول الله فى آياته إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف

ولما آن وقت التنفيذ الساعة ٧ صباحا أوقف الثلاثة ضباط وصف الجنود أمامهم ثم سئلوا إذا كانوا يوصون بشىء فلم ينطق أحد عدا الملازم أول سليمان محمد قال بعد التنفيذ سلموا الجثة لوالدتى فقالوا لا يمكن قال إذن افعلوا ما شئتم فصدر النداء للجنود وأطلق الرصاص على أولئك الشهداء الذين باعوا الفانى بالنعيم الأبدى جزاهم الله خير الجزاء .

ثم أخذت جثثهم على سيارة إلى خارج المدينة ودفنوا فى حفرة واحدة بملابسهم العسكرية وأوقف عليهم قره قول لكى لا يؤخذوا .

براءة ثمانية ضباط

كان الإتفاق على الثورة ضد الانكليز يشمل كثيراً من الضباط السودانيين ولكن حدثت لهم أمور عاقتهم عن الإشتراك بها وكان بعضهم اشترك فعلا وأخفى معالم التهمة بما أقامه من الحجج التى قبلها المجلس وبرأه وإليك بيان أسماء الذين قبض عليهم وبعد أن زلزلوا زلزالا شديداً بواسطة الاعتقال بين أولئك الانكليز الذين انتقموا منهم بسوء المعاملة ولكن الله أراد نجاتهم بعد ذلك وهم :

١ — الملازم الثانى يوسف افندى العجب

٢ — الملازم أول عبد الرسول افندى عبد الجليل الذى كان فى عهدته المحافظة على المالية ولكنه سلمها إلى الانكليز بغير تردد (يوز باشى)

٣ — الملازم أول عبد اللطيف افندى الضو (بكباشى)

٤ — الملازم أول قسم السيد افندى خلف الله (يوز باشى)

٥ — الملازم ثانى الله جابو افندى سليمان ملازم أول

٦ — الملازم ثانى أحمد افندى سعد الذى كان نشواناً وبيده بندقية ولم يكن مشتركا فى الحرب إلا أنه كان يطلق عيارات نارية فى الجو .

٧ — الملازم أول السيد افندى شحاتة القائم مقام بالجيش المصرى كان فى ١٤ جى أورطة بمدنى .

الملازم أول عبد العزيز افندى عبد الحى أحضر من ١٤ جى أورطة بمدنى

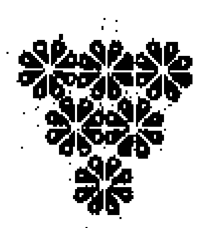
٨ — الملازم أول عبد الدائم افنـــدى محمد الذى وضعه الانكليز فى جوار الطوبجية و ٣ جى أورطة حتى إذا رآهم اشتركوا فى الحرب يطلق النار عليهم بيلتونة من الخلف ولكن أشاع المصريون على أنه انضم إليهم وحول علامة طربوشه إلى الأمام كعلامة العساكر المصرية وهذه الأشاعة أوجدت سوء فهم فى نفوس الانكليز وقد خدم بمصر إلى أن صار برتبة القائمقام .

شهادة العدو

حدثنى أحد موظفى الشركة الزراعية الانكليزية قال : اجتمعت بكبير مفتشى الزراعة الذى كان ضابطاً بالجيوش الانكليزية بالهند برتبة جنرال ولما عينته الشركة الزراعية بجزيرة سنار ووصل الخرطوم وجد بلوكا من الجنود السودانية وضباط سودانية والموسيقى سودانية أعد قره قول شرف لأداء التحية العسكرية فما كدت أنزل من الصالون حتى وقف الجنود بنظام مدهش وأدوا التحية وصدحت الموسيقى وكان عمرى يومئذ يناهز ٧٠ عاماً فإعجابى بأولئك الجنود ورشاقة حركاتهم صيرانى ابن ١٨ عاماً فوقفت معتدلا وبعد أن حييت البلوك وطفت متفقداً النظام ملئت إعجاباً وعند ما رأيت الشرذمة القليلة العدد تقاوم جيشاً انكليزياً تساعدها قوات البوليس وبلوك من السوارى ٢٢ ساعة أعجبت وأيما إعجاب فكنت أعتقد أن الجندى التركى فوق جنود العالم أما اليوم فأصبح عندى السودانى فوق جنود العـــالم . هذا ولقد قال جنود الأورطة الانكليزية هايلاندرس ما خلاصته : « جارينا كل الأمم الأوربية وغيرها فى الحربية العالمية الأولى فلم نر جنداً أثبت جناناً وأشد بأساً من الجندى السودانى » .

الروابط

إن للروابط شأناً عظيما فى وحدة وادى النيل . أهمها رجوع العناصر فى السودان إلى أصولها بمصر كما تراه فى مؤلفاتى المائلة للطبع إن أراد ربك إبرازها ، فذلك منشأ الولاء ومصدر الأخاء الذى جعل الشعبان كالنفس الواحدة . يشعر كلاهما بشعور أخيه ولا يتردد فى نصرته مهما عبث العائقون وسعى بالانفصال أعداء البلاد المستعمرون . لأن الوضع الإلاهى لايتغير بسعى المخلوق الضعيف . وليس أدل على ذلك من خوض تلك الفصيلة لأتون الحرب بدلالة أولئك الضباط الذين فى غضاضة العمر مع قلة الذخيرة . ووجود الطابية الانكليزية التى تكاد تلتهب بآلاتها ومفرقعاتها . وما زالوا يحاولون المصارعة مع عدم تكافؤ القوتين إلى أن سلموا النفس للخالق . فلينظر الانفصاليون هذا الدرس القاسى الذى مثل على مرأى من العدو والصديق .





(المؤلف)　　　　(عبد العزيز مصلوح من منسفيس بالمنيا)

نحن عشنا وسنحيا اخوين　　　لهما النيـــل ومصر أبوين
وسلبق رغم أعنات الهوى　　　وتصاريف النوى متحدين

« الحكم الذاتى »

بمناسبة الضجة الصحفية عن الحكم الذاتى للسودان ، أقول وما أدراك ما الحكم الذاتى إن أراد الله به ربما ولد ميتاً ، ولو نما سوف يكون نموه أقرب إلى الأحكام القروية منه إلى الأحكام المدنية التى تقوم على دستور ومجالس برلمانية تنتخب انتخاباً حراً . لا كالإنتخاب الوراثى فى السودان أى اختيار الزعيم وابن الزعيم مهما كانت كفاءته وانحطاط مستواه الثقافى أو الخلقى . هـذا ودخلت مصر السودان سنة ١٢٣٦هـ : ١٨٢١م ، فعينت ثلاثة سودانيين فى وظائف ممتازة فهم بشير ود عقيد الجعلى المسلمابى حاكما بمديرية بربر . وادريس شيخ محمد الدنقلاوى حاكما بمديرية كردفان . وأحمد أبو سن مديراً لمديريتى الخرطوم وسنار . وفى عهد سمو الخديو اسماعيل باشا ومحمد توفيق باشا كاد يكون الحكم للسودانيين اكثر منه لغيرهم كيف لا وقد تعاقب على مديرية بحر الغزال ثلاثة سودانيون هم : آدم البلالى بك البرناوى وإدريس أبتر بك وساتى بك أبو القاسم الدنقلاويان . ومديرية الرول والمكارك حسن بك يوسف الشلالى . وكان الطيب بك عبد الله مديراً لفاشودة . ومديرية سنار تعاقب عليها بعـد احمد ابوسن ـ الميرالاى حسن يوسف الشلالى وبساطى بك مدنى والميرلاى النور بك محمد . وقد كان عوض الكريم أبو سن باشا مديرا للخرطوم بعد أبيه . واللواء إلياس باشا أم برير مديرا لشكا ثم نقل مديرا لكردفان . وقد تناوب اللواء ألماس محمدباشا وحسين باشا ابوخليفه على مديرية دنقلا وكان الميرالاى النور عنقره بك مديرا لكلكل وكبكابيه بدارفور والسيد محمد خالد زقل بك مديرا لدارا . وكان الميرالاى فرج الزينى بك مديرا لكسلا . وكان التهامى بك جلال الدين وكيلا للحكمدارية وصار حسين ابوخليفه مديرا لبربر .

ذلك مانال السودانيون من المناصب الملكية فى حكم بلادهم . أما المناصب العسكرية فكان قسطهم فيها كالآتى :

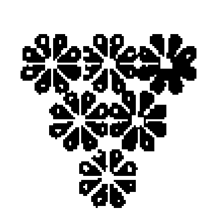
١ — اللواء حسن ابراهيم باشا مديرا « للقرعة » يطلق على هذا اللقب مأمور جمع المردان ، والمردان الشبان فى سن القرعة للجيش المصرى

٢ — اللواء السعيد حسين الجيعابى باشا

٣ — الزبير باشا رحمه ، هو الذى مد رواق النفوذ المصرى إلى دارفور
٤ — آدم العريفى باشا رئيس أركان حرب الجيش بالخرطوم
٥ — فرج الزينى باشا » » » » »
٦ — محمد على حسين باشا ، كان قائدا للدفاع البحرى
٧ — خشم الموس باشا ، اشترك فى جيش محمد راتب باشا إلا أنه لم يشهد حربها للجبشة
٨ — الماس محمد باشا كان قائدا للأورطة السودانية التى اشتركت فى حرب المكسيك

ذلك خلاف الرتب الممنوحة للأعيان والتجار كمحمد الخبير إمام باشا وحمزه باشا وغيرهما . هذا ما بلغ إليه السودانيون منذ ١٢٩ عاماً . أفهل إذا بلغ السودانيون الحكم الذاتى فى القرن العشرين كما ينادون به الآن . يملأون كراسى المديرين ويدبرون إدارة الحكم فى بلادهم كما كانوا فى غضون القرن الثالث عشر الهجرى أم يحتاجون إلى تدريب وثقافة ؟ يعملون تحت اشراف غيرهم ؟ وإلا كتفاء بألقاب وزير وأمير .

هذا وكانت للسودان وزارة فى عهد محمد توفيق باشا مركزها الخرطوم ووكيل وزارة بالقاهرة يحضر جلسات الوزراء وينقل قراراتها للخرطوم لكى يعامل السودانى كأخيه المصرى لا سيد ولا مسود كما يقول الأفاكون الآن.





الملازم ابراهيم افندى علام

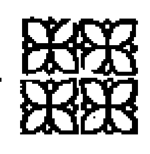
كان أبوه فرج افندى علام من الضباط الذين تجشموا متاعب استرجاع السودان أما هو فإنه تخرج من المدرسة الحربية بالخرطوم وإنه كان فى طليعة الناقمين على الانكليز وإنهم حاولوا اتهامته ومحاكمته إلا انه دافع دفاعاً مجيداً وإنه كان من الذين خدموا فى وزارة الداخلية المصرية ورقى إلى رتبة بكباشى وما لبث أن توفى إلى رحمة مولاه.

وفاة عبيد حاج الأمين

كان عبيد حاج الأمين شاباً وديع الأخلاق سام المدارك وهو من سلالة طيبة ظاهرة الولاء للانكليز ما عدا عبيد الذى نبت نفسه عن سوء معاملتهم فتحداهم تحدياً سافراً بلا نظر إلى النتائج التى أقصاها الموت وهو راض به . كان رحمه الله كبير الهمة شجاعا لا يبالى بالمكاره أدركه الأجل المحتوم فأراحه من عناء الحياة وذل الاستعمار ومن الغريب المدهش قال المفتش لرفقائه إنى سأرسل لكم أربعة مساجين لمساعدتكم فى دفنه ولكنهم رفضوا وخيراً فعلوا فرحم الله القائل : —

وإن بذل الإنسان لى جود عابس
جـــزيت بجود التـــارك المتبسم

كانت هنـــاك جالية من التجار الوطنيين أظهرت من الكرم ما يوجب الثناء والإطراء فهم الذين تولو جهازه والصلاة عليه وإقامة المأتم وهم : الشيخ مهدى مجذوب عمدة ورئيس محكمة واو . وإبراهيم عامر.ويوسف المليح . وشرف الدين وداعة الله. والفقيه النور حسن والشيخ مزمل والشيخ نوح وغيرهم من الخواجات الذين جاملوهم . زرت قبر هذا الشهيد فى ديسمبر سنة ١٩٤٦ حال رحلتى لراجا لإتمام بحوثى التاريخية .



نفى المعتقلين

رأت الحكومة ضرورة نفى بعض المعتقلين إلى جهات نائية لتختم آخر خطوات الثورة التى شغلت الأفكار بحوادثها المؤلمة ، ففى ذات يوم قام موظف انكليزى بللش فى الثلث الأخير من الليل فأخرج الأربعة المذكورين بعد من السجن وسار بهم إلى ناحية شجرة ماحى بك فى طرف الخرطوم الجنوبى ورسا بهم ينتظر الباخرة القائمة ببوستة الجنرب إذكان بها صندل أعد لركوبة المعتقلين الذين نقلوا إليه كل منهم فى زنزانة منفرداً وأوقف عليهم « قره قول » مدجج بالسلاح تحت إشراف الموظف الانكليزى فظلوا منعزلين عن العالم إلى أن بلغت بهم الباخرة مدينة واو فأخرجوا إلى مفتش واو الذى كان جباراً عاملهم أسوأ معاملة وهم : —

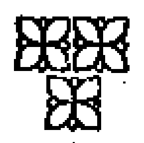
١ — السيد محمد المهدى

٢ — الملازم أول على افندى عبد اللطيف

٣ — الملازم ثانى على افندى البنا

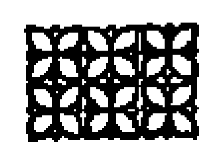
٤ — عبيد افندى حاج الأمين

قضوا نحو عشرين سنة فى المنفى وأعيدوا بصحة ما عدا على عبد اللطيف كانت به علة أودت بحياته فى القاهرة .



عبد الله افندى ادريس

كان عبدالله افندى ادريس جعليا ووالده الشيخ ادريس عبد الرحيم له خدامات جليلة لدى مخابرات الجيش عند استرجاع السودان أما ابنه فاشتغل مترجما بمكتب السكرتير الادارى ثم نقل لمدرسة وكلاء المآمير وتخرج منها (وكيل مأمور) فصادف ثورة سنة ١٩٢٤ وهو وكيل مأمور الخرطوم قاد رجال البوليس مع مستر بيلى نائب المدير فأعجب الانكليز بشجاعته وحسن درايته حتى كانوا يشبهونه بجنرال انكليزى وفى مارس سنة ١٩٣٠ نزلت ضيفاً عليه حال وجوده مأمورا لأم كداده بدارفور فوجدته يشكو من الشكوى من ظلمه وعدم تقدير جهوده التى صار بها عدوا لأبناء وطنه فدهشت لانعكاس الآية وما بقى طويلا حتى توفى إلى رحمة مولاه نادماً على ما جنت يداه نرجو الله أن يغفر له .



هذه ترجمة نشرة من السكرتير الادارى لمديرى المديريات
ورؤساء المصالح بعد نهاية التحقيق والمحاكمات .

تمرد الجنود يومى ٢٧ و ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٤

إنه لمن المعتقد أن هـذا الحادث كان نتيجة مؤامرات ضد الانجليز أديرت فى مصر حيث كان حزب الوفد يريد أن يقنع العالم بمظاهرة على نطاق واسع كهذه بأن السودانيين يريدون الاتحاد مع مصر ويبغضون الحكم البريطانى . ومن التحقيق المباشر فى هـذا التمرد يظهر انه نفذ بنـاء على أمر آخر من القائمقام احمد بك رفعت من المدفعية وغيره من المصريين الذين كانوا يسكنون فى نادى الضباط وفى فندق غردون ويقضون إجازتهم فى مصر .

وقد وعد الضباط الذين قاموا بتحريض رجالهم ضد الانجليز على انه بعد إطلاقهم للقذيفة الأولى فإن المدفعية المصرية ستشترك معهم بضربها للطابية والسراى وقشلاقات الجنود الانجليز وغيرها من المواقع المهمة . ومن محاولاتهم لإقناع المتمردين بوعدهم هذا فإنهم (أى المصريين) فى آخر لحظة قد ادعوا بأن ضابطا سودانياً ومعه ٢٥ من جنوده من الأورطة التاسعة السودانية ممن كانوا يرابطون فى النهاية الشمالية من الكوبرى قد انضموا إليهم .

أما فى الخرطوم فقد اتضح ان المؤامرة دبرت من مدرسة ضرب النار حيث تم النقاش فى الخطط لآخر مرة من ظهر يوم ٢٧ نوفمبر . وقد كان زعماء التمرد من الضباط السودانيين الملازم أول عبدالفضيل الماظ والملازم ثانى السيد فرح وكلاهما من الأورطة الحادية عشر السودانية . وقد كان الأول مسئولا عن بلاتونين من تلك الأورطة يرابطان بقشلاقات سعيد باشا والذين كانا سيقومان بالحراسة فى الخرطوم بعد جلاء القوات المصرية . وأما الأخير وهو السيد فرح فقد كان مسئولا عن

الحراس بالسجن الحربى .

وكان أول حدث فى تنفيذ الخطة هو توزيع العشاء للمسجونين الحربيين فى الساعة الثالثة مساء من يوم الخميس ٢٧ بدل الساعة السادسة . ثم جاء بعد ذلك مباشرة الملازم ثانى السيد فرح وحل قيود المسجونين وصرف إليهم ملابسهم العادية . وفى حوالى الساعة الثالثة والنصف أبعد كل حراس السجن ماعدا ثلاثة منهم أمرهم بإطلاق سراح المسجونين عند سماعهم اول طلقة . وفى نفس الوقت تقريباً استعرض الملازم اول عبدالفضيل الماظ بلاتونيه فى قشلاقات سعيد باشا ثم ترك حرساً هناك وقاد بقية رجاله إلى السجن الحربى حيث التقى بالملازم ثانى سيد فرح ورجاله البالغين ثلاثين رجلا .

ومن هناك تقدم الجميع إلى مدرسة ضرب النار حيث انضم إليهم الملازم أول سليمان محمد والملازم ثانى ثابت عبد الرحيم والملازم ثانى على محمد البنا من الأورطة السودانية الثانية عشر وكذلك الملازم ثانى حسن فضل المولى من مدرسة ضرب النار . وقد كان الثلاثة الأوائل ملحقين بالمدرسة كمدربين . وقد اقتحموا مخزن الذخيرة وأخذوا أربعة مكسم « فكرز » وكل الجبخانة وحملوها فى عربة خيل . ثم توجهوا إلى السوق ولكن الأسباب التى دعتهم لاتخاذ هذا الطريق لم تعرف . وهناك فى السوق استولوا على عربة خيل من الاهالى ثم اتجهوا شرقا جنوبى محلات « مرهج » حيث هدد أحد الضباط بمسدسه المستر ت . ف . ج كارلس من رجال الخدمة السياسية . وبعد ذلك ساروا شرقا بشارع الخديو .

أما المستر كارلس فقد أسرع من مكانه إلى المكتب الحربى وأدلى بمعلوماته إلى السردار الذى ذهب مباشرة إلى مقابلة الكولونيل مكاون (الضابط الاحتياطى) فى مكتبه حيث اخبره مراسلة سودانى على انه رأى جماعتين من الجيش السودانى متجهة نحو القشلاقات الانجليزية وكان الوقت قد قارب الرابعة والنصف . ومن ثم استقل الكولونيل مكوأن سيارته ليتحقق من المسألة كما اتصل السردار بالتليفون مع الجيش البريطانى ليكون على استعداد وكذلك اتصل بالقوة الانجليزية المرابطة بكلية غردون (ارقايلز)

أما المتمردون فقد وقفوا لمدة قصيرة قرب تمثال غردون محاولين إخراج البلاتون السودانى من الأورطة الحادية عشر الذى كان يقوم بالحراسة فى المكتب

الحربى وذلك لينضم إليهم(١) ولكن اللفتنانت ب . د . ملهولاند كان قد سيطر على هؤلاء الرجال من قبل وقادهم إلى الكوبرى حيث سلمهم إلى اللفتنانت رف . ى ليدلو

وفى هذه الأثناء ذهب الكولونيل مكوان فى عربة إلى الكوبرى حيث أنذر الحراس ليكونوا على استعداد ومن ثم تقدم ببطء بطريق الخديو ليقابل المتمردين . وعند مروره بكلية غردون وجد جنود (الارقايلز) مسرعين لاتخاذ مكانهم على جانبى الطريق وذلك بعد ان وصلهم الإنذار . وقد قابل الكولونيل مكوان المتمردين عند ملتقى شارع الخديو بالشارع الذى يمر بين الاسبتالية الحربية ومبانى البيطرة وأمرهم بالتوقف. فسألهم الكولونيل ماكتون عن وجهتهم . فأجابوه بأنهم سيلحقون باخوانهم جنود الكشيبة الثامنه المصرية بالخرطوم بحرى . فحاول جهده لاقناعهم بالرجوع وهددهم بأنه سيطلق عليهم النار إذا حاولوا التقدم .

كانت محاولة الكولونيل ماكتون فى امتناع الجنود بالرجوع ستنتج لولا أن الضباط الذين كانوا مع الجنود هددوه بمسدساتهم فقفل راجعاً فى عربته بطريق الشاطىء ومنها إلى مكتب الحربية . عندما تحركت عربة الكولونيل ماكتون سمع أمراً من أحد الضباط بإطلاق النار عليه ولكن الجنود لم يطيعوا ذلك الأمر .

١٦ — عند سماع تقرير الكولونيل ماكتون ذهب نائب السردار فى عربته للبحث عن الميجور ج . ر كوبر التابع لفرقة أوفلز والذى وجده بعد بحث فى ميادين كلية غردون وأمره بأن يعزز فرقته فى شارع الخديوى بكل مدافع الفكرز الموجودة وكانت شتة فى العدد — عندما جهزه مدافع الفكرز أخذها الميجور كوبر والسردار إلى القوة المرابطة فى شارع الخديوى وكانت الدنيا قد أظلمت .

---

(١) كان هذا البلتون بقيادة الملازم ثانى عبد الرسول افندى عبدالجليل الذى كان على اتفاق مع ضباط الثورة ولكنه أحجم عن الوفاء لهم لسبب غير معلوم ولعله فطن لوعود احمد رفعت بك التى خدع بها غيره وزجهم بها فى أتون حرب هائلة وصفها فى رسالة له إذ قال : سمعت طلقات كطلقات الطبنجات . ولقد انصف الانجليز فى وصفها وانها كبدتهم خسائر فادحة . فإذا سلمنا جدلا وكانت الحرب هينة لينة فلم لم يف لأولئك الأبطال الذين اداروها بقلب ثابت وعزم أكيد مع إنهم فى غضاضة العمر لم يتجاوز بعضهم الحلقة الثانية كما ترى من صورهم .

١٧ — استمر الجنرال هدلستون فى سيره للأمام ونادى فى الجند أنه السردار فلما لم يسمع مجيباً تقدم نحو ستين ياردة صوب الثوار ونادى (أنا هدلستون) فرد عليه أحد الضباط (نحن لا نعرف هدلستون باشا ولكننا نعرف رفعت باشا فقط) فرد عليهم الجنرال هدلستون (ارجو ان تنفذوا أوامرى) فرد عليه الضباط (إننا ننفذ أوامر رفعت باشا فقط) (١)

١٨ — بعد هذه الخيبة قفل الجنرال هدلستون راجعا إلى فرقة الأرفلزوامره بأن يطلقوا النار من جميع المدافع فرد الثوار بالمثل ولكن كانت نيرانهم غير منتظمة وعاليه ولم تحدث اى إصابات .

كانت الساعة حوالى السادسة مساء .

١٩ — عند سماع صوت البنادق جهز الميجور كارلر نائب ضابط صحة المديرية العنابر للمصابين وأرسل الشاويش الإنجليزى إلى المخازن لإحضار النقالات عند ماوصل الشاويش إلى المخزن وجد جندياً سودانياً يتولى حراسة المخازن ولم يمنع الجندى الشاويش من أخذ النقالات — أرسل الشاويش النقالات وبقى فى المخازن ولكن الكابتن كاتلى وجده مقتولا برصاصة اخترقت جسمه فمن ياترى القاتل ؟ — طبعاً الجندى الحارس السودانى

٢٠ — أسرع الشاويش بركنز ومعه نقالتين إلى المستشفى ودخلها بالقرب من حجرة العمليات عندما فاجأه ضابط سودانى شاهراً مسدسه — عند ذلك القى الشاويش بيركنز النقالتين على وجه الضابط السودانى وولى الأدبار لإبلاغ الخبر إلى الميجور كارليل — عند هذه المحاولة دخل بعض الضباط السودانيين من الجهة الأخرى.

٢١ — أمر الضابط السودانى الميجر كارليل بالخروج ولكن الأخير تصنع عدم سماع الأمر وتقدم نحو الضابط السودانى وأمسك به وألقاه على الأرض حيث انتزع

---

(١) لاشك ان ذلك برهان على ان الثورة دبرت بأمر رفعت بك ولكنه جبن عن الاشتراك بها يزعم انه يخشى ضرب مصر وكيف لايخشى على السودانيين الذين ذهبت ارواحهم هدرا وهاهى عائلاتهم كالأيتام فى موائد اللئام . اين الوحدة واين الإخاء لاسيما والجوار ولصوق الدار بالدار ؟ الم يكن ذلك ضرب من العقوق الذى تعافه المروءه ويأباه الذوق السليم :

الشاويش بركنز مسدس الضابط وفى هذه اللحظة تدفق سيل من الجنود السودانيين فقتل الميجور كارلل وجرح الشاويش بيركنز (١)

كان احتلال المستشفى وما جاوره نتيجة مباشرة لفتح النار على الثوار والذى أعقبه تقدم فرقة الأقلز تحت قيادة اللفتننانت كير فى الجزء الجنوبى من شارع الخديوى مجتمعين بداخلية العرفاء وفى نفس الوقت أطلقت النار فرقة من الليسستر تحت قيادة الميجور وكش فى داخل مبانى الاسبتالية البيطرية من شمال الطريق ووضعت مدفعين رشاشين فى قارعة الطريق كذلك ابتدأت النيران من فصيلة أخرى من فرقة الليسستر تحت قيادة الكبتن لوثر من جنوب شارع الخديوى وتلاقت مع الجناح الشمالى من فرقة الأقلز متخذة موقفها على طول خط الترامواى. استمر إطلاق النار من الجانبين حتى الساعة العاشرة مساء حيث لجأ الفريقان للراحة.

وفى هدأة الليل تسرب بعض الثوار من أماكن إطلاق النار ولكن تمكن البوليس من قتل بعضهم أو أسره بيد أن الغالبية نجت ودخلت إلى القشلاقات بأم درمان.

ابتدأت النيران فى الفجر الباكر بدون أدنى تعكير من المقاومة من الثوار ولكن عند ما تقدم الجنود البريطانيون نحو مبانى المصلحة الطبية أمطرهم السودانيون وابلا من نيران بنادقهم — كانت المبانى كثيرة ومبعثرة وكان من الصعب تحديد أماكن الثوار بالضبط.

---

(١) قال لى الأونباشى فومو أجم النوبى من ١٣ جى أورطة سودانية وكان ملحقاً بمدرسة ضرب النار وكان ضمن المدافعين مع عبد الفضيل ألماظ وجرح فى يده وانهال عليه البناء فظل طول الليل تحت الأنقاض حتى أخرج بواسطة جنود قسم الأشغال فوجد نبضه يضرب فنقل إلى المستشفى وبعد الإسعاف وعى كلاماً يخالف ماجاء بهذا الفصل قال ان الملازم عبد الفضيل ألماظ كان يحاول فتح باب مخزن الجبخانة وإذا بالميجر كارليل قبض عليه من الخلف وتصارعا هنيهة لجاء موظفان سوريان قبضا على رجل الضابط فوقع على الأرض وبينما هم يحاولون كتفه إذ أطلق جندى سودانى عليهم النار فأرداهم وقام الضابط وفتح الباب كما تراه فى مكانه.

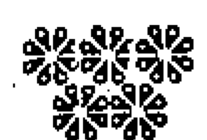
كانت ضحايانا كثيرة ومنهم الكبتن تنكس والملازم ثانى مكلرن وقتل الإثنان قبل أن يعتصم الثوار بميس الضباط المصريين الذى كان محاطاً بالأشجار .

٢٥ — كانت قنابل الفكرز ونار مدافع اللويس غير ذات أثر فعال وعليه فقد أحضر مدفع عيار ٤٫٥ بوصة من الطابية وابتدأ يقذف قنابله فى محيط ١٠٠ ياردة .

٢٦ — لقد قذف نحو ٣٠ قنبلة ظننا أن البناء قد دك وتقدمنا ولكن كانت محاولة فاشلة فقدنا خلالها كثيراً — ولكن بعد ضرب سبعة ساعات متواصلة استطعنا الوصول للبناء بدون خسارة أخرى .

٢٧ — كان الملازم أول عبد الفضيل ألماظ و ١٤ من باقى الصفوف قد قتلوا و ١٣ من الأنفار ؟

هذه المقدمة وجدها موظف عند فحص الأوراق القديمة لحرقها وقدمها إلى فسرنى بها بقدر ما أحزننى لفقد آخرها الذى ربما كان يحمل شيئاً طريفاً وقد تعتبر هذه تأييداً لما شاهدناه بالعين المجردة .



تذكار

تذكار لفريق من الضباط الطبيين للجيش المصرى
الذين قتلوا بالمستشفى فى يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٤ :

القائمقام مقام (روبرت كاريل بك)
الصاغ نجيب افندى خليل حداد
الملازم أول نعيم افندى سليمان أزار

وقد أنشئت هذه اللوحة تذكاراً من إخوانهم الضباط.

نمرة ٧٢٤٥٤٩٥ الجاويش أدمون سيبون رنشو

هذه يافطة كانت ولم تزل معلقة بمستشفى النهر بالخرطوم
نقلتها بخطى لإحاطة القراء ؟

نوع من الأحكام المصرية

كان الأستاذ مصطفى السلاوى بن الشيخ أحمد السلاوى أحد الثلاثة علماء الذين رافقوا حملة سمو إسماعيل باشا إلى السودان فى سنة ١٢٣٦ هـ : ١٨٢١ م الذى تولى منصب قاضى قضاة السودان بعد وفاة أبيه يتناول الرشوة بشكل طمس معالم الحق فصار يبيع مناصب القضاء ويتلاعب فى ذلك تلاعباً سافرا لا يخشى لومة لائم فظل ردحا من الزمن دون أن يسمع صوت مؤنب أو سوط مؤدب وكانت إحدى سقطاته أنه أخذ رشوة من الفقيه بلال وولاه القضاء الشرعى مكان أخيه الأستاذ عثمان عرى قاضى كردفان فظل القاضى المعزول محكبوت الضغائن إلى أن بلغه قدوم سمو سعيد باشا لزيارة السودان وتفقدسير العدالة به فسمع الأستاذ عثمان عرى المعزول ظلماً بقدوم سمو سعيد باشا فأسرع فى السفر إلى الخرطوم لمقابلته وما كاد يبلغ الخرطوم حتى أصدر قاضى القضاة أمراً إلى مأمور الخرطوم يأمره فيه بأن ينتدب طائفة من العساكر يحيطون بدار ضيافة القاضى المظلوم حتى لا يتمكن من لقاء والى مصر ويشكو إليه ولحسن حظ القاضى بلغه الخبر فقام من الخرطوم وسار إلى أبى حمد فكان أول من حظى بلقاء سمو سعيد باشا ومدحه بقصيدة ضافية وبعد فراغه من إنشادها سأله الوالى عما اذا كانت له حاجة فقص عليه مسألة عزله من منصبه بدون ذنب جناه فأمر سعيد باشا أن يؤخذ ضمن حاشيته إلى الخرطوم وعند وصوله كانت قضيته أول شىء بدأ سعيد باشا به فكانت الجلسة علنية تجلت فيها العدالة ومظهر السيطرة الذى هز قلوب الولاة وصيرهم يفزعون لصوت النفير وصرير السرير إذ صفت الكراسى فى شاطىء النيل الأزرق وجلس الولاة والأعيان ثم أوقف المتقاضون أمام سعيد باشا وهم :

الشيخ مصطفى السلاوى قاضى قضاة السودان المصرى .
« ابراهيم عبد الدافع مفتى السودان سودانى جموعى .
« عثمان عرى الهوارى المدعى .

فسأل سعيد باشا المدعى وبعد استماع كلامه سأل مصطفى السلاوى عن سبب عزله فقال وصلنى تقرير من أخيه الشيخ بلال عرى يقول إنه يقوم الليل فى تلاوة القرآن وإذا ماجاء للمحكمة يكون فى نعاس شديد من أثر الإجهاد والسهر فلا يستطيع

التمييز بين المتقاضين أمامه . فسألت المفتى الذى أفتى بعدم صلاحيته للقضاء فعزلته وهنا قطب سعيد باشا أسارير جبهته ونظر إليهما ساخطاً وقال لهما أما وجدتم ذنباً يبرر عزله إلا أنه من الذاكرين الله كثيراً وصار ينظر إليهما تارة وإلى النيل طورا حتى ظن الناس انه يأمر بهما فيقذفان بالنيل وبعد هنيهة أمر الحكمدار بوضع الاغلال عليهما وإرسالهما إلى سجون طره وإعادة القاضى عثمان إلى قضاء كردفان أما الشيخ بلال فنفى إلى فشوده بصفة قاضى لها فبقى فى منفاه إلى وفاته . ولابراهيم عبد الدافع قصيدة استغاث فيها بالأولياء قالها بطره منها .

يا سيدى حسن السريره فما راعيتم سيدى للجيره

﴿ إنتهى ﴾

شركة التضامن للطباعة والنشر
مطبعة كلوت بك
٤ ، ٦ عطفة الوطن ـ شارع كلوت بك

(تابع فهرس الكتاب)

(تابع فهرس الكتاب)

(تابع فهرس الكتاب)

فهرس الكتاب

(تابع فهرس الكتاب)

(تابع فهرس الكتاب)

(تابع فهرس الكتاب)

صحيفة	خطـــأ	صـــــواب
٥	زكرها	ذكرها
١١	حكمة	حكمت
١١	لم يرضى	لم يرض
١٢	قومندان الهجانة	قومندان ١٤ جى أورطة سودانية
١٣	الموظفون السودانيين	الموظفون السودانيون
١٣	ساعدا	ساعد
١٤	تفرج	تقرح
١٦	جافدت	جاوزت
١٧	بالمحاكم	بالمكاسم
١٩	الشور	الشعور
٢٠	بأخاتكم	بإخلاصكم
٢٧	أدوراً	أدواراً
٢٩	أجنحتم	جنحتم
٣٠	صورة	عنوان
٣٢	اختال	احتيال
٣٣	رجل النساء	رمل النساء
٣٣	المستر يورد	المستر يودل

صحيفة	خطأ	صواب
٣٣	عشيرتهم	أو عشيرتهم
٣٣	مبصب	منصب
٣٥	فؤاذ	فؤاد
٤٠	ماكل مائع جاء	ماكل مائع ماء
٤٠	نحن باللائمة على افندى	على على افندن
٤٣	ناسج برور	وناسج برود
٤٤	بشهات	بشهاب
٤٤	سرعياً	شرعياً
٤٤	المقاصذ	المقاصد
٤٥	وليتركر	وليتركوا
٤٥	رعاة	دعاة
٥٣	عل	على
٥٤	المراصلات	المواصلات
٥٤	غاية الأمور	عاقبة الأمور
٥٤	خزان ستار	خزان سنار
٧٨	اديرية الديم	لمديرية الدويم
٧٨	ملابس الخامة	ملابس العامة

صــــواب	خطـــأ	صحيفة
أعمالهم الجنونية	أعمالهم الجنوبية	٧٩
أدعوه إلى فرصة أخرى	عدوه	٨١
ونرجىء الكلام عن طائفة المسجونين	عن الذى	٨١
حتى	جتى	٩٠
اتخذوا	اتجذوا	٩١
ثكناتهم	إثكناتهم	٩١
وأصبح	وصابح	٩١
فصيلته	فضيلة	٩٢
باللائمة	ناللائمة	٩٢
فيستريح	ليستريح	٩٤
المدرسة	المورسة	٩٤
الحكم	الحتكم	٩٤
ذادا	زاد	١٠١
يخفق	يخفن	١٠٣
الظلمة المفسدين	الطهاة المفسدين	١٠٦
بنو إسرائيل	بنى إسرائيل	١٠٨

صحيفة	خطـــأ	صـواب
١١٤	سنة ١٩٤٢	سنة ١٩٢٤
١١٧	لشان	ولسان
١١٨	فتدبرا	فتدبروا
١١٩	السفو	السفر
١١٩	الذين يخربن	الذين يخربون
١١٩	أنظر بربك فيها دما	أنظر بربك أفهل أذيق بها دم
١١٩	سنة سنها	سنة سنها
١٢١	خصائض	خصائص
١٢٥	محام	محامياً
١٢٦	النجاشلا	النجاشى
١٣١	إن أر الله الله	إن أراد الله به
١٣٣	حربها	حربه
١٣٣	ولا حسرد	ولا مسود
١٣٥	قضوا نحو عشرين سنة	قضوا نحو عشرة سنة
١٣٩	الكتيبة الثامنة	الكتيبة الثالثة
١٣٩	مكبب	مكتب